جامعة بغداد
كلية التربية – ابن رشد
الدراسات العليا

نزعة التحرر في الأدب القصصي العراقي الحديث

(*القصة القصيرة منذ عام ١٩٤٤ – ١٩٨٠*)

رسالة تقدمت بها

مائدة فاضل جسام الجعيفري

إلى مجلس كلية التربية (ابن رشد) ، جامعة بغداد وهي جزء
من متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور

علي عبد الرزاق السامرائي

١٤٢٦هـ **٢٠٠٥م**

ألم نشرح لك صدركَ ، وَوَضعنا عنك وزرَكَ الذي أنقض ظهرك ، وَرفَعنا لك ذِكركَ فإن مع العسر يُسراً ، إن مع العسر يُسرَاً ، فإذا فرغت فانصب ، وإلى ربك فارغب .

سورة الشرح

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى ...

والديّ رحمهما الله عـز وجـل العطـاء النبيـل والوجه الجميل للحياة

وكل من أبدع فكراً

وأضـاء روحـاً وسـعى إلـى التحـرر خدمـة للإنسانية

مع محبتي وتقديري

الباحثة

إقرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد اننا اطلعنا على رسالة الطالبة مائدة فاضل جسام الجعيفري الموسومة نزعة التحرر في الأدب القصصي العراقي الحديث (القصة القصيرة منذ ١٩٤٤ – ١٩٨٠) ، وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها وفيما له علاقة بها ونعتقد انها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في آداب اللغة العربية/آداب وبتقدير (جيد جدا) .

التوقيع
م. د. مها فاروق الهنداوي
عضواً

التوقيع
أ. د. كريم هليل الوائلي
رئيس اللجنة

التوقيع
أ. م. د. عهود عبد الواحد
عضواً

التوقيع
أ. م. د. علي عبد الرزاق السامرائي
عضواً ومشرفاً

صدقت من قبل مجلس كلية التربية /ابن رشد – جامعة بغداد

أ.د. عبد الامير عبد دكسن
عميد كلية
التربية/ابن رشد – جامعة بغداد
/ / ٢٠٠

اقرار المشرف

اشهد بأن هذه الرسالة الموسومة نزعة التحرر في الأدب القصصي العراقي الحديث (القصة القصيرة منذ عام ١٩٤٤ – ١٩٨٠) قد جرى تحت اشرافي في كلية التربية – ابن رشد جامعة بغداد ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير / أدب .

التوقيع
م. م. د. علي عبد الرزاق السامرائي
المشرف

بناء على التوصيات المتوافرة ارشح هذه الرسالة للمناقشة

الدكتورة
عهود عبد الواحد
رئيس قسم اللغة العربية
/ / 2005

شكر وتقدير

إلى ...

- **عمادة كلية التربية الأولى (ابن رشد) .**
- **قسم الدراسات العليا ... الست أحلام كاظم ناجي .**
- **رئاسة قسم اللغة العربية .**
- **أساتذة قسم اللغة العربية الأجلاء .**
- **قسم الأطاريح في كلية التربية – ابن رشد ... الست زينب علي دارا .**
- **السيد عبد الصمد علي مسؤول مكتب لانه في باب المعظم .**
- **مكتبة ابن الجوزي العامة في العطيفية .**
- **أمينة المكتبة السيدة ميعاد أحمد خضير .**
- **أمينة المكتبة السيدة ماجدة علوان حسين .**
- **صديقتي السيدة نضال نصيف جاسم .**
- **زوجة أخي عماد السيدة فاتن فيصل جسام .**
- **مع احترامي ومحبتي لكل كلمة طيبة وفكرة نيرة وحوار جميل لا نسيان لفضلكم مع الامتنان والمحبة ودمتم لكل خير .**

الباحثة

المحتـــويات

التسلسل	الموضـــوع	رقم الصفحة
١	**الآيـــة**	-
٢	**الإهـداء**	أ
٣	**الشكر والتقدير**	ب
٤	**الفهرسـت**	جـ
٥	**المقدمـة**	١ – ٥
٦	**التمهيـد**	٦ – ١٤
٧	**الفصل الأول : نـزعة التحرر .** **المبحث الأول : مفهوم نزعة التحرر** **المبحث الثاني : القاص ونزعة التحرر** **المبحث الثالث : الاتجاهات الفكريـة والاجتماعيـة للقصاصين العراقيين .**	 ١٥ – ٢٤ ٢٥ – ٣٧ ٣٨ – ٦٧
٨	**الفصل الثاني : التحرر الفكري** **المبحث الأول : التحرر والتطور الحضاري** **المبحث الثاني : الأنظمة والقوانين** **المبحث الثالث :** **(أ) الدين** **(ب) المعتقدات**	 ٦٨ – ٧٩ ٨٠ – ١٠٤ ١٠٥ – ١٢٥ ١٢٦ – ١٤٢
٩	**الفصل الثالث : التحرر الاجتماعي** **المبحث الأول : العلاقات الاجتماعية** **المبحث الثاني : القيم الاجتماعية** **المبحث الثالث : التقاليد والعادات الاجتماعية**	 ١٤٣ – ١٦٤ ١٦٥ – ١٨٦ ١٨٧ – ٢١٣
١٠	**الخاتمة**	٢١٤ – ٢١٦
١١	**المصادر والمراجع**	٢١٧ – ٢٢٤

المقدمـــــة

المقدمـــة

إنَّ نزعة التحرر ظاهرة إنسانية على درجة كبيرة من الأهمية موجودة في الإنسان ، ترافقه في مسيرته الحياتية ، وتتخذ مسارات عدة قد تكون بالاتجاه الايجابي البناء أو السلبي الانهزامي ، فالمعتقدات المتوارثة والأنظمة والقوانين التي تنقلب فيها مقاييس العدالة إلى اللاعدالة ، والتقاليد والعادات الاجتماعية التي يجبر الإنسان على ممارستها ، والقيم السائدة التي تشل حركة تطوره أحياناً والعلاقات الاجتماعية التي تستعبده ويسير في فلكها وأمور حياتية اخرى تدفعه إلى محاولة التحرر ونشدان التغيير ، والتطلع إلى حياة أجمل خالية من القيود والأغلال وأنواع العبودية الفكرية والاجتماعية التي تحاول إلغاء وجوده .

إن فكرة البحث تدور حول وقوع الإنسان أسيراً لتجربة معينة أو فكرة محددة أو سلطة ما أو تحت تأثير الحالة الاجتماعية ، وهي تبحث في محاولة القاص العراقي للتحرر من المؤثرات السلبية وانعكاس ذلك على أدبه القصصي ، وتشير الباحثة في دراستها إلى النقاط المضيئة التي تضيء درب الإنسان نحو الخير والسعادة والعطاء والنقاء ، إنها ليست محاولة للهرب والخلاص من حقائق حياتية تتربص بنا ، بل هي سعي جاد لفهمها ومواجهتها ومن ثم طرح وإبعاد كل ما هو سيئ ومؤلم ، والبحث عن أسلوب جديد للتعايش مع الحياة ووجه إضافي وجديد للقوة ، إن ننبذ كل ما هو خطر وسلبي ، ونلغي عوامل الضعف التي تحاول أن تكبل حياتنا الفكرية والاجتماعية بأغلال العبودية مضيئين في الوقت نفسه بقع الظلام ، إنه دعوة إلى النور والتطلع إلى الحياة ومعانقتها بحب والسعي للعيش بشكل صحيح .

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في إجماع الباحثين على أن أدب القصة القصيرة في العراق من أوفر الآداب العربية التي اهتمت بأمور الفكر والسياسة والإصلاح الاجتماعي ، وسعت إلى تصوير الأحداث ووضع الحلول لكثير من المعضلات التي عانى منها المجتمع العراقي ، لذلك سعت الباحثة إلى التقرب أكثر من القصة العراقية القصيرة ومعرفة همومها وأفكارها ورؤاها وتطلعاتها وشجونها . أما نطاق

البحث فأنه يدور في سنين حفلت بتطلع سام للتحرر من الظلم والاستعمار والطغيان ، كما ان انتهاء الحرب العالمية الثانية وما أفرزته من وعي ونضج فكري كان نتيجة حتمية لشدة الصراع بين القوى المتكالبة على العراق والساعية للسيطرة عليه ، وتزامن معه تطور ملموس وواضح في النتاج الثقافي ، ولاسيما مضامين القصة القصيرة .

وانعكس اهتمام أكثر القصاصين بالقصة ذات المضامين الاجتماعية والفكرية على طبيعة تعامل القصة القصيرة مع الواقع في كل مرحلة من مراحل تطوره ، وحفلت المرحلة الزمنية الممتدة ما بين ١٩٤٤ – ١٩٨٠ بالصراعات السياسية والاجتماعية والثقافية التي تعد المحرك الأساس للظاهرة الإنسانية الإبداعية التي يدور حولها البحث .

أما مادة البحث فهو القصة العراقية القصيرة في العراق ، وفي النفس رغبة لقراءتها وفهمها ، وإدراك مضامينها لأنها كانت بعيدة عن فضاءات القراءة الشخصية المشغولة بمطالعة الروايات العربية والأجنبية لسنين خلت ، فضلاً عن ذلك الرغبة الحقيقية في الحصول على أكبر عدد ممكن من المصادر والقصص والتحرك في مساحة كبيرة من النتاج الأدبي الإبداعي في مجال الفكر والنفس والأدب والدين والاجتماع . وكذلك رصد نزعة التحرر التي رافقت الإنسان العراقي وتطور الفكر في العراق ، ولاسيما اهتمام كتاب القصة بموضوعات تشخص المشكلات الاجتماعية والسياسية والثقافية .

توزعت الرسالة بين ثلاثة فصول إلى جانب المقدمة والتمهيد ، إذ تبدأ الرسالة بالمقدمة التي ذكر فيها أهمية الموضوع وزمانه ومكانه وأسماء المصادر والمراجع التي بحث فيها ، وأسماء المجموعات القصصية التي بحثت في الظاهرة والقصاصين الذين تحدثوا عنها بشكل مباشر أو غير مباشر . والتمهيد الذي بينت فيه الباحثة الأحوال التي كانت سائدة ورافقت نزعة التحرر واشتمل الفصل الأول على :

المبحث الأول : مفهوم نزعة التحرر .

المبحث الثاني : القاص ونزعة التحرر .

المبحث الثالث : الاتجاهات الفكرية والاجتماعية للقصاصين العراقيين .

واشتمل الفصل الثاني على ثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول : التحرر والتطور الحضاري .

المبحث الثاني : الأنظمة والقوانين .

المبحث الثالث : (أ) الدين (ب) المعتقدات .

واشتمل الفصل الثالث على ثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول : العلاقات الاجتماعية .

المبحث الثاني : القيم الاجتماعية .

المبحث الثالث : التقاليد والعادات الاجتماعية .

ثم خاتمة البحث التي تلخص ما توصلت إليه الباحثة من نتائج وأخيراً قائمة المصادر والمراجع . وحاولت الباحثة التركيز على مواقف القصاصين ورؤيتهم القصصية للظاهرة الفكرية والاجتماعية ، وطرحهم لها في القصة ، والأخذ باهتمام ان كان هذا الطرح إيجابياً أم سلبياً ، وإبداء رأيها بهذا الصدد ، واعتمدت في دراسة هذه الظاهرة وإعداد الرسالة على مصادر نقدية مهمة وجديرة بالدراسة، تناولت الأدب القصصي في العراق بشكل مميز وفريد منها :

- الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية بجزأيه الأول والثاني (للدكتور عبد الإله أحمد) .
- قصص عراقية معاصرة (فاضل ثامر – ياسين النصير) .
- القصة القصيرة الحديثة في العراق (الدكتور عمر محمد الطالب) .
- في أدبنا القصصي المعاصر (الدكتور شجاع مسلم العاني) .

فضلاً عن ذلك مجموعة رسائل جامعية اهتمت بالقصة القصيرة منها :

- القصة النسائية القصيرة في العراق ، زينب كاظم كيطان
- الفن القصصي والروائي في أدب موسى كريدي ، حسنين غازي لطيف .

إلى جانب رسائل جامعية أخرى أسهمت في إغناء البحث ، وبحثت كذلك في مجاميع قصصية عراقية كثيرة منها :

- المجموعة الكاملة الجزء الثاني للقاص ذو النون أيوب .
- ذيول الخريف للقاص عبد الملك نوري .

- الوجه الآخر للقاص فؤاد التكرلي .
- وجوه معتمة فوق زجاج صقيل للقاص لطيف ناصر حسين .
- البجع للقاصة مي مظفر .

وغيرها من المجموعات القصصية الأخرى ، واعتمدت كذلك على مراجع مترجمة عربية وعراقية في الفكر والأدب والاجتماع ودوريات كانت لها فائدتها الكبيرة في رفد الباحثة بالأفكار القيمة منها :

- الإنسان بين الجوهر والمظهر تأليف أريك فروم .
- تأملات في الحضارة والاغتراب تأليف عزيز السيد جاسم . وغيرها من المراجع المهمة .

صعوبات البحث :

اعترضت الباحثة صعوبات كثيرة أثرت في الاستمرار على كتابة البحث بشكل مباشر منها عدم ملاءمة الأحوال العامة والخاصة في آن واحد ، إلى جانب كثرة الكتب النقدية والمجاميع القصصية التي صدرت بين عام ١٩٤٤ – ١٩٨٠ ، فعمدت الباحثة إلى دراسة ما توافر لديها ، وما حصلت عليه من المكتبات العامة الجامعية فضلاً عن ذلك أن البحث سلك أثناء الكتابة مسارات عدة ، واتخذ له أبعاداً جديدة ، وانطلق إلى محاور أخرى لم تكن في الذهن .

ووجدت الباحثة كذلك ضعف بعض القصص في فنيتها وطرحها القصصي، ولكنها على الرغم من ذلك لم تخل من فائدة ترفد الفكر والنفس بإضاءة جميلة إلى جانب رصدها واقع المجتمع العراقي والتاريخ بأحداثه . فضلاً عن ذلك انعدام ظاهرة التحرر في بعض القصص ، الأمر الذي دفعها إلى غض النظر عنها وعدم ذكرها أو الإشارة إليها . إذ من الممكن أن يجد باحث آخر فيها ما يبحث عنه ، فضلاً عن ذلك اختيار منهج البحث في المجاميع القصصية التي ضمت أفكاراً تحررية بحسب ظهورها الزمني وهو أمر يصعب السيطرة عليه لطول مدة البحث أو تصنيف القصص بحسب الموضوعات فأخذ بالمنهج الثاني ، ووجدت الباحثة كذلك مشقة كبيرة في الأسلوب القصصي الذي تكتب فيه بدل المفردة الأدبية ثلاث مفردات ،

الأمر الذي دفعها إلى المراجعة والحذف وإعادة الصيغة مرات عدة . ويقيناً أن هذه الرسالة خلاصة جهد جهيد وحصيلة عناء طويل . عسى ان تكون الباحثة قد وفقت فأن أحسنت فذلك الفضل من الله تعالى ، وإلاّ فالعذر أن هذا مبلغ العلم وقصارى الجهد في هذا الوقت الضيق ، وصعوبة الحصول على المصادر والمراجع من مكتباتنا ، وكل ما ترجوه أن تكون الرسالة رافداً حياً في المكتبة العربية ، ومصدراً قريباً للدارسين والباحثين ومنطلقاً لطلبة العلم تلهمهم رؤى وأفكاراً جديدة يكون لها صلتها العميقة بحياتنا الفكرية والاجتماعية ، وفوق كل ذي علم عليم ، ومن الله تعالى التوفيق .

الباحثة

التمهيـــد

وجدت نزعة التحرر بوجود الإنسان على الأرض ، ورافقته في مسيرته الحضارية والإبداعية والعملية ، وكان لهذه النزعة حضورها وفاعليتها وقدرتها على التغيير ، وتوجيه الفعل الإنساني المرغوب فيه توجيهاً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفهم والوعي والإدراك لديه ، ولا يمكن إغفال عوامل كثيرة من الممكن أن تقوي نزعة التحرر ، وتعزز وجودها كانتشار عوامل الظلم والطغيان وسيادة الجهل والتخلف وحرمان الإنسان من حقوقه ، وسيطرة الأنظمة المستبدة وتسلط القوانين الجائرة والاستغلال في الحياة الاجتماعية التي من الصعب التكيف معها ، فضلاً عن ذلك تطلعات الإنسان إلى حياة حرة كريمة مستقلة ، وقد وجدت هذه النزعة التحررية أرضاً خصبة لها لتنمو وتكبر بعد الحرب العالمية الثانية ، وظهرت جلية واضحة في الحياة الثقافية في العراق ولاسيما في الأدب القصصي العراقي ، وكان لتطور وسائط النقل ، وتوسع حركة التعليم ، وازدياد عدد المدرسين والطلاب في وقت واحد ، ودخول المرأة العراقية الجامعة والمشاركة في العمل السياسي والثقافي والاجتماعي ، ومشاركة الأديبات العراقيات ، وكثرة البعثات إلى الغرب ، وانتشار الصحافة ، واطلاع العراقيين على الثقافة العربية والغربية فضلاً عن ذلك ازدياد حركة الترجمة جميعها عوامل ساعدت على ظهور نزعة التحرر في الحياة الفكرية في العراق ، وفي الأدب القصصي العراقي خاصة[١]، فالقصة العراقية الحديثة التي بزغ فجرها في الثلاثينيات من خلال محاولات جادة مخلصة في كتابة القصة لأبرز كتابها (محمود أحمد السيد ، أنور شاؤول ، ذي النون أيوب، عبد الحق فاضل ، يوسف متي ، شالوم درويش ، وغيرهم) الذين تعددت على يدهم أشكال القصة القصيرة وتنوعت اتجاهاتها ومضامينها واكتسبت بعض مقومات القصة الفنية الحديثة[٢] .

---

[١] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، د. عمر محمد طالب ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، ص١٤٦.

[٢] ينظر : الأدب القصصي في العراق ، ج١ ، د. عبد الإله احمد ، منشورات وزارة الإعلام ، سلسلة دراسات (١١١) ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٧ ، ص٢٣ .

ونجد كذلك قلق المثقف وتوحده ونزوعه للتمرد في الأربعينات عند (نزار سليم وفؤاد التكرلي ، ونهاد التكرلي) ومن دار حول جماعة (الوقت الضائع) التي تشكلت عقب الحرب العالمية الثانية في العراق ، وتميزت هذه المجموعة بسأمها من التضليل السياسي فحاولت البحث عن ذاتها بين الجموع . واتخذت جماعة (دار الطليعة) التي انظم اليها (غائب طعمة فرمان ، عبد الرزاق الشيخ علي) وجماعة (الفن المعاصر) وقد ضمت (محمد البريكان ، وعبد الوهاب بلال ، وبدر شاكر السياب ، وعبد الواحد صبحي و مهدي الصقر) ، وجماعة (أسرة الفن الواقعي) التي ضمت (مرتضى الشيخ حسين) ، وجماعة أخرى ارتبطت بما يكتبه أدباء مصر من رؤى ثورية الاتجاه أحياناً هم جماعة الخريجين في جامعات مصر وعلى رأسها (شاكر خصباك) وكان لهذه الجماعات موقفها الواضح والشمولي من الشعب[١] .

وظهرت نزعة جديدة في الأدب بعد الحرب تسعى إلى بناء أدب يستمد قوته من الحياة نفسها ومن الواقع ، ومن أعماق النفس الإنسانية القلقة والشعور الممزق ، وظهر من أدباء العراق من يدافع عن الالتزام في الأدب والفن ويدعو إليه بقوة وحرارة ، ويرى من الخطأ والجحود والنكران ان يتعامى الأديب عن الحياة الواقعية الغارقة في البؤس والشقاء ، وهو الضمير الحي للمجتمع والواقع أو يغض النظر عن الظلم الذي يقع على أبناء قومه يتغنى بالطبيعة أو حبيبته ، وظهر كذلك من الأدباء من يدافع عن حرية الأديب والفنان فيما يكتب وفي رأيهم أن الأدب يفقد جميع خصائصه ومقوماته إذا فقد الحرية[٢] .

وانعكس الوضع الاجتماعي المتردي لمستوى المعيشة بعد الحرب العالمية الثانية على الطبقة المثقفة فولد حالة من التبرم والضيق انعكست على القاص العراقي الذي اتجه اتجاهات فكرية مختلفة[٣] .

---

[١] ينظر : الوجه الثالث للمرأة ، باسم عبد الحميد حمودي ، مطبعة الديوانية الحديثة ، الديوانية ، ط١ ، ١٩٧٣ ، (١٢٣- ١٢٤) .

[٢] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، (٢٧١ – ٢٧٢) .

[٣] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٤٨ .

وكان من ابرز هذه الاتجاهات الاتجاه الواقعي الذي صور الحياة العامة ومشكلات المجتمع ، ومظاهر البؤس والفاقة التي رزحت تحتها الطبقة العاملة من الشعب والطبقة البرجوازية الصغيرة واستغلال الإقطاعيين واصحاب رؤوس الأموال .

وكانت معظم الشخصيات القصصية من الناس العاديين ومن الطبقة الفقيرة والبرجوازية الصغيرة وتدور الأحداث في القصص حول الفلاحين والعمال والموظفين الصغار وأصحاب الحوانيت وتتناول أحياناً المشردين والمنحرفين والمرضى نفسياً [١] .

واهتم كتاب القصة بالاتجاه الواقعي فسعوا من خلاله إلى تشخيص الأمراض الاجتماعية السائدة ومحاربة التقاليد البالية التي تخدم هدفاً أو غاية سياسية ، وعمدوا إلى عرض أفكارهم وآرائهم ومعتقداتهم ودعوا إليها ساعين إلى نشرها بين الناس كما فعل ذو النون أيوب في قصصه أو أنهم كتبوا من أجل هدف اجتماعي ، كما فعل جعفر الخليلي وشالوم درويش[٢] . فالعامل الاجتماعي كان من أهم العوامل التي عجلت بالاتجاه الواقعي فصار التمسك بالواقع موقفاً حضارياً ظهر فيه الايمان بالوطن والأرض وبرز الشعور بالذات والاعتصام بها ومحاولات تفسير الأمور بشكل موضوعي الأمر الذي أكسب القصة العراقية محليتها[٣] .

وللاتجاه الرومانتيكي الذي ظهر إلى جانب الاتجاه الواقعي بعد الحرب العالمية الثانية (نزعته التحررية) التي يغلب عليها طابع الأحلام والهرب والتشاؤم، ففي قصص هذا الاتجاه ثمة هوة كبيرة بين الإنسان وأحلامه التي تصطدم بالواقع المؤلم وما فيه من قيود وعادات وتقاليد تقف حائلاً أمام سعادتها وانطلاقها فتهرب إلى عالم الأحلام إذ تكسر فيه القيود وتحطم العوائق ولكن الواقع الذي يصدمها بقسوة يدفعها إلى الانطواء على نفسها واجترار آلامها ، والاغراق في الآلام والحسرات[٤] .

---

[١] ينظر : نفسه ، ١٦٢ .

[٢] ينظر : نفسه ، ٧٧ .

[٣] نفسه ، ٧٨ – ٧٩ .

[٤] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٦٧ .

واتسمت نزعة التحرر في الخمسينات بسمة الرفض والاحتجاج واتجهت اتجاهاً سياسياً واجتماعياً بعد تطور القصة العراقية الحديثة على يد جيل قصصي تعارفت الأوساط الأدبية على تسميته بجيل الخمسينات وأخذ دورهم يتضح في الحياة الأدبية وكان من أبرز كتاب هذا الجيل (عبد الملك نوري ، فؤاد التكرلي ، نزار سليم ، شاكر خصباك ، غائب طعمة فرمان ، عبد الرزاق الشيخ علي ، مهدي عيسى الصقر ، محمد روزنامجي[١].

وقدمت القصة في الخمسينات الإنسان الكادح المجاهد وحاولت اضاءة معاناته من الواقع الجائر واثارة لمسة التعاطف والفهم والمشاركة الوجدانية لدى القارئ ، وسعت كذلك إلى بيان جهده البطولي للتغلب على الزمن الصعب ومواجهته فضلاً عن السعي إلى التقريب بين الهموم الفردية والاجتماعية وجمعها في بؤرة واحدة من خلال جعل الذات في القصة تتفجر بالأحلام التي اختزنتها من معاناة الواقع وضغوطه[٢] .

وسارت القصة في اتجاهين أحدهما – يرصد حركة الشعب وما يحتاج إليه والآخر – يرصد الأوضاع التي ثار عليها الشعب فخط يرى أن الانسان هو الذي يصنع تاريخه ، وخط أخر يرى الإنسان موضوع في ضمن التاريخ[٣].

وحفلت القصة العراقية منذ نشوئها حتى نهاية الخمسينات بموضوعات المرأة ووضعها الاجتماعي ومسألة تحررها وتزامن ظهور القصة ونشوئها في العراق مع

---

[١] ينظر : الأدب القصصي في العراق ، ج١ ، (٤٠) . وينظر : رحلة مع القصة العراقية ، باسم عبد الحميد حمودي . منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (٢١٠) ، ١٩٨٠ ، (٩٢ و ٩٣) ، وينظر : قصاصون من العراق ، سليم السامرائي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧ ، (١٦ و ١٧) . وينظر : في أدبنا القصصي المعاصر، د. شجاع مسلم العاني ، دار الشؤون الثقافية ، ط١، ١٩٨٩ ، ص٤٨.

[٢] ينظر : في النقد القصصي ، عبد الجبار عباس ، . منشورات وزارة الثقافة ، دار الرشيد للنشر ، دراسات (٢١٩) ، ١٩٨٠ ، (٣٠٦) .

[٣] ينظر : القاص والواقع ، ياسين النصير . منشورات وزارة الثقافة ، سلسلة الكتب الحديثة (٨٠) ، مطبعة دار الساعة (١٩٧٥) ، (٢٦) .

ظهور الدعوة إلى تحرر المرأة ، وكانت حريتها موضوعاً للقصص العراقية الأولى التي نشأت في العشرينات من هذا القرن ، ولكن الستينات شهدت انحسار موضوعها من أدب القصاصين الشباب ، واستمر لدى الكاتبات العراقيات[١] . وظهرت الواقعية الجديدة التي دعت إلى اتخاذ موقف مميز واضح من الحياة له ارتباط بمشاركة الأديب في الأحداث التي تجري والخوض فيها وتبني شعاراتها ، ويرجع هذا الموقف إلى الدور الذي يؤديه هؤلاء الكتاب في الحياة والى مساهمتهم الفعالة في مشكلات شعوبهم وفي المعارك التي تخوضها هذه الشعوب . لأن الأدب نتاج اجتماعي والأديب نفسه وليد البيئة التي نشا فيها وترعرع في أحضانها ، وان صور الأديب وخياله ، ومشاعره ومزاجه الفكري مستمد من واقع المجتمع الذي نشأ فيه ، وعمدت الواقعية الجديدة إلى تصوير قطاع التطور الدائم الثوري لا الواقع الملموس ، ومن ثم كشفت عن سر الأحداث والعلاقات المتشابكة بين الناس والمجتمع بالحياة[٢] . وسارت نزعة التحرر في الستينات باتجاه سلبي ، إذ وجدت في الأدب القصصي الستيني تضخماً في الرؤيا العبثية اللامعقولة لدى بعض القصاصين والضغط والسأم والعبث ، وكان للقاص العراقي إحساسه بالضياع والقلق وانفصاله عن عالم الآخرين وانقطاع ارتباطه بطبقته ومجتمعه مما جعله يفقد هويته الاجتماعية والطبقية ، ونجم عن ذلك إحساسه بالغربة والتأزم والرؤية السوداوية ، والانقطاع عن الجذور ويمكن ملاحظة ذلك في أعمال موسى كريدي وعبد الستار ناصر وجمعة اللامي وعبد الرحمن الربيعي ويوسف الحيدري ومحسن الخفاجي وعائد خصباك[٣] .

---

[١] ينظر : أدبنا القصصي المعاصر ، ٦٢ .

[٢] القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٦٤ .

[٣] ينظر : قصص عراقية معاصرة ، فاضل ثامر ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، نيسان ١٩٧١ ، (٢٧) . وينظر : من حديث القصة والمسرحية، د. علي جواد الطاهر ، دار الشؤون الثقافية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧ ، (٢٤) ، وينظر:عبد الرحمن الربيعي بين الرواية والقصة القصيرة ، عبد الرضا علي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، بغداد ، تشرين أول ، ١٩٧٦ ، (٣٧ و ٣٨) .

والأقاصيص التجريبية التي سادت في الستينات يبدو فيها العالم يفتقد إلى المنطق والعدالة وتسيره أحياناً كوابيس وقوى لا مرئية ضاغطة ، الإنسان فيها مجرد ضحية لعالم سري غريب ، وفي عالم الضغوط هذه نادراً ما يستطيع التحرر من عالم الخوف والكوابيس والاحباط . وتسقط هذه الأقاصيص في بعض الأحيان في موقف عدمي أو عبثي أو صوفي أو تبالغ في توكيد عجز الإنسان تجاه الضغوط الخارجية والكوابيس التي تحاول سحق وجوده وحريته . ومن القصص التجريبية (نزهة في شوارع مهجورة) للقاص أحمد خلف ، و (حكايتان عن المدينة) للقاص موفق خضر و (رجل اسمه شريف نادر) للقاص عبد الستار ناصر [١] .

وعالجت القصة الإحباط الذي عاناه الفرد العراقي فسارت بين نقيضين الايجابية والتجاوب مع الواقع ، أو السلبية والهرب من الواقع ، وبعض التجارب حاولت الهرب من رصد حركة التغييرات الاجتماعية او محاولة رصد هذه الحركة بشكل غير مباشر في العالم الداخلي للفرد ، بل ان بعض هذه التجارب حاولت أن تقطع جذورها بالعالم الخارجي وتقع أسيرة التجريد والانغلاق ، ولكن ثمة تجارب أخرى كانت على النقيض من ذلك فلم تحاول الهرب من العالم الخارجي أو الهرب من مواجهة إشكالات الواقع والتغيرات الاجتماعية او تقع أسيرة العالم الداخلي للفرد ، بل كانت قريبة كل القرب من حركة الواقع والتغيرات الاجتماعية الجديدة ، فواصلت النضال بشجاعة أكبر ضد المظاهر كافة التي تمسخ حرية الإنسان وتشل إرادته وطاقاته[٢] .

وبرز في نهاية الستينات اتجاه واقعي جديد لم يفقد ثقته بالإنسان والمستقبل، وكان في أدبه تزاوج بين تيار الواقعية الاجتماعية الملتزمة في الخمسينات والتيار الستيني المعارض الذي ظل محارباً منفياً خارج الوطن والسجون والمعتقلات ، وعلى الرغم من بصمات التشاؤم والإحباط والتردد التي تركها الواقع السياسي تمكن الأدب

---

[١] قصص عراقية معاصرة ، ٣٢ .

[٢] ينظر : الشاطئ الجديد ، عبد الرحمن الربيعي ، وزارة الثقافة والفنون ، سلسلة دراسات ١٧٢ ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ١٨. وينظر : ملتقى القصة الأول ، القصة والتغيرات الاجتماعي، فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٩م ، (٢٩٥-٢٩٦) . وينظر : قصاصون من العراق ، ١٧ .

القصصي في العراق من الحفاظ على جوهره الاجتماعي الإنساني الملتزم . وأن هذه الواقعية لم تكتف بمعالجات سكونية ، بل مارست وظيفة (تثوير) الواقع المتخلف وتغييره ، وبشرت هذه الملامح الجديدة بالعودة إلى مواقف الانتماء والالتزام[١] .

وأدت العوامل الموضوعية والتاريخية والسياسية والفكرية دوراً كبيراً في تحديد مسار القاص العراقي في اتجاه الانتماء والالتزام ، وكان لتجربة الخامس من حزيران مكانة خاصة في هذا التحول ، إذ مارست دوراً كبيراً في ايقاظ وعي القاص وتنبيهه إلى وظيفته كإنسان وفنان . فوجد القاص نفسه أمام محاكمة ذاتية اكتشف خلالها ان الاستغراق في التجريبية والاهتمام بمشكلات ذاتية منغلقة لا يلائم المهمات التاريخية الجديدة فراح يعزز ارتباطاته بالحياة والواقع الاجتماعي الجديد وأخذ يمارس دوراً إيجابياً فاعلاً في الأحداث وأدى ذلك إلى تعميق وعيه وزيادة ادراكه للواقع فأظهر ميلاً للاهتمام بمشكلات المجتمع والثورة والمستقبل[٢] .

وبدا القاص في السنوات الأخيرة يستعيد صحوه على الواقع الاجتماعي والسياسي المتردي ، ويتخلص تدريجياً من كوابيس الإحباط والرعب ويعود بالتدريج إلى مواقف الانتماء والالتزام[٣] . فتمكن من إثبات حضوره وفاعليته وعدم خسارة نفسه على الرغم من الإنكسارات والهزائم التي تعرض لها .

وقدم بعض القصاصين قصصاً احتجاجية ملغومة ، وحطموا السبل التقليدية للرضا والنشوة وتجاوزوا مقولة القناعة بأن شيئاً ما سيحدث ويحطم قانون الرضا والانتظار بطرحهم نماذج الثوريين كما في قصة (قيء) لنزار عباس ، وعذابات مشوهي الحرب في (خوذة لرجل نصف ميت) للقاص أحمد خلف والخيال الأسود المريض المرفوض في قصة (الآنسة م) لجمعة اللامي و (الكرة والدماغ) لسعد البزاز[٤] .

---

[١] ينظر : قصص عراقية معاصرة ، ٢٧ و ٢٨ و ٣١ .

[٢] ينظر : المصدر نفسه ، ٢٨ و ٢٩ .

[٣] ينظر : ملتقى القصة الأول ، ٢٩٦ .

[٤] رحلة مع القصة العراقية ، ١٢٣ .

وظل الواقع الاجتماعي محور اهتمام القصاصين في عملية الكتابة القصصية في السبعينات ، فعملت تلك الكتابات على رصد التغيرات الاجتماعية الحاصلة في جميع نواحي الحياة الاجتماعية وتقصي الحياة اليومية للإنسان العادي والاهتمام بالجوانب الاجتماعية في الريف خاصةً . " تميزت الكتابات القصصية في السبعينات بالعناية الفائقة بوصف الواقع الاجتماعي واليومي ، فتبلورت تجارب وأنماط قصصية جديدة ، منها ما يسمى بقصة الحياة اليومية ، كما هو الحال في قصص فاضل الربيعي وجهاد مجيد ، وإبراهيم أحمد ، وخالد حبيب الراوي وغيرهم . وبروز اهتمام خاص يرصد الجوانب الاجتماعية في الريف[١] .

ومما لا شك فيه ان كثيراً من العوامل أسهمت في بلورة نزعة التحرر في الأدب القصصي العراقي ، والتي دفعت القاص العراقي بالمقابل إلى التزام اتجاهات فكرية وإنسانية تعزز هذه النزعة التي أعطت للأدب القصصي في العراق سمات محلية مميزة ومن العوامل التي اعتمدت هذه النزعة التحررية كما أسلفنا سابقاً المدارس الفنية الحديثة ، وتطلعات الكاتب الذاتية والآمال القومية والوطنية والصراعات السياسية والواقع المتخلف ، فضلاً عن ذلك ظهور التيارات الأدبية الحديثة في القصة كتيار التداعي والوعي عند فؤاد التكرلي ، وعبد الملك نوري ، إلى جانب تيار واقعي نقدي اهتم بمشاكل المجتمع والتأثر بالآداب العربية والأجنبية والصحافة إلى جانب أحداث المنطقة العربية التي أسهمت في بلورة هذه النزعة التحررية في الأدب القصصي العراقي وتعميقها وترسيخها وأن القصة العراقية القصيرة حفلت بهذه النزعة التحررية التي تزخر بها عشرات المجاميع القصصية العراقية سلكت فيها هذه النزعة مسارات متعددة شملت جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية . وان أغلب قصاصي العراق التقوا في أهداف مشتركة ومحددة تسعى إلى تحرير العراق من الاستعمار ورفض استغلاله، وتحدى الحكام الذين يتصفون بسمة الطغيان والاستبداد .

---

[١] ملتقى القصة الأول ، ٢٩٩ .

الفصل الأول
نزعة التحرر

المبحث الأول : مفهوم نزعة التحرر .

المبحث الثاني : القاص ونزعة التحرر .

المبحث الثالث : الاتجاهات الفكرية والاجتماعية للقصاصين العراقيين .

المبحث الأول

مفهوم نزعة التحرر

نزعة التحرر هي الرغبة والاشتياق والمحاولة والسعي للخلاص من شيء ما وتجنب سلطته وسطوته ، أو التطلع للوصول إلى تحقيق هدف تصبو النفس إلى تحقيقه .

إن عملية التحرر يمكن ان ينجم عنها نشوء حالة من الصراع لدى الفرد بين ما يريده ، ويطمح اليه ، وما هو قائم أو كائن في نفسه صراع مع نفسه من جهة وصراع مع المجتمع من جهة أخرى ، وحجم الصراع الناشئ يختلف من شخص إلى آخر . وتدخل في تحديد أثاره الخبرة الشخصية والوعي وامتلاك المقدرة والثبات ورؤية الأمور بصورة واضحة ولا يمكن انكار دور العلم والمعرفة وأهميتهما في اكساب الفرد القدرة على التغيير إلى الأفضل .

فالنزعة : " هي الحالة العقلية التي تصاحب الاثارة والاندفاع أو الرغبة والفعل الارادي :

ويعني النزوع : " بداية الفاعلية القصدية التي تصاحب الاثارة والاندفاع أو الرغبة والفعل الارادي[١] .

أما التحرر فهو : " الظاهرة التي يتخلص فيها الفرد من القيود التي كان خاضعاً لها سواء كانت واقعية أم قانونية ، فيعمل الفرد بوحي نفسه من دون أن يتقيد بما يحظر عليه عمله "[٢] .

وثمة صيغة تعطي التجربة والرفض والبحث أهمية للتحرر مما ينبغي التحرر منه . " أن الانسان يستطيع ان يرفض واقعه في بحثه عن الخير وعن الجانب المشرق

---

[١] مفاهيم في الفلسفة والاجتماع ، أحمد خورشيد النوره جي ، دار الشؤون الثقافية ، ط١، لسنة ١٩٩٠ ، بغداد ، ص ٢٣٨.

[٢] نفسه ، ٢٣٨ .

من الحياة التي يريدها ولا يمكن أن يهرب ، بل يجب ان يصطدم برغبة وارادة بكل الأشياء ويحاول تطوير ما يريد منها "[١] .

وللتحرر أهميته وجدواه على الصعيد الروحي والنفسي والفكري ، انه يعطي للإنسان قيمة وإحساساً بالثقة والاستقلالية على الرغم من الجهد الذي يبذله للتحرر ، مما يجده مثيراً للألم أو ضاراً به ، وأكثر أنواع التحرر سمواً الذي يطلقه المتصوفة ، والذي يسبغ على الإنسان الهدوء والاطمئنان . " ان التحرر من القيود والضغوط المادية المزيفة للتخفف من ثقل الحاجات الجسمية والشهوات والرغبات يوفر للروح قدرات أوسع للرؤية والفهم السليم ولتجنب الغفلة "[٢].

ومن أبرز العوامل التي ساعدت على ظهور نزعة التحرر في الأدب القصصي العالمي والعربي والعراقي قيام الحربين العالميتين . " من الأمور التي تمخضت عن قيام الحرب العالمية الثانية أو زادت في ظهورها بقيامها موقف القلق الذي ولد مع قيام الحرب العالمية الأولى ، وازداد مع قيام الحرب العالمية الثانية ، بما تبع ذلك من فشل أحلام الإنسان وأمانيه في أحزابه وزعاماته "[٣] .

إذ فطن كثير من الشباب بعد الحرب العالمية الثانية إلى ما في الحياة العملية من هبوط وخيبة في الحب بسبب الأحوال الاجتماعية والعجز في التوفيق بين العالم الواقعي والعالم المثالي ، فاستولى عليهم شعور عميق بالتفسخ والتمزق أمام الدنيا العريضة المنفتحة على آفاق جديدة أورثتهم شعوراً داخلياً عميقاً بالنفور من التقاليد والأحوال الاجتماعية البالية في بيئتهم المحلية الساكنة التي بدت لهم جامدة وتفتقر إلى

---

[١] الوجه الثالث للمرأة ، ٦٤ .

[٢] متصوفة بغداد ، عزيز السيد جاسم ، شركة المعرفة للنشر والتوزيع المحدودة ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص٢٠٣.

[٣] قضايا الفن القصصي،د. يوسف نوفل،المطبعة العربية الحديثة،القاهرة ، ط١ ،١٩٧٧،ص٤٧ .

المرونة"[١] . الأمر الذي نجم عنه ازدياد محاولات التحرر ولاسيما بين الأدباء والمفكرين والمثقفين ، فانعكس على نتاجهم الابداعي .

وتتخذ ظاهرة التحرر في الابداع الفني صيغاً وأشكالاً مختلفة بتنوع آراء المبدعين فقد تأخذ صيغة الثورة أو التمرد أو الانتماء . " تقوم حتمية أو ما يشابه الحتمية للابداع الفني ، فينشئ الفنان أو يصوغ تجاربه الشعورية وسواء كان التعاطف بينه وبين قضايا الإنسان واضحاً أم خفياً ، أو أخذ أشكالاً أخرى كالتمرد أو الثورة أو الانتماء أو التفلسف على تنوع واختلاف مذاهبه ، كالتفلسف في مجال التصوف أو التصورات المثالية وغيرها[٢] .

ويؤكد حلمي القاعود أهمية المواجهة الصريحة والمتأتية من الشجاعة فيدعو إلى التغيير وإلى نبذ كل ما هو متخلف بقوله : " يوم تتحول قيمنا الأصيلة إلى سمة للتخلف والرجعية في نظر بعض الأدباء يتوجب على المرء أن يضع روحه على كفه ويعلن المواجهة الصريحة والشجاعة التي تعيد للإنسان على أرض هذا الوطن بعض اعتباره وتنفض عن وجدانه بعض المواجع وتذهب عن نفسه بعض الحسرات "[٣] . ووجدت نزعة التحرر في مختلف المذاهب الأدبية وعبرت عن تطلعات الإنسانية للخلاص من أشكال العبودية المتعددة ، فحيث سادت المذاهب الفردية التي تدعو إلى الحرية الفردية وإطلاق حرية الفرد بغير قيود وبغير توجيه في ظل القانون الذي ارتضته الجماعة نفسها أو في (الكلاسيكية) التي دعت إلى احترام الأوضاع السائدة أو (الرومانسية) التي ثارت

---

[١] ينظر : جعفر الخليلي ، جون توماس هامل. رسالة دكتوراه من جامعة مشيغان ، ترجمة وديع فلسطين ، صفا خلوصي ، الدار العربية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٦ ، (٢٨) . وينظر : نشأة القصة العراقية ، د. عبد الإله أحمد ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ط١، ١٩٦٩ ، (٤٣٩).

[٢] مجلة القصة ، النزعة الإنسانية وحديث عن القصة ، عبد العزيز مصطفى ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، العدد الثاني عشر ، السنة الثالثة ، حزيران ، ١٩٧٧ ، ١٤٤.

[٣] مجلة القصة ، في بعض الوفاء كرامة ، حلمي القاعود ، ٤ .

على القيود التقليدية (والواقعية الاشتراكية) التي دعت إلى تحقيق المساواة وتكافؤ الفرص على أساس العدل و(الرمزية) التي سادت في أحوال الحكم الاستبدادي أو الغزو العسكري حيث القوة والقمع[١] .

واتجهت نزعة التحرر في الأدب الرومانسي اتجاهاً سلبياً انهزامياً عن الواقع وشابها التشاؤم واليأس ، وكانت ثمة أسباب كثيرة لهذا الاتجاه ، فالآلة قللت من شأن الفرد فأخذته الثورة والعزة بالنفس وفقد الأدباء قدرتهم على التكيف مع الواقع الجديد فاتخذوا موقفاً رافضاً لا ينحصر في الناحية العاطفية بل تعداها إلى مجافاة الواقع والمخاطرة وإلى الحزن والتشاؤم والأحلام والالتفات إلى القبور أكثر من الاتجاه إلى العقل[٢] . واصطخب هذا الأدب بعوالم الغربة والضياع والانفصام عن المجتمع والهروب من الواقع فاستسلموا للأحلام والرؤى الخيالية فارين من الواقع[٣] .

" ان شعور الفرد بالتمييز مع شعوره بالضياع والغربة إزاء مجتمع غارق في الظلام مغلوب على أمره ، لا يرى الأديب فيه متنفساً إلا في الخيالات واجترار الآلام الفردية ، فيدفعه اليأس إلى أجواء بعيدة عنه "[٤].

وكان من أهداف الواقعية التأسيس لأدب بعيد عن المثاليات ، يرتبط بالواقع، ويصور المدة التي عاشها الكاتب أو ينبع هذا الأدب من آراء إنسانية سليمة ، فيكون بالنتيجة دافعاً لتحرير الإنسان وداعياً إلى السلام والإخاء والمحبة ، وإلى عمل ما هو شريف ونظيف[٥] . وقد مهدت الفلسفات الواقعية التي كان من أهدافها تولي الحكومات

---

[١] ينظر صور ودراسات في أدب القصة ، حسني نصار . الناشر مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، طبع شركة الاسكندرية للطباعة والنشر ، ٥٢ و ٥٣ .

[٢] ينظر : قضايا الفن القصصي ، ٥ .

[٣] نفسه ، ص١٩٦ .

[٤] الواقعية في الأدب ، عباس خضر ، وزارة الثقافة والارشاد ، سلسلة الكتب الحديثة (١٥) ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص٢٥ .

[٥] ينظر : في النقد الأدبي،د. كمال نشأت ، مطابع النعمان ، النجف الأشرف ، ١٩٧٠ ، ١٦٧.

تربية الشعوب ، واشاعة روح الإخاء والتعاون حتى يتم القضاء على استغلال الإنسان للإنسان وان يتجه الأدب إلى أهداف اجتماعية[١] .

فصار للأدب توجهه الإنساني الذي يوجب على الأديب الاهتمام بمشاكل البيئة والعصر ، وأن يسعى الأدب إلى جانب فنيته واثراء الإنسان أن يكون عاملاً موجهاً إلى خير البشرية والى تحريرها من القيود التي تعوق تقدمها[٢] . فكان لهذا الأدب ثورته على الركود الذي يصور الواقع وينتفض عليه .

" أحس هذا الفريق بعوامل الضياع في البيئة ، كما أحس بها في نفسه فلم يفصل بين آلامه وجروح المجتمع ، ورأى في الوقت نفسه ألواناً من الآداب ترتبط ببيئاتها وتلتصق بانسانها العادي فتصور وتعبر على أرض الواقع الملموس ويأتي تعبيرها نابضاً في صميم الحياة من انتفاض أو ثورة أو ركود "[٣] .

وتوصلت المدرسة الواقعية إلى نتائج منها ان لكل عصر من العصور اهتماماته الفكرية والفنية المتصلة بالبنية الاجتماعية ، ففي عصور التحلل تكثر موضوعات الهرب من الواقع أو الزهد فيه ، ومن جانب آخر تعرض الطبقات الحاكمة على الموضوعات التي من شأنها تسويغ الواقع في الحاضر وموضوعات النهضة والكفاح تعبر عن أماني الطبقات الصاعدة "[٤] .

وفي الأدب الوجودي يلزم الإنسان باتخاذ موقف معين تجاه كل ما يحدث له وما يحيط به ، وأطلق مفردة الحرية بكل أبعادها أمام الإنسان في اختياراته وتوجهاته وتطلعاته . " إن الأدب الوجودي أوجب على الإنسان أن يعي حريته بانتزاع نفسه من ماضي بني الإنسان والبيئة الإنسانية بما فيها من تقاليد واديان وآداب وما إليه من عادات ومجالات وواجبات وحين ينتزع نفسه يحدد الموقف من الحاضر ويختار الطريق

---

[١] ينظر : في النقد الأدبي، ١٦٧ .

[٢] ينظر : نفسه ، ١٦٧ .

[٣] الواقعية في الأدب ، ٢٥ .

[٤] ينظر : في النقد الأدبي ،١٦٧ .

إلى المستقبل "[1] . وسمي هذا الأدب بالأدب الملتزم أي الأدب الذي يتخذ له هدفاً أساسياً هو الالتزام بموقف أخلاقي واجتماعي محدد من كل حدث فردي أو اجتماعي أو وطني .

في الوقت الذي كانت فيه الوجودية تحول الفكر إلى فعل باتخاذ القرار الذي يضمن حرية الفعل ، والحرية عند سارتر لا تلحق بالوجود وإنما يكون الإنسان إنساناً وهذا يعني انه حر ، ويؤكد نيقولاي برديائف إنَّ الحرية موجودة قبل الفكر ، فلا إنسانية بلا حرية وعليه فأنه لا كرامة بشرية من دون حرية[2] . ووضعت الأحوال الخاصة القص العراقي في وضع خاص فبدأ منهاراً ضائعاً يائساً فوجد في الوجودية مذهباً واختلط في هذا الميدان الكاذب بالصادق والمتباكي بالباكي ، وذهب الادعاء بأهله مذاهب بعيدة من المعاصرة والتمييز والتجديد[3].

ولقد أعطت القصة قضية الإنسان الأولوية والأهمية وركزت على : " استيعاب أحداث العصر ، وأصواته واستلهام جوهر الواقع الإنساني ومعاناته ، والتقاط معاناة الفرد المستلب ، بالذات وهو صورة تمثل في واقعها أنموذجاً جماعياً في عالم يسوده القهر والإحباط والتخلف "[4].

وحاولت القصة أيضاً رواية الصراع الدائم مع قطبي الحياة والموت للتاريخ وبيان ما يضطرب في أعماق الناس من مخاوف وقناعات وفعل ورد فعل ومن تمرد واستكانة

---

[1] النقد الأدبي ، ق٢ ، د. داود سلوم ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ١٤٧.

[2] ينظر : العزلة والمجتمع ، نيقولاي برديائف ، ترجمة فؤاد كامل ، دار الشؤون الثقافية ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ٦ . وينظر : مجلة العربي ، رحلة داخل عالم الوجودية ، سيد محمود القمني ، ع ٢٨٩ ، الكويت ، ديسمبر ١٩٨٢ ، ص٥١ .

[3] ينظر : من حديث القصة والمسرحية ، ٢١١ .

[4] قصص مختارة من أدبنا القومي الاشتراكي ، موسى كريدي ، منشورات وزارة الإعلام ، سلسلة لقصة والمسرحية (٤٨) ، ١٩٧٧ (٩) .

واندفاع وارتداد فحملت كل ما يحمله الجنس البشري من قوة وضعف أمام الوضع المتغير للوجود الإنساني[١] .

وحاولت بعض القصص الكشف عن قوة الألم الإنساني من خلال عرض أشكال الصراع المختلفة ، وضروب من التناقض التي تمتحن إرادة الإنسان إزاء التوحد ، والفقر والعاهة ، وما تفضي به هذه المحاور من معاناة حقه ، ترسم على نحو ما هاجس الشخصية وتوقها الملح للخروج من معطف الظلام إلى رحاب النور ، وربما لا تجد في النهاية أي شيء سوى العبور إلى منطقة الظل[٢] .

ودرجت القصة الحديثة على الغوص في أعماق النفس الإنسانية في محاولة منها الكشف عمّا ترسب فيها من ذكريات وأحاسيس ورصد للآمال والرغبات وبيان كيف تضيق النفس الإنسانية بالشعور بالأسى ، وصراع الشخوص وإحساسهم بفرحة الانتصار أو مرارة الخيبة[٣] .

ان النزوع إلى التحرر من سمات القصة القصيرة الحديثة ، إذ تعتمد القصة في تكنيكها الحديث على بناء الشخصية الشائكة في عمقها النفسي ، فهي مليئة بطموحاتها الذاتية والإنسانية التي تحلم بالوصول إلى هدفها في تغيير الواقع الذي تعيشه سواء أكان هذا الواقع مقبولاً أم مرفوضاً[٤] .

فأهم أهداف القصة الحديثة التطلع إلى بناء عالم جديد تسوده العدالة والحرية والديمقراطية عالم يتمكن من محاربة قوى الشر والطغيان والفساد والخيانة والظلم الاجتماعي .

---

[١] قصص مختارة من أدبنا القومي الاشتراكي، ٧ .

[٢] ينظر : المصدر نفسه ، ٣٠ .

[٣] ينظر : دفاتر ثقافية ، مهدي شاكر العبيدي ، مطبعة الآداب ، النجف الاشرف ، ١٩٧٥م ، ٦٧.

[٤] ينظر : الربيعي بين الرواية والقصة القصيرة ، ٤٩ .

فالقصة مفسرة للحياة وعاكسة لصورة الصراع الإنساني في مجتمع معين وداعية إلى تغييره ، وبالمقابل فإن المواقف الساذجة في القصة التي تجسد بعض ظواهر الانهزامية والتردد والخنوع تدل على غياب الموقف الواعي من الحياة ، لأن التجربة الفنية في القصة هي تجربة إنسانية حضارية تبحث عن الموقف الرافض لكل بلادة وتحجر[١].

وعليه فإن الشخوص تعطي الحيوية والديمومة والخلود للعمل الأدبي من خلال مواقفها الواعية وصراعاتها الشائكة ونزعتها المتطلعة إلى التغيير والتجديد .

وسعت القصة إلى بيان أحد طريقين للإنسان إما الخضوع للأقدار والاستسلام لها أو الرفض والتمرد عليها . " ان الإنسان لا يستطيع ان يحصى القوى التي تسيطر على وجوده ، وهو يحاول في كل فلسفة يبتدعها أن يكون ثائراً على هذه القوى متمرداً عليها أو يكون عابداً مسالماً خاضعاً لها ..."[٢] .

ومن المعروف أن الأدب ينبثق من معاناة الواقع وفهمه وتحديد موقفه فهو ثمرة فهم معين له ، لكنه قد يكون حلماً بما لم يتحقق او معالجة لحقبة ماضيه ، تضيء حقبة معاصرة ، فالقصة العراقية كانت صلتها بالواقع عميقة[٣] . " ان القصة العراقية القصيرة ابنة شرعية لأحوال المجتمع ومنجم أمين يحفظ التغيرات الاجتماعية التي دخلته وتوغلت فيه خالقه علاقات جديدة "[٤] .

وعليه يتمكن الدارس والباحث والناقد رؤية الإنسان والمجتمع العراقي من خلال الأدب القصصي في العراق . واهتمت القصة في بداياتها " المشكلات والأزمات القريبة من معاناة كتابها أو التي تقع في صميم معاناتهم ، كمشكلات وأزمات المثقفين ،

---

[١] ينظر : عبد الرحمن الربيعي بين الرواية والقصة القصيرة ، ٤٩ .

[٢] قضايا الفن القصصي ، ٢٠٧ .

[٣] ينظر : في النقد القصصي ، ٧ .

[٤] رحلة مع القصة العراقية ، ١٦٤ .

والصراع بين القيم الجديدة والقديمة ، ومعالجة المآسي والسلبيات الاجتماعية بعيداً عن وضعها في إطار التناقضات ، وبنظرة إصلاحية"[١].

فالقصة لم تعد مجرد إثبات وقائع وسرد مفاجآت إنما أصبحت توجه لأغراض علمية واجتماعية ولمعالجة أمراض ومشاكل جمة[٢] .وأن أكبر وأدق مشكلات الإنسان طرحت في الأعمال الأدبية والروائية التي كانت صميمية في نفوذها إلى نفس القارئ والمتلقي لذلك اكتسبت ميزة البقاء والخلود ." فأعظم الفنون الفذة والخالدة لم تكن إلا انعكاساً للنبض الداخلي لمشكلات الإنسان "[٣].

والأمر نفسه يتكرر في الأدب القصصي العراقي ، فقد رصدت القصة إلى جانب الرواية التحولات الاجتماعية والسياسية وأرخت للثورات وتطرقت إلى السلوك الإنساني وتجارب الأدباء الملتزمين وحياتهم النضالية ، ورصدت حياة الطبقة الرأسمالية وطمعها في تسجيل المزيد من المكاسب إلى جانب تشخيص العلاقة بين الغرب والشرق ، والحديث عن الحركات الثورية والتحررية في العالم ومشاكل الفلاحين والإقطاع والإيمان والجنس والصراع الطبقي وكثير من الظواهر الاجتماعية[٤] .

ان البحث في مفهوم نزعة التحرر قد يدفعنا إلى الحديث عن نظريات أدبية مختلفة ويسير بنا مسالك فكرية كثيرة ويأخذ أبعاداً إنسانية أوسع ومفاهيم ومضامين لها شموليتها تؤسس لرسالة جامعية في دراسة هذا المفهوم سواء في الأدب القصصي أو الشعري . ومن الممكن دراسته والبحث فيه بصورة أوسع في الأدب العالمي او العربي أو العراقي خاصة ، ويستطيع الباحث والدارس لهذا المفهوم أن يعثر على كثير من الإضاءات الفكرية التي تنير الفكر والروح والنفس، فتنقل القارئ والدارس وفي طفرة كبيرة إلى مراحل عليا من الفهم والإدراك للتعامل مع الحياة والإفادة من الإبداع الإنساني في

---

[١] الشخصية العمالية في القصة العراقية ، عبد الرزاق ابراهيم حسين . منشورات وزارة الإعلام (٢٨) ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٧٧ ، ١٨ .

[٢] ينظر : أدباء العراق المعاصرون ، خليل ابراهيم عبد اللطيف ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ج١ ، ١٩٧٢ ، ص٨٢ .

[٣] الرواية العربية المعاصرة ، ماجد اسد ، الموسوعة الصغيرة (٣٢٦) ، مطابع دار الشؤون الثقافية ، ط١ ، ص٥٦ .

[٤] ينظر : الشاطئ الجديد ، ٢٩و ٣٠.

تحقيق الوعي المنشود ، وتبقى القصة العراقية القصيرة حقلاً وارف الثمار للباحثين عن معاناة القاص العراقي في اختياراته الصعبة لإيجاد مكان له يرفع فيه شعار التحرر من قيود ومشكلات وتقاليد تجاوزها الزمن .

المبحث الثاني
القاص ونزعة التحرر

إنَّ تقصي سمات القاص المبدع والاطلاع على نتاجه الإبداعي يقودنا إلى إدراك محاولاته الجادة للتحرر من قيود او قيم أو تقاليد تثقل كاهله ، محاولاً التخلص منها وايجاد صيغ جديدة للحياة ومفاهيم وقيم تميل إلى التجدد والابتكار ومن هنا تأتي قيمة ما يبدعه من نتاج . فكثير من المبدعين كانت حياتهم قاسية وعانوا المصاعب لعدم قدرتهم على التكيف مع المجتمعات التي يعيشون فيها ، وتجلى رفضهم في كتاباتهم وفي أنماط الحياة التي عاشوها ، وكانت رؤيتهم القصصية والدرامية تستند إلى جانب من جوانبها مع نزعة التحرر من كل ما أظهروه من زيف المجتمع وانهياره .

وأكثر النتاج الإبداعي يتضمن ما يتعرض له الإنسان من ظلم وطغيان وقهر اجتماعي وسياسي وثقافي واقتصادي ، وما يحدث من أمور تتحرك فيه الشخوص والمحاور التي تدور فيها محاولات للخلاص من ضغوط تمارس على الإنسان ، وتترك آثارها السيئة في حياته ، والتطلع إلى حياة أفضل وأجمل .

يفهم من ذلك أن الله عز وجل خلق النفس البشرية وغرس فيها حب المعرفة والتجدد والابتكار ، فامتلك المبدع سمات انعكست على مجمل نتاجاته الابداعية وتوجهاته الأدبية فترى : " أغلب الكتاب يؤمنون بنتاج أدبي تسوده روح جديدة تؤمن بتغيير الأوضاع السائدة من ظلم وطغيان وقيم بالية وتقاليد قديمة ، وأن تسوده الحرية والانفتاح .... "[1] فالقاص المبدع أحد ملامح التغيير والبناء في المجتمع الذي يراد تحقيق أهدافه الإنسانية : " لأن المجتمع إذا خاض غمار أحداث تهزه يحتاج إلى العدالة فيظهر الكتاب والشعراء الذين يضعون الأدب في خدمة المجتمع لتحقيق خططهم الإصلاحية وأهدافهم الإنسانية "[2]

---

[1] الأدب المقارن ، كلود بيشوا ، ترجمة رجاء عبد المنعم جبر ، مكتبة دار العروبة ، بيروت، ١٩٨٠ ، ١٥ .

[2] النقد الأدبي ، داود سلوم ، ق١ ، مطبعة الزهراء ، شارع المتنبي ، ص١٥ .

ومن سمات القاص المبدع تحرره بشكل نسبي من القيود الاجتماعية واستقلاليته فهو لا يرتبط بما يقوله او يعمله الآخرون ولا يهتم بالانطباعات التي يتركها فيهم ، وأنه في الأغلب يهتم بالعمل أكثر من اهتمامه بنفسه . وان استقلاليته لا تنشأ أصلاً من تدبيره إنما هي متجذرة في نفسه[١] .

ويصطدم المبدع خلال مسيرته الإبداعية بقيم وتقاليد تفرض عليه فيبذل جهوداً مضاعفة للتحرر منها : " إنَّ الكاتب لا يمكنه ان ينتج أي شيء ، وبأية طريقة وبمجرد أن يشرع في الكتابة يجد أمامه أبنية تعبيرية سابقة في الوجود وأعرافاً شعرية وأجناساً أدبية وأوضاعاً تتحكم في حساسيته وادراكه وقيماً يفرضها الجمهور أو التقاليد ، وقيوداً نحوية وأموراً تتعلق بالصيغة والأسلوب "[٢] فيشعر المبدع بالتحدي نحو الأمور الصعبة وبعدم الارتياح تجاه الفوضى لكنه يستطيع المضي في أعماله الإبداعية دون الحاجة إلى الإحساس بالرضا الذي ينتج عن تنظيم الفوضى من خلال فرض حلول يسيرة ومباشرة للمشكلات . لذلك يتعين على الكاتب ذي المقدرة الأدبية والقلم المبدع أن يقنع الآخرين ويؤثر فيهم بما يريده وما بفرضه المجتمع من تقليد وقيود وأن يعمل على تنشيط تطوره مدركاً ان بعض درجات التقيد ضرورة العيش في مجتمع منظم[٣] .

وينفر الكاتب المبدع من الأوضاع التي يتعرض بسببها إلى الرقابة التي تحاول ان تحجم إبداعه ، وتسجن أفكاره والتي تفرضها السلطات الجائرة خشية كشف ظلمها ، وفضح طغيانها واستبدادها فتحاول أن تكمم الأفواه والأقلام .

" يتعرض الكاتب إلى رقابة دينية وجنسية وعقائدية ، ومهما كانت هذه الرقابة فهي تنقص من شأن الكاتب الناضج المسؤول "[٤] ، لذلك نرى من الضروري ان تتوافر لدى الكاتب الذي يشعر بالمسؤولية تجاه ما يكتبه ، ومن يقرأ له الوعي

---

[١] ينظر : أساسيات علم النفس التربوي ، د. محيي الدين توق ، د. عبد الرحمن عدس ، دارجون ايلي ، ١٩٨٤ ، ص٢٨٤ .

[٢] الأدب المقارن ، ١٩٢ .

[٣] ينظر : أساسيات علم النفس التربوي ، ٢٨٤ .

[٤] النقد الأدبي ، داود سلوم ، ج٢ ، ص٨٨.

المتفتح ونضجه والتزامه الإنساني ، وحرية الإبداع ، ولا تفرض عليه اية رقابة مهما كان نوعها . وللدكتور (طه حسين) رأي في هذا الصدد ، إذ جاء في كلمته بمؤتمر أدباء العرب الثالث قوله : " ينبغي ان يكون الأديب حراً لا يعيقه شيء حتى يستطيع أن يؤدي دوره حقاً ، وهو إنسان ومواطن عليه واجبات لمواطنيه ، وله على وطنه حقوق "[١]. وفي رسالة للكاتب الروسي (شيخوف) حدد فيها سمات مشتركة للكتاب والأدباء الخالدين من ذوي المواهب المميزة الذين يهزون النفوس بابداعاتهم ومن تلك السمات هدف سام ونبيل يستند إلى تحرير الانسان من كل شيء يحاول ان يمس إنسانيته : " انهم يتجهون إلى شيء ما ، وأنهم يدعونك إليه أيضاً وأنت تحس لا بعقلك ، وإنما بكيانك كله ، وإن لديهم هدفاً بعضهم لديه أهداف مباشرة كالقضاء على الإقطاع وكتحرير البلاد ، وكالسياسة أو الجمال وغيرها "[٢]. ويؤكد الناقد (م. فورستر) وهو من أوائل من نظروا للقصة في كتابه أركان الرواية الذي ظهر عام (١٩٢٧) دور المبدع في خلق الشخصية القادرة على التغيير في العمل الأدبي بقوله : "انها خلق جديد يولد داخل خلق آخر مشيراً إلى الصراع الذي ينشأ بين (الشخصية) كمخلوق لابد للكاتب من الاحتفاظ بأهم مقومات حياته ، وتصوير الكاتب لتلك الشخصية في إطار فني جديد لا يوافق الحياة في جميع التفاصيل "[٣] . أي ان هذه الشخصية لابد أن تمتلك رؤية دقيقة وناصعة وتكون قادرة على اتخاذ موقفها وتحديد مسارها، وتتحرك في إطار الرفض أو القبول لما يدور حولها .

ويحدد الكاتب (لو وينفو) مسؤولية الأديب الملتزم في ان يكتب بحرية ويتحرر من جميع الضغوط لأجل ان يمنح قبساً من النور ويزرع الأمل في النفوس بقوله : " إني أشعر بالمسؤولية التاريخية لواجبي وان أكتب عن كل صنوف الحياة الإنسانية والقضايا الاجتماعية فأسكب دمي وأذرف دموعي وأحرقها من اجل ان ابعث نوراً

---

[١] الواقعية في الأدب ، ١٤ و ١٥ .

[٢] الواقعية في الأدب ، ١٢ .

[٣] مختارات نقدية من الأدب الحديث ، محمد شاهين . دار الشؤون الثقافية ، ط١ ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص١١.

ضعيفاً من الأمل في ظلام الليل الدامس لدى رؤيتهم ذلك النور من بعيد ، ويشعرون انهم سرعان ما سيبلغون غايتهم "[١]. وهذا يعني ان الأدب القصصي يتطرق إلى مجالات واسعة من حياة الانسان ، بل انه يفوق التصورات والخيالات ويسير في اتجاهات عدة تشتمل على الحياة كلها بما فيها من تناقضات وصراعات وتطلعات ، وأن فيه من دعوات التحرر ما يكفي لخلق الوعي لدى القارئ ، فالكاتب يحاول من خلال كتاباته دحر معالم الفوضى والارتباك في الحياة والعلاقات الإنسانية محاولاً في الوقت نفسه تكوين واعادة صيغة الوقائع على وفق نسق معين يرتضيه .

فالإنسان هو الهدف والغاية في النتاج الإبداعي ، إصلاحه وتغييره إلى الأحسن وانارة السبل أمامه وتحريره من الضغوط الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ومنحه المتعة والذوق والنضج الفكري ، فضلاً عن ذلك فان المبدع يحاول اعادة صيغة الواقع إلى جانب اكتشاف الحقائق التي تكتنفه فالكاتب فرانسوا مورياك تحدث عن نفسه بقوله : "أنا لا أراقب ولا أصف إنما أعيد اكتشاف العالم السلبي الصارم الضيق لطفولتي التعيسة والانطوائية "[٢].

وكان الإنسان محور اهتمام الكاتب الكبير (غوته) في كتاباته ويشغل الحيز الأكبر من تفكيره ولكنه يرى ان الكون لم يخلق من أجل الإنسان وحده إذ ان النشاطات الإنسانية يجب أن تتوجه إلى صالحه وكي يبقى يشعر انه حر ويركز على اهتماماته وما يدخل السرور في قلبه في آن واحد وكتب مرة فقال : " ان الموضوع الذي يحظى بأكبر اهتمام من الإنسان هو الإنسان نفسه "[٣].

أما الأديب العربي نجيب محفوظ فيتحدث عن إبداعه بقوله : "انه يرى الناس ويعاشرهم ويتأملهم ، وبعد ذلك تتكون شخصياته قطعة من هذا وشيئاً من ذاك ، ويغير في ملامح الوقائع حتى ان الذين يصورهم لا يعرفون انفسهم في القصص ،

---

[١] كبار الكتاب كيف يكتبون ، ت. كاظم سعد الدين ، دار المنشورات الثقافية ، ٦٣ .

[٢] نفسه ، ١٣٣ .

[٣] ينظر : اوراق للريح ، عبد الستار جواد ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ص ١٢٦.

وهو يرى ان الفنان الأصيل لا ينقل الحياة نقلاً أميناً ، بل يأخذ من واقع الحياة ما يصنع منه صوراً فنية تنبض بالحياة ولكنها حياة أخرى "[١]. وهذه هي الحياة الجديدة التي يطمح الإنسان أن يعيش بها حياة مفعمة بالأمل والتفاؤل والطمأنينة ، تنتشله من الواقع الذي قد يكون مراً وقاسياً ليس من منطلق الأحلام والخيال ، بل من مصدر بعث القوة والأمل والتفاؤل في نفس القارئ ، ومن خلال ذلك يتمكن القاص من منح قصصه الروح والأصالة .

ولا يخفى ان هناك بعض الأدباء من يهرب بعيداً عن الحياة المحيطة به إما إلى القديم والفناء فيه ، أو إلى الخيالات والأوهام والانطواء على الذات والتلذذ بالآلام ، وبعضهم من كان يمالئ الظلم والفساد في مجاري الملق والنفاق ، وإن أدب هؤلاء لم يكن للحياة ، بل كان موقفه منها سلبياً هارباً من المسؤولية ، وهذا ما نسميه بـ (الأدب الهامد) وإما ان يكون معاكساً ومناوئاً لتقدمها ومعاوناً على هدم قيمها وهو ما نسميه بـ (الأدب الهادم) "[٢]. وكلا الأدبين لا نطمح إليهما ولا نتمنى إضاعة الوقت فيهما دون جدوى لأنهما سيكونان باعثاً للسلبية واثارة عوامل الحزن والشجن فالأدب الذي نجد فيه بطلاً مقهوراً مغلوباً على امره انهزامياً يدفعنا إلى الحزن ، وإلى رثاء أنفسنا وواقعنا واجترار آلامنا والشعور بمرارة الحياة واخفاقاتها وعظم مصائبها والبطل المقهور : " هو البطل المغلوب على أمره وضحية الشيء خارج ذاته ويرجع هذا الشيء إلى المجتمع من حوله أو يرجع للقدر ومعظم نماذجه من النساء ، وربما كان ذلك راجعاً إلى الأحوال التي حاصرت المرأة في مجتمعنا "[٣].

ولا نقصد بذلك خلق بطل نموذجي ومثالي بعيد عن الواقع وقريب من الخيال ، ولكننا بحاجة إلى أدب يمنح الإنسان القدرة على التحدي والمواجهة والصبر ، ويثير في النفس مشاعر الحب والرحمة ودفء العلاقات الإنسانية وإلى بطل يترك في النفس اثاراً للقوة والشموخ والتفاؤل ، بطل إيجابي قادر على التغيير كاره للانهزام والاستسلام ، ويتطلع إلى حياة اجمل تؤسس على قيم نبيلة وايمان عميق لا يتزعزع

---

[١] ينظر : الواقعية في الأدب ، ١٨٧ .

[٢] نفسه ، ٦ .

[٣] قضايا الفن القصصي ، ٦٣ .

وعلاقات وتقاليد وعادات تطرح كل ما هو فائض وعائق في مسيرة الانسان . " ان البطل الايجابي تتبع ايجابيته من حركته البناءة نحو تغيير واقعه مجتازاً ما يعترضه من عقبات وكثرت نماذجه استجابة لما في واقع المجتمع من أحداث وما توفر لدى الروائيين من تفاعل مع هذا الواقع "[١].

تلك أولى مهمات القاص في خلق البطل الايجابي ولا يمكن الغاء دوره او تجاهله في ابداع نتاج ادبي يدعو إلى التحرر وتغيير المجتمع ، فهو يمثل النخبة المثقفة الواعية التي تطلع وتقرأ وتسافر وتلتقي بشخصيات اخرى مثقفة كي يدرك واقع التخلف والانحطاط الذي يعيش فيه المجتمع قياساً إلى المجتمعات الانسانية الأخرى[٢] . إن الاعمال القصصية ذات القيمة المكتملة الابعاد التي يقدر لها ان يستمر تأثيرها في وجدان الجماهير ليس من الضروري ان تتبع الأحداث آلياً . وان كانت أحداثاً مصيرية ، فان العلاقة بين الحدث والادب القصصي تتعلق بموقف القاص وبمدى وعيه وقدرته على التجاوب والحماس الفني ازاء ما يمر به شعبه من احداث مصيرية "[٣]. لذلك يجب ان لا يطلق القاص العنان لأفكاره ونزوات نفسه ويفصح عن كل ما يدور بخلده انه حر فيما يكتب وانما يجب ان تكون له اهداف واضحة ومحددة تخدم القارئ ، وان يكون له تطلع نبيل وسام لاثرائه بما هو جميل وثري بأفكاره ورؤية واعية للأحداث تطرح المشكلات وتقدم الحلول في الوقت نفسه ، فخير الأعمال الأدبية التي أبدعت على يد كتاب عظام يشعر القارئ بها في نهاية الأمر باحساس مشحون بمختلف المشاعر .

ويدعو الكاتب الايطالي (البرتو مورافيا) إلى اتخاذ موقف واضح وملتزم يسعى لتغيير الواقع وهو يطرح رأياً مفاده ان الكتاب يعنون بتمثيل الواقع أو خلق واقع مطلق وكامل أكثر من الواقع نفسه ، وأنهم اذا أرادوا انجاز ذلك فعليهم اتخاذ موقف خلقي واتجاه سياسي واجتماعي وفلسفي واضح الفهم والتصور وحتماً ان

---

[١] قضايا الفن القصصي ، ٥٢ .

[٢] ينظر : البطل المصلح في الرواية العراقية ، د. صبري مسلم حمادي ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٨ الموسوعة الصغيرة ، (٣١٩) ، ص١٣ .

[٣] في النقد القصصي ، ص١٣ .

معتقداتهم ستجد سبيلها إلى اعمالهم[١]. ويثني الشاعر (نزار القباني) على حظ الأدباء الكتاب بقوله : " من حسن حظ الانسان ان يجد في هذا الزمن الصعب المزدحم بالسماسرة والمقاولين والمخبرين كرسياً يجلس عليه وورقة يبكي على صدرها "[٢]. ونؤيد حسن حظ الكاتب الذي يستطيع ان يقول ما يجيش في صدره ولكن ليس بالبكاء ، بل محاولة الوصول إلى تحقيق ما هو مطلوب وتغيير ما هو مرفوض والوصول إلى مستوى الرضى والقناعة في تحقيق الطموح والغاء ما هو مظلم وقبيح .

ويختلف الانسان المبدع عن العادي بوعيه وقدرته على رؤية الأمور من حوله بأبعاد مختلفة فهو يقلب الأمور والأحداث ويمحصها ولا يقبلها كما هي ، فالمبدع قد يواجهها او يرفضها او يتمرد عليها أو يدرسها بأمعان ، ووعيه يدفعه إلى النظر في كل ما حوله فتبدو في نظره أغلب الأحوال تافهة وضئيلة ، وأنه لا يتقبل كل شيء بسهولة ، ومن هنا يأتي انفصاله عن الواقع وعدم قدرته على التكيف معه ، فهو يبحث عن الاشياء الحقيقية والجوهرية والأساسية في المجتمع وعلاقاته واطره ، ويبتعد عن الأشياء المزيفة والظاهرية وهنا تكمن قدرته على الابداع ، فخلافه مع ما هو سائد ومألوف يدفعه إلى ان يكتب آراءه وأفكاره حين لا يجد من يستمع اليه وحين يحاط بسوء فهم كبير ، ففكر المبدع شيء عظيم يضج بالاسئلة والمفاهيم والآراء والأفكار التي تكون متباينة مع أفكار المجتمع .

ان الشخص المتعالي في مستوى ابداعه لا يرتفع في مستوى علاقاته ومزاياه الاجتماعية ، انه غالباً ما يعطي الانطباع حوله بانه غير اجتماعي او أنه ضد التقاليد الاجتماعية ولكنه في حقيقة الأمر أقل حرصاً من الشخص العادي لأنه يحظى بالتقبل الايجابي من أقرانه في أغلب الأحيان لا ينزعج شخصياً إذا كانت آراء الاخرين حوله سلبية او رفضاً اجتماعياً لأن اتجاهه يكون إلى الداخل اكثر من اتجاهه نحو الخارج فهو مشغول بهموم ومشكلات ابداعه ويتأثر بمتطلبات المشكلة التي يعمل لها أكثر من اهتمامه بتقييم الناس من حوله له ، وهو لهذه الاسباب لا

---

[١] ينظر : كبار الكتاب كيف يكتبون ، ٢٩ .

[٢] تنظر : مجلة العربي ، ص٢٣ .

يأبه للمجتمع كثيراً ولا يهتم بالعلاقات الاجتماعية التي تسود المجتمع فيظهر كأنه غير اجتماعي أو ضد التقاليد الاجتماعية[١] .

ان الوعي والنضج الفكري اللذين يتوفران لدى الانسان المبدع يدفعانه إلى رفض القيود والضغوط الاجتماعية والتقاليد والعادات البالية . وبالمقابل يسلك سلوكاً ربما يصبح في نظر الناس العاديين سلوكاً شاذاً أو منحرفاً أو غريب الأطوار وغير مألوف ، وأكثر الكتاب عاشوا تجارب مرة ومعاناة ثقيلة الوطأة من جراء التناقض الحاصل بين سلوكهم ووعيهم ، وسلوك ووعي الناس العاديين ، والطرح الذي تطرحه الكاتبة السورية (غادة السمان) حول تجربتها الابداعية ، وعلاقتها بالأهل والناس والمجتمع يؤكد ما نحن بصدده إذ تقول متحدثة عن نفسها: انها سجنت وطردت من عملها لأسباب شخصية انتقامية ، وان رغبتها في الاستقلال أوقعت القطيعة بينها وبين أهلها وأنها عاشت غريبة في بلاد غريبة من دون حماية الأسرة والمركز الاجتماعي والنفوذ ، وفي أوبا عرفت معنى ان يكون الإنسان وحيداً وطريداً ومهدداً بالسجن وبلا أي سند ، وإذا مات تكتشف جثته بفعل رائحتها لا بفعل افتقاد احد له[٢] . وعلى الرغم من شدة التجربة ومرارتها فإن الكاتبة (غادة السمان) ، تواصلت واستمرت على تجربة الكتابة وابدعت في نتاجها .

ان الواقع اليومي والتجربة المعاشة واحوال الحياة التي يعانيها القاص تحتم عليه اتخاذ مواقف معينة وتلزمه بسلوك محدد ربما تكون الدافع والمحفز على الابداع فهي تتحدث عن توجهاتها الفكرية والمواقف التي اتخذتها والدروب التي سلكتها من أجل قيمها وأفكارها فهي كتبت عن الحرية وكان عليها مواجهة نفسها هل كانت صادقة أو لا في كل حرف كتبته عن الحرية ، ومواجهة العالم والايمان بالمبادئ وتحويلها إلى سلوك حتى النهاية ، وانها وقفت وحيدة بمواجهة كل القوى المتحالفة ضدها والمؤسسات العتيقة المحنكة الأساليب التي ترى في وجودها كتابة وممارسة "

---

[١] ينظر : اساسيات علم النفس التربوي ، ٢٨٦ .

[٢] تنظر : مجلة الشرارة ، اعترافات امرأة ليست رصينة ، غادة السمان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، مطبعة الكفاح ، لبنان ، بيروت ، تشرين ثاني ، ١٩٧٤ ، ص١٠١-١٠٢.

افساداً " لجيلها وتحريضاً ضمنياً لهم على اكتشاف ذاتهم بعيداً عن المسلمات التقليدية والأفكار الرجعية حول حقوق المرأة خاصةً وحقوق الفرد العربي عامةً [١] .

فأي شقاء يعانيه الكاتب العربي كي يعبر عن مواقفه وآرائه ويترجم أفكاره إلى سلوك معين ويجابه بكل انواع المعارضة وسوء الفهم والرفض والاستنكار فتكون الكتابة مصدر شقاء ، وهذا ما يؤكده جورج سيمنون بقوله : "ليست الكتابة حرفة ، بل هي نداء الشقاء الباطني ، ولا اعتقد ان الفنان يمكن أن يكون سعيداً "[٢]. وتنشأ معاناة المبدع من عدم القدرة على التكيف او التلاؤم مع المجتمع مما يدفع به إلى الرفض والتمرد عليه وعدم الانصياع له لما يمليه عليه . فالأديب زكي مبارك الحاصل على الدكتوراه من باريس قد اشتغل ردحاً من الزمن في الجامعة ثم خرج منها في احوال وملابسات من صراعه المتواصل٠٠٠ لأنه لم يتمكن من التلائم مع ما يراه من أوضاع فاسدة وأمور يرتضيها فقال عن نفسه " ان استغلال ارادتي حال بيني وبين الاندماج التام في هيئة من الهيئات او حزب من الأحزاب ، فأنا بين المؤمنين (ملحد) وبين الملحدين (مؤمن) وانا (بار) عند الفجار و(فاجر) عند الابرار ، وأنا في كل بيئة (أجنبي) وفي كل أرض (غريب) "[٣]. وحين نؤيد الدكتور زكي مبارك في عدم قدرته على التكيف مع البيئة والمجتمع ، وأنه كان مستقلاً في آرائه ، عنيفاً في معاركه وهو امر مسلم به للفارق الكبير بين وعي وفهم المبدع للمجتمع ، ووضع المجتمع ونظرته إلى المبدع .

وفي رأي الباحثة أن يحتفظ المبدع بأكبر مقدار ممكن من الطاقة الابداعية لا يهدره في جدال ومعارك لا تغني ولا تسمن ، فبامكانه محاولة الابتعاد عن التطرف والتعصب في الرأي ، وتحقيق أكبر مقدار من المرونة في التقريب بين رأيه ورأي المجتمع كي يؤثر فيه بشكل ايجابي وبناء .

وثمة عوامل أخرى تدفع المبدع إلى محاولة التحرر من المؤثرات الحياتية التي تحيط به وهي معاناته من عوامل القرف من محيطه العام والخاص ، مسألة

---

[١] تنظر : مجلة الشرارة ، ١٠١ .

[٢] كبار الكتاب كيف يكتبون ، ٩١ .

[٣] الواقعية في الأدب ، ١٩٠ .

الاعصاب والضياع والعجز عن فعل شيء واليأس من جدوى العمل ، إذ ان لبعض الادباء نزعتهم الخاصة للتحرر من الأمور القاسية التي تكون في جانب منها سلبية ومرضية سببها العصبية التي يبلغ بها التعب مبلغاً كبيراً ويصل إلى حد الانهيار على سبيل المثال نهاية فرجينيا وولف منتحرة وبعضهم يميل إلى الانطوائية والفردية والانعزال عن المجتمع[١] . والسبب في عدم قدرة المبدع على التكيف مع الواقع يعود إلى تنامي الوعي الفكري له ، وعدم فهم من حوله أو سوء فهمهم له فيصل به الأمر إلى مستوى القرف واليأس والضياع . وبالمقابل يدعو الاديب العربي نجيب محفوظ الكاتب إلى ان يكون حراً في افكاره وفي طرح آرائه واتخاذ المواقف ، فهو يدعو إلى تحرير الكاتب من عبودية المجتمع واطلاق العنان له فيما يكتب وفسح المجال له لأن يكتب كل ما ينبغي كتابته دن قيد أو شرط أو رقابة وان ينظر باحترام فائق إلى حريته بكل أشكالها وصنوفها وآفاقها بقوله : " لا علاج لانحراف الحرية إلا بالمزيد من الحرية ، ولا علاج للانحرافات الا عن الطريق المشروع الوحيد ، النقد والحوار ، وأنا أفضل أن يوجد مثقف ضار ان صح هذا التعبير نتيجة الحرية على ان لا يوجد نتيجة فلا يجوز منحي الحرية وتحذيري من الأفكار الهدامة لأن كل معارض يعد معارضة الآخر هداماً "[٢] .

ولكن الكاتب يعيش في ظل أنظمة سياسية ، ولهذه الأنظمة رقابة وقوانين تشرعها كي تحفظ بها وجودها وان كانت على حساب حرية الآخرين ، فضلاً عن ذلك ان الكاتب معرض لرقابة من نوع آخر هي الرقابة الجمالية والأخلاقية والعرفية ، فالكاتب الذي يعيش في ظل نظام مستبد قاس يجد ان نصف حريته مثلاً قد ذهبت ، وكذلك الحال بالنسبة لكاتب يعيش في ظل نظام فاشستي أو نازي فأنه لا يمكن أن يدعو إلى الاخوة الانسانية[٣] .

---

[١] ينظر : من حديث القصة والمسرحية ، ١٥٦ و ١٥٩ .

[٢] مجلة الفكر المعاصر ، حوار الثقافة المغيرة والحرية والفلسفة ، نجيب محفوظ ، ع٢ ، ١٩٧٤ ، ص٤٦ و ٤٧ .

[٣] ينظر : النقد الادبي ، ق٢ ، ٨٨ .

وثمة تناقض كبير بين نظرية ان الانسان حر في حياته يولد حراً ويعيش حراً ويموت حراً وله الحق ان يفكر ويعتقد كما يشاء ، ويكون للكاتب ايضاً كفرد في المجتمع الانساني الحق نفسه في ان يختار الموضوع الذي يريد ان يكتب فيه دون أي اعتبار خلقي واجتماعي وبين الواقع الحياتي الذي يعلن ان الانسان ليس حراً ، فالانسان معرض للظلم والطغيان والاهانة والخضوع لأنظمة فاسدة او جائرة او لأنظمة لا توافق عقيدته او دينه أو رأيه ، وقد تحرم الأنظمة على الانسان كثيراً من الاشياء التي تريد السلطة ان تحرمها[١] .

ان الاديب المبدع اكثر الناس احساساً بالغربة بحكم الوعي المكتسب من خبرات الحياة والاطلاع الواسع على تجارب الاخرين والتأمل لما يحدث ، ومواجهة المواقف وتبني الآراء : " كلما ازداد وعي المثقف بازمته واجهته ضرورة اختيار موقف بعينه ، فأما الانسحاب من الواقع وتجنب المواجهة وكذلك الهرب واللامبالاة واما المصالحة الظاهرية مع الواقع والرفض الضمني له "[٢]. وهذا ما يؤدي إلى حدوث التناقض بين ما هو كائن وما هو مطلوب وصعوبة التكيف مع المجتمع ونشوء الصراع بين الذات والمجتمع .

وكي يتمكن القاص المبدع من تحقيق التوازن في حياته الابداعية والوصول إلى مستوى لا بأس به من القدرة على التكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه وتعزيز حالة التحرر لديه لابد من توفر بعض الأولويات له وأهمها تحرير المبدع من الضغط الاقتصادي كي يتمكن من الأبداع بعيداً عن التبعية الانتهازية ولا يبيع نفسه للنفاق الفكري ولا يخون الفكرة ولا تتبدد طاقته في الملاءمة بين حاجته الفكرية المستقلة ، وحاجته إلى الخبز والعيش ، فيبتعد عن رسالته الضرورية لتطوير فكره ونموه فضلاً عن ذلك تحطيم الارستقراطية الأدبية بفتح الطريق أمام العناصر الصالحة فكرياُ او علمياً للتقدم ومحاولة دراسة كل شخصية فكرية وتحولاتها بحسب اختلاف النظم السياسية ، مقدار مجاراتها ومعارضتها للنظم الفاسدة أو الظالمة ،

---

[١] ينظر : نفسه ، ٨٧ .

[٢] البطل المصلح في الرواية العراقية ، ٤٧ و ٤٨ .

وزيادة وعي الجمهور بزيادة عدد القراء والمثقفين والقضاء على الأمية وحماية الاثر المحلي[1] .

اننا في جميع الاحوال نحذر الحرية المطلقة التي تنطلق في جميع الاتجاهات وقد تكون فوضوية عبثية هدامة ، فثمة فرق كبير وشاسع ان يكتب المبدع كل ما يجول في ذهنه ويسير في دروب الظلام المزروعة باليأس والحزن والآسى والتشاؤم لأنه يريد ان يكتب فقط ويسطر مرارة واقعه واخفاقه وبؤسه ، وبين مبدع يوجه كتاباته نحو دروب النور والضياء فيزرعها بالأمل والقوة والصبر والتحدي لأنه يريد ان يغير ويهدم الرديء ويبني ما هو جميل ودافئ وعذب يكون مصدر بهجة وراحة ووعي وادراك وفهم القارئ في الوقت نفسه .

يتبين مما تقدم ان القاص بحكم انه مبدع يخضع لما يمليه عليه العمل الابداعي من معايير تدفعه إلى طلب التغيير الذي يصل إلى مستوى شمولي بعيد المدى ولا ينحصر في نطاق محدود أو ضيق بل يتعدى الانسان والمجتمع والوجود . ويسود العمل القصصي ما يمليه عليه تفكيره من رفض واستنكار ودعوة إلى التجديد والتطوير ورفض ما هو سائد ، والتطلع إلى حياة أجمل ومن هنا تنبع اهمية العمل الابداعي .

ويبدو ان القوة المبدعة الخلاقة التي تكمن في ذات القاص تدفعه إلى سلوك الاتجاه التحرري في ابداعه وتملي عليه تحدي الأوضاع السائدة ومحاولة اعادة صياغة الواقع والعلاقات الانسانية صياغة جديدة تنسجم مع رؤيته للأمور وفهمه للحياة فيصبها في قالب ابداعه الأدبي . ولكن الاتجاه التحرري يختلف بين قاص وأخر ، إذ نجد في بعض الاحيان قاصاً يسعى إلى التحرر من الظلم الاجتماعي السياسي والاقتصادي . وقاص آخر يسعى إلى الخلاص من قضايا حياتية أو انسانية او يتوق إلى الحب والجنس والعلاقات الاجتماعية . وفي الوقت الذي نجد فيه نزعة التحرر لدى بعض الكتاب تشكل نوعاً من الهروب والانهزام نجدها لدى بعضهم الآخر محاولة للتخلص من كل ما هو سلبي ومؤذ وغير مريح .

---

[1] ينظر : قضايا أدبية عراقية ، د. داود سلوم . كلية الاداب ، بغداد ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، ١٩٧٧ – ١٩٧٨ ، ص٢٦ و ٢٧.

وقد يميل بعض الكتاب في محاولة تحررهم إلى الفوضى والتشتت والضياع أو إلى الثورة والتمرد والعصيان ، ولكننا نجد على العكس من ذلك كتاباً يسعون إلى تحقيق اهدافاً واضحة ومحددة . وعلى الرغم من اختلاف نزعة التحرر بين القصاصين وتباين اتجاهاتها ونسبتها في العمل القصصي فانها موجودة لدى القاص وتمثل سمة اساسية من سمات ابداعه ويكون لها حضورها الفاعل فيه وتأثيرها المباشر في المتلقي وعلى مجريات الأحداث في العمل القصصي ولابد ان يكون لكل قاص نوعاً من التطلع والأمل والرغبة في التغيير والتجديد والاشتياق لبناء حياة جميلة بكل مفرداتها الحياتية .

المبحث الثالث

الاتجاهات الفكرية والاجتماعية للقصاصين العراقيين

في قراءة سريعة لأبرز القصاصين العراقيين ندرك من خلالها ان القاص العراقي كان جاداً في طرح أفكاره قريباً من الواقع الاجتماعي وملتصقاً به ، وانه تناول مضامين فكرية واجتماعية حاول صياغتها فنياً ، وارتبط بقضايا الوطن والأمة ارتباطاً مصيرياً ، وتمكن من رصد التقاليد والعادات والعلاقات والقيم الاجتماعية إلى جانب توجهاته الفكرية التي شخصت القضايا الروحية والسياسية . إن الباحثة أسست لمجموعة من القصاصين البارزين الذين كانوا علامة مميزة في مسيرة القصة العراقية وليس جميعهم ، ولكنهم من الذين أسهموا في إنضاج القصة القصيرة في العراق وشغلتهم همومها وهموم المجتمع والوطن والأمة .

فالقاص (عبد المجيد لطفي) هاجم الظلم والنفاق والحواجز الاجتماعية في أقاصيصه التي تنحو منحى اجتماعياً صور فيه آلام الناس وأحزانهم ، ورصد عادة القتل غسلاً للعار ، وقيم التضحية التي تقابل بنكران الجميل وإيمانه بالإنسان التواق إلى التغلب على متاعب الحياة ، ورصد كذلك عواطف الناس وحياتهم وأعمالهم[١] . وكان دافع التغيير عند المبدع أول دوافع الكتابة عنده ، فحاول من خلال ذلك التحرر من عوامل الألم والضيق واليأس ، وتحدث القاص عن تجربته القصصية قائلاً : " الباعث في الأصل رغبة عارمة تأتي في أوقات تبدو كأنها طارئة في حين إنها نضح من الامتلاء والحساسية الملحة للتغيير ، ولأن تجاربي في الحياة كانت قاسية لأنني تعرفت على الضيق والبؤس في أعقاب يتم مبكر ، فان صلتي بالآلام والمتاعب كانت اكبر واعمق ففهمت عن طريق احزاني الشخصية أحزان الآخرين ومتاعبهم وتبعاً لذلك جاءت قصصي وليدة لتك التراكمات المترامية الحية بمكابداتي الموجعة "[٢].

---

[١] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٥٤ .

[٢] ملتقى القصة الأول ، ٢٨ .

ويتحدث القاص عن أهدافه في كتابة القصة فيقول : "اننا حاولنا ان نجعل من القصة عملاً اجتماعياً وواجباً فكرياً في نضال جيلنا من أجل حياة افضل وعدالة اشمل كما إننا بحدود ظروفنا قد جابهنا العدوان الاستعماري وتصدينا بإصرار للأفكار الرجعية والمعوقة بهذا القدر أو ذاك ولأن ذلك كان يتطلب مثابرة عنيدة ومباشرة في الكفاح فقد تخطت بعض أعمالنا ما يجب ان لا تتخطاه لذلك جوبهت من قبل السلطات التي حاولت تحديد اتجاهاتها وفق هواها وكانت تسخر منها معتبرة اياها وسيلة لهو ، لقد قاسى الرواد الآلام والحرمان بسبب مواقفهم الفكرية كما يجب"[١].

اما القاص (جعفر الخليلي) الذي ولد عام ١٩٠٢ احد كتاب القصة العراقية القصيرة فقد تميز بشدة ميله إلى انتقاد العادات والتقاليد والمعتقدات السائدة فانه كان يحاول من خلال انتقاده اصلاح المجتمع والنهوض به ورصد كل ما ينخر به من عوامل التخلف التي ترافق هذه المظاهر في المجتمع وشخص في قصصه معتقدات ايجابية بناءة تساعد على تقوية اواصر المجتمع وعلى النقيض من ذلك رفض معتقدات سلبية تؤدي إلى تأخر المجتمع وتخلفه .

وكان القاص في اتجاهه هذا متأثراً بالأدب العربي القديم والقصص الشعبي اكثر من تأثره بالقصص الغربي المترجم ، ويطل هذا التأثير علينا من الروح العام الذي يسود قصصه فيشعر القارئ بأجواء القصص الشعبي فيقدم القاص ضرباً من الحكايات الشعبية المنتشرة بين الناس ويعرض من خلالها معتقدات العامة[٢] .

ان طرح المعتقدات الشعبية في القصة كان من ابرز الاهداف الاجتماعية التي سعى القاص إلى طرحها وشخص من خلالها الامراض الاجتماعية التي من الممكن ان تنجم عنها بالانسياق وراءها والاعتقاد بها وتطبيقها في الحياة العامة والخاصة . " ان الاهتمام بالاتجاه الواقعي عند القصصين العراقيين يعود إلى أن معظمهم يكتب من أجل تشخيص الأمراض الاجتماعية ، ومحاربة التقاليد البالية ولخدمة هدف أو غاية سياسية او يعمدون فيها إلى عرض أفكارهم ومعتقداتهم ،

---

[١] ملتقى القصة الأول ، ٢٧ ، وينظر رحلة مع القصة العراقية ، ١٠٤-١٠٥ .

[٢] ينظر : نشأة القصة وتطورها ، ١٨٠ .

ويدعون إلى هذه المعتقدات والمذاهب التي يهدفون إلى نشرها بين الناس كما فعل ايوب او من أجل هدف اجتماعي بحت كما فعل جعفر الخليلي وشالوم درويش"[١].

وكانت قصصه تسخر وتنتقد مظاهر اجتماعية سائدة فطرح كثير من قضايا المجتمع محاولاً تغييرها رافضاً مظاهر التخلف والتأخر " اراد جعفر الخليلي ان يأتي بشيء جديد في محيط لا يكترث إلا بألوان الأدب والفكر التي تحيط بالدين ورجاله ، وأراد ان يحول فنه ليحل مشكلات المجتمع بالنقد والسخرية ، ورسمها بصورة لا ترضاها النفوس وهو كان قريباً جداً من مظاهر الحياة فصورها ، والتقطها ورسم احزانها وافراحها في الشارع والمسجد ومغاسل الأموات والمقابر والمدارس "[٢].

وتميز القاص باختيار النموذج الاجتماعي الذي يتصف بالغرابة ، واهتم برصد العادات والتقاليد واعتمد في رصده ادانة سلبياتها وعدم مطاوعة بعضها لروح العصر مختاراً من النجف الاشرف وعالمها الشيء الكثير والغريب[٣] . " وهو لا يهتم بما هو مثير للعطف وانما يركز همه على ما هو شاذ وغريب "[٤]. وللقاص قدرته الكبيرة على النفاذ إلى اعماق المجتمع العراقي وتصويره مرض الانتهازية المتفشي في المجتمع لما تميز به من دقة ملاحظة[٥] .

وهدف القاص من كتابة القصة بث الأفكار الاصلاحية والاراء التي تصلح حياة المجتمع ، فالصورة التي يرسمها القاص ليست مقصودة لذاتها وانما تستهدف شيئاً آخر هو النقد الاجتماعي انه يكتب قصصه ليس لمجرد شخصية من حياته ،

---

[١] القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٧٧ .

[٢] القصة في العراق ، جذورها وتطورها ، د. يوسف عز الدين ، المنظمة العربية للتربية والثقافةوالعلوم ، معهد البحوث للدراسات العربية ، ١٩٧٤ ، ١١٥ و ١١٦ ؛ وينظر : الأدب القصصي في العراق ، ج١ ، ١٣٧ و ١٣٨ .

[٣] ينظر : رحلة مع القصة العراقية ، ص٩٨ .

[٤] الشخصية العمالية في القصة العراقية ، ٢٧ .

[٥] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٨١ .

انما يكتبها ليتخذ منها موقفاً معيناً من الحياة ويوجهها لنقد المجتمع والكشف عن مواصفاته الاخلاقية الكاذبة ورياءه البشع وعاداته البالية[١] .

أما القاص (ذو النون ايوب) فإنه دخل عالم القصة هاوياً غير منصرف لأن يكون قاصاً بقدر ما كان يريد ان يكون ناقداً اجتماعياً يخدم وطنه ويعبر عن أفكاره المتجددة المعارضة والثائرة على الواقع . فكتب اقاصيص وروايات ذوات هدف لجتماعي وسياسي سامحاً لنفسه التدخل المباشر والتعليق وطرح الشعارات ، بل واتباع اسلوب السخرية المتوترة المصورة لتناقضات الواقع "[٢]. وانطلق القاص من اسس فكرية محدودة الملامح فشكلت قصصه اتجاهاً متميزاً في القصة العراقية الحديثة ، وكان له اثره الواضح في عدد من القصاصين في الاربعينات وفي المرحلة اللاحقة[٣] .

تناولت قصصه معاناة الشعب وهمومه وكدحه في سبيل العيش فقد " احتل مكاناً مرموقاً في القصة لاكثاره منها ومواظبته عليها وتوفر قراء لها ، وكانت مضامينها مضامين الواقعية الاشتراكية في عرض الواقع المر الذي يعانيه الشعب ولا غرو ان كان عنوان إحدى مجموعاته (الكادحون) ٠٠٠ التي دعا فيها إلى نهوض الكادحين ، واعادة حقوقهم والانتصاف لهم من الحاكمين والاقطاعيين "[٤]. ورصدت قصصه النواحي المختلفة للحياة الاجتماعية وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالحياة السياسية متناولاً اياها بكثير من الجرأة والشجاعة الامر الذي اثار له مشاكل لا حصر لها ، احتملها بجلد وصبر واضطرته في احيان كثيرة إلى الدفاع عن نفسه حين كان بعضهم يتصور ان يكتب عن اناس معينين في المجتمع العراقي ، وكان يتعرض في قصصه لناحية من نواحي المجتمع أو مشكلة ، من مشاكله[٥]. فوقف عند معالجة كثير من القضايا الاجتماعية والسياسية اليومية بجرأة نادرة ، وكتب عن كثير من

---

[١] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٨٧ .

[٢] رحلة مع القصة العراقية ، ٩٩ .

[٣] ينظر : الادب القصصي في العراق ، ج١ ، ٣٦

[٤] من حديث القصة والمسرحية ، ٣٨ .

[٥] ينظر : نشأة القصة وتطورها ، ٢٦٥ .

العلاقات الطبقية في الريف العراقي وعالج قصصه بروح الباحث الاجتماعي الساعي إلى معرفة اسباب التخلف[١] .

وجسد القاص في الوقت نفسه مهمة المربي الحريص على مستقبل طلابه وتابعيه في كل مقدمة يكتبها وفي كل اهداء ، وتكاد تصبح غايته الرئيسة فهو يريد لهم النور الذي يجب ان يكافحوا من أجله ويريد لهم ان يعشقوا الحرية ويسعوا اليها ويريد ابطالاً مسلحين بالعقل والمنطق والجرأة على الباطل[٢] . فكأنه يعلن عن تطلعاته وتوجهاته إلى خلق جيل متحرر معانق للحياة ومتنور فكرياً وذهنياً ، وله اقدامه وشجاعته وثقته بنفسه .

ويؤمن القاص ان الإنسان كائن كريم ينزع إلى حياة حرة كريمة يعمل من أجلها ، وله القدرة على بلوغ ما يريد على الرغم من العقبات التي يضعها المستغلون والحكام من ورائهم لعرقلة مسيرة الإنسان نحو هدفه عن طريق قوانين تسنها الحكومة لخدمة الطبقة المستغلة المرتبطة بالاستعمار "[٣]. وعلى الرغم من احتدام حالة الغضب لدى القاص وتأجج الرفض والتمرد في داخله ضد كل ما يشوب المجتمع من عوامل الزيف والرياء وسيادة الرذائل فان رفضه وغضبه كان مشحوناً بالنقمة والاستياء الأمر الذي نجم عنه التذبذب في المواقف ودفعه إلى الاحساس بالاحباط والانسحاب من الواقع وانه كان بحاجة إلى فهم الواقع اكثر وان يكون على قدر كبير من الوعي بمجريات احداثه كي يحافظ على ثبات افكاره ومواقفه."مع ان ايوباً لم يكن عالماً اجتماعياً ولا باحثاً نفسياً ولا رجلاً اقتصادياً إلا انه كمتمرد كان يعوزه سلاح ضروري كي يحتفظ بايمانه وفعاليته الثائرة ، وذلك هو سلاح الفهم الصحيح لمنشأ الاوضاع والرذائل التي يحاربها ويطمع في ازالتها والفهم الصحيح لطرق هذه الازالة ، ان المتمرد الذي يحتدم بعاطفة ثائرة وهو لا يفهم منشأ الرذائل التي يثور عليها ولا طرق ازالتها لجدير بأن يفني نفسه في صراخ الاحتجاج "[٤]. وعمد القاص إلى الربط

---

[١] ينظر : قصاصون من العراق ، ١٠ .

[٢] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١١٠ .

[٣] نفسه ، ١١١ .

[٤] القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٠١ .

بين الأدب والوطن محاولاً ابراز الخصائص الجوهرية للوطن وللناس الذين يعيشون فيه .وارتبطت اقاصيصه بالأرض العراقية ارتباطاً وثيقاً وعالج الواقع متحدثاً عن العراقيين في حدود العراق وفي العصر الحاضر وتلمس شخصياته من الطبقات التي تقف وجهاً لوجه امام الحياة في كفاحها اليومي المرير في سبيل البقاء .

وسادت قصصه نبرة تهكمية بالغة وسخرية لاذعة من كثير من قيم مجتمعه ونظمه التي كان يهتم فيها اهتماماً بالغاً في تحليل مشاعر ابطاله ومحاولة النفاذ إلى دخائلهم[١] . وتناول وضع المرأة والعمال والفلاحين والمثقفين من الادباء ومظاهر التردي والفساد بين رجال الحكم والجهاز الاداري وعالج مشاكل سياسية معينة في البلاد[٢] . وشخوص قصصه اكثر ايجابية وقدرة على مصارعة الحياة ، وهو يؤمن بأن القصة لا تكتب ولا تقرأ لذاتها ، ولكن لاظهار عيوب المجتمع ونقده، فلا بد ان تكون ملتصقة به ، وان الالوان المحلية التي تظهر في قصصه هي بمثابة الجسر الذي يصنعه بين الواقع الذي يكره والمستقبل الذي يرجو ، ويميل إلى التفاؤل والتطلع إلى المستقبل ويعتقد في قراره ان النضال لابد ان يثمر وان الانسانية لابد ان تنتصر . أما اثاره فأنها انتقدت السياسة العامة في العراق آنذاك ، واستهجنت التقاليد البالية التي تجر المجتمع إلى الوراء[٣] .

وتوزعت قصصه بين قضيتي الدين وقضية المرأة التي نادى بها كما نادى بالحرية الكاملة للانسان وتمرد فيها على جملة التقاليد والشرائع والمواصفات الاجتماعية[٤] . واصطدم ذو النون ايوب بالحياة ، الأمر الذي نبهه وأيقظه واقنعه إلى ان الكثير من المتناقضات في المجتمع وفي منطق رجال الحكم يرجع إلى عوامل جذرية تكاد تنتظم كل نواحي الحياة فسعى إلى اعطاء صورة صادقة للحوادث والشخصيات والأنظمة والقوانين الحكومية والشعبية والانظمة المتعارفة والتقاليد

---

[١] ينظر : نشأة القصة وتطورها ، ٢٥٨ .

[٢] ينظر : الادب القصصي في العراق ، ج١ ، ٢٠٢-٢٠٤ .

[٣] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١١٠-١٨٢ .

[٤] نفسه ، ١٠١ .

المرعية ناقداً لها[١] . فمثل الاتجاه السياسي في نقد الانظمة القائمة خير تمثيل والتي عبرت عنها مقدمات كتبه التي كانت تشف عن فهم خاص للأدب ودوره في الحياة السياسية والاجتماعية وكان لهذا الاتجاه دوره بسبب تعاظم الوعي السياسي واشتداد الصراع السياسي بين القوى الوطنية والحكومات المرتبطة بالاستعمار بسبب هذا الوعي وبسبب عوامل اخرى[٢] .

وكان لاصطدامه ببعض المسؤولين السبب المباشر في دفعه إلى كتابة انتاجه القصصي محاولاً تعرية الواقع السياسي والاداري بحدة وسخرية إلى جانب الجرأة الامر الذي نجم عنه حدوث مشاكل عديدة له مع السلطات الحاكمة فعوقب ادارياً وكاد يفصل من عمله ووضع موضع الصدارة من الحركة الوطنية التقدمية فسعت القيادة السياسية إلى احتضانه وبوأته مركزاً مهماً في قيادتها ولكنه اختلف معها لفرديته واستقلالية رأيه فاعتبر الامر انشقاقاً واتهم وأدين[٣] .

واتصف القاص بقدرته على مصارعة الخطوب وعدم الاذعان لها وعناده وحرصه على استقلال رأيه ومواقفه الجريئة التي عكسها سلوكاً وأدباً وهي مواقف اتصفت بالتناقض فأسئ فهمه بها[٤] . واكد القاص على ضرورة فهم الانظمة والتقاليد والقوانين السائدة في المجتمع ، ومحاولة التطرق اليها طارحاً موقفه منها ورأيه بصددها فيقول : " في يقيني ان اعظم مهمة يجب على الادباء والقصصين منهم على الاخص ان يضطلعوا بها هي اعطاء صورة صادقة لما يقع تحت ابصارهم من حوادث عجيبة وشخصيات غريبة وانظمة وقوانين حكومية وشعبية ، يدخل ضمن ذلك القوانين غير المكتوبة التي يقع تحت تأثيرها المجتمع ، تلك الأنظمة المتعارفة والتقاليد المرعية التي تسرب احترامها في دمه "[٥]. واكد ايضاً ان من ابرز مهام القاص التي يجب عليه القيام بها ان

---

[١] ينظر : الادب القصصي في العراق ، ج١ ، ١٩٨ .

[٢] نفسه ، ٣٦ .

[٣] ينظر :نفسه، ج١ ، ٢٠٩ .

[٤] نفسه ، ٢١٧ .

[٥] القصة القصيرة في العراق ، ١٠٩ .

يكرس قلمه لفضح الطغيان والطغاة فيقول : " من مهمة النضال السياسي حينما يكون في امة مستعمرة او مضطهدة يحكمها الطغاة والخونة ، ان عليه في مثل هذه الحالة ان يكرس قلمه لرفع الحيف وفضح الظلم ، واثارة الناس على الطغيان"[١].

واقترب القاص (ذو النون ايوب) من القاص الرائد (محمود احمد السيد) في اتجاهه التحرري لمحاولة الاصلاح الاجتماعي والدعوة إلى التغيير الحضاري ورفض ما هو سائد من أوضاع سياسية سلبية . فكانت كتاباتهما القصصية تعني بالمجتمع والسعي لاصلاحه : "تعد كتابات ايوب امتداداً لكتابات محمود احمد السيد لأنهما سلكا طريقاً واحداً في كتابة القصة ، يهدف إلى الاصلاح الاجتماعي ونقد الاوضاع السياسية في العراق قبل اهتمامها بما تستلزمه التقنية وانها صادقة وانها تجارب شخصية "[٢] .

اما القاص (عبد الملك نوري) البغدادي المولد ١٩٢١ ، فقد انتمى إلى مجموعة من الكتاب اثرت على نفسها الدفاع عن المضطهدين والمستغلين والمهانين وكانت كتاباته ثرية برفض الظلم والايمان بالشعب وداعية إلى الحق وقد عد احد ابناء جيل : " ممن يقوم على الواقعية الاشتراكية ، وتتناول قصصهم المجتمع من بسطاء الناس المهانين والمذلين ، والشعب الطيب الخير المضطهد يقابله الظالم الشرير ولا يكتبون موضوعاتهم الاجتماعية وان شئت السياسية استدراراً للدموع واستجداء الرحمة ، وإنما يكتبون من منطلق القوة والثقة بالمستقبل والاطمئنان على الحق "[٣]. وكان القاص من جيل ترعرع في ظل الفكرة الثورية فقرأ وتأمل وتأثر وطمح ، وكان له من لغته الاجنبية (الانكليزية) التي حصل على الأساس منها لدى دراسته في الجامعة الامريكية – بيروت (١٩٣٧–١٩٣٨) ما يعينه على الاطلاع على الأدب العالمي ويزيده صلة بالفكر والفن فيزيده تميزاً ، وقد ربط طماحه بالفكرة والفن الذي يخدمها فهو في خدمة الطبقة الكادحة المستغلة من جور الحاكم

---

[١] الادب لقصصي في العراق ، ج١ ، ٢٠١ .

[٢] القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١١٢ .

[٣] من حديث القصة والمسرحية ، ٤٠ .

والمستعمر المستغل من كل نوع "[١]. " كان يكفي في الوطن الثائر حسن النية وطيب النفس وصدق العمل وتبنى الفكرة والاستعداد للتضحية ورصيد عبد الملك نوري من هذه الكتابات غير قليل قولاً وفعلاً وكتابة ، وقد عرف بها طالباً في كلية الحقوق وما اسرع ما لبى حركة مايس ١٩٤١ ولقى في سبيل ذلك الاعتقال والاذى "[٢].

وانطلق القاص في كتاباته من منطلق اجتماعي ثوري ، وحاول التوفيق في فنه بين ثلاثة تيارات متناقضة هي تيار الوعي والماركسية والوجودية ولعله رأى في ذلك إنه يخضعها لصورة من صور الواقعية[٣] . وكان عبد الملك رافضاً وثائراً على الاوضاع الاجتماعية البائسة التي كان يعاني منها ابناء الشعب ، وكانت له أهدافه الوطنية الثورية التي تسعى إلى تحرير الانسان . " ان عبد الملك نوري وطني وغلبه التيار الذي يدعو إلى صراع الطبقات ويقوم عليه في التطور العامل الاقتصادي والمستقبل الافضل للطبقة النامية "[٤].

واباح القاص لنفسه ان يجمع في أقاصيصه بين الفهم الحساس لاشواق شخصياته في (العاملة والجرذي والربيع) وبين الهزء الجارح منها حين يراها هزأة ضائعة خاملة في قصة (الجدار الاصم)[٥]. وعانى القاص "انفصاماً فكرياً خاصاً عن الواقع الاجتماعي والفكري فهو ثوري عموماً ولكنه صاحب ثورية خاصة من ناحية فكرية واسلوبية ، انه يبحث عن نفسه في مجتمع متأخر ، ويريد للفنان ان يكون حراً حتى في جو الحرية المثلى التي ينشدها "[٦]. ومال القاص إلى التيار النفسي المشتق من علم النفس في اكتشافاته ونظرياته ونفوذه إلى القصة في شؤون

---

[١] ينظر : في الريادة الفنية للقاص العراقي المعاصر ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية ، الموسوعة الصغيرة ، ٣٦٥ ، بغداد ١٩٩٢ ، ص١٦ .

[٢] نفسه ، ١٦ .

[٣] نفسه ، ٢٤ .

[٤] نفسه ، ص١٧ .

[٥] في النقد القصصي ، ٣٠٦ .

[٦] الوجه الثالث للمرأة ، ١٢٠ .

الاحلام والعقد والجنس والشعور بالنقص والازدواج والمواقف المحرجة مما اقترن بفرويد ومدرسة التحليل النفسي ، واستغل الوجودية للظروف الصعبة المحيطة بشخوصه حيث يقعون في التشاؤم والتفكير في المصير وتردد الذات بين الرفض والقبول والميل إلى البناء او العبث او الكفر "[١]. ونبذ القاص الاستغلال بكل اشكاله ، استغلال الفلاح والعامل والمرأة والطبقات الكادحة الفقيرة . " ان عبد الملك نوري يكتب ليخدم عن طريق الفن ، وليجتذب القارئ إلى قضية انسانية عادلة ، وهدف تأتي نتيجته البعيدة بالثورة على الاوضاع الفاسدة "[٢]. وكانت له رؤيته الثورية ورغبته في تحرير الانسان رغم رفاهيته ونعومة عيشه ولكن وضعه الاجتماعي لم يمنعه من تحسس هموم المستضعفين والكادحين والتفكير بخلاصهم "ان عبد الملك نوري –منذ البدء كان في فكره وقصصه مع الناس المضيمين عارضاً بؤسهم باحثاً لهم عن المستقبل الافضل "[٣]. وانه استمد موضوعاته من البيئة العراقية وشخوصه عراقية في معظم قصصه (الرجل الصغير ، ريح الجنوب ، الجدار الاصم "[٤].

ان اهتمامه بمشكلات الواقع السياسي والاجتماعي كان ينصب على ما يتركه هذا الواقع من تأثيرات على سلوك الفرد الانساني ، فحركة الاحداث والشخوص في القصة هي ردود افعال واستجابات نمطية لشرط عام وكان يصب اهتمامه على مظاهر الحياة الشعبية بعمومية تستعيد ما هو خاص وفردي[٥] . وتطغى نزعة التحرر من البؤس والفقر والاضطهاد على مجموعته (رسل الانسانية) فنجده انسانياً اخلاقياً مع المضطهدين على المستغلين ويختار موضوعاته من صميم المجتمع[٦] . وشخوصه في مجموعة (نشيد الارض) شخوص اعتيادية فيها المثقف المتوحد /

---

[١] ينظر : في الريادة الفنية للقصص العراقي ، ٢٤ و ٧٠ ؛ وينظر رحلة مع القصة العراقية، ١١٥ .

[٢] في الريادة الفنية للقصص العراقي المعاصر ، ٨١ .

[٣] نفسه ، ٨١ .

[٤] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٣٣١ .

[٥] ينظر : قصاصون من العراق ، ١٤و ١٥ .

[٦] ينظر : في الريادة الفنية في القصص العراقي المعاصر ، ٢١ و ٢٢ .

والعاملة والجنوبي الساذج والمومس والانسان المسحوق وهو يحاول ان يكشف عن دخيلة انسان ضائع متوتر حتى في استسلامه[١] .

وكان الدكتور (علي جواد الطاهر) ينشد فيه ان يكون اكثر صلة بمجتمعه وأكثر قرباً من معاناة ابنائه : " ان عبد الملك نوري ٠٠٠ لا شك في مواهبه ، ولكن لو كان اكثر قرباً من حياة الكادحين في بلاده وعلى معاناة مما يعانون في فقرهم وجهلهم وهو انهم على غيرهم وعلى انفسهم وما يقعون تحته من حاجة ، لو كان لجاءت قصصه اكثر عمقاً واكثر حياة ولكن هذا لم يقع ، فكان ما يمكن ان يتطلبه المتشدد من عمق وحياة نقدهما مع اطمئنانه إلى طيبة الكاتب وجده وفنه وعناده في الذي يراه "[٢]. ولكننا من خلال قراءتنا وتحليلنا لقصصه في (ذيول الخريف) نجده كان قريباً من الواقع وشديد الصلةبه وانسانياً في طرح رؤاه وأفكاره ومتعمقاً في هموم النفس الانسانية وطموحاتها واحلامها وان قصصه جاءت من رحم الواقع العراقي ومعاناته .

والصفة العامة لنفسيات ابطاله هي القلق الذي يمثل قلق الجيل الجديد من الشباب الذي يعيش في واقع مؤلم ويحمل طابع العذاب المادي والروحي ، ولكنه لا ييأس ، بل يعمل جهد طاقته من اجل حياة أفضل[٣] . ورصدت قصصه التي تميزت بارتباطها وتفاعلها بالبيئة العراقية احداثاً مريرة مرت بالعراقيين اثناء تعرضهم للطغيان السياسي في العهد الملكي ورصدت اجواء الحانات الشعبية والمعتقدات الخرافية ، والجهل المخيم على الشعب بسبب تفشي الامية التي تؤدي إلى الكوارث والمصائب وكشف مخاطر الدجالين والتي جسدتها قصصه (الرجل الصغير ، ريح الجنوب ، الجدار الاصم)[٤] .

---

[١] ينظر : رحلة مع القصة العراقية ، ١١٦ .

[٢] في الريادة الفنية للقصص العراقي المعاصر ، ٧٧ .

[٣] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٣٢٣ .

[٤] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٣٣٦ .

"وهو كاتب تقدمي عندما يعبر عن العالم وعن الإنسان فالإنسان عنده رغم بؤسه وضياعه من الممكن أن يتغير إلى مخلوق آخر جديد ، فهو لا يستطيع أن يعيش أزمة قد يحطم نفسه في سبيل حلها ، ولكنه ينجرف مع تيار القانون الطبيعي وتطور التاريخ الذي يقوده على الرغم من بؤسه وضياعه إلى حياة المواساة السعيدة الرغيدة وهو بذلك يعبر عن روح هذا العصر المضطرب"[١] واستخدم القاص (فؤاد التكرلي) في مجموعة (الوجه الآخر) البطل الفرد موضوعاً في حالة اجتماعية ومهموماً بهموم ذاتية ، ومحور الصراع الذي دار في هذه المجموعة هو التناقض بين وعي الشخصية الثقافي وبين الواقع المعاش[٢] . ودخلت قصصه عالم النفس الداخلية والحساسية الفردية بدلالتها الاجتماعية الاستثنائية ، واستطاع القاص أن يضع قارئه في عالم الدهشة والاستفهام : " استطاع فؤاد التكرلي ان يوفق بين ما هو فردي في السلوك الاجتماعي وبين ما هو عام في الممارسة الإنسانية فنماذجه تعيش إشكالا قد يصل بها حد التوحد ولكنه يقودها بذكاء إلى موقف عام حين يضعها ضمن الشرط الأخلاقي التاريخي"[٣].

وبقي التكرلي في الجو الأسود الذي يحيط به شخوصه وأفكارها السود فهم لا يحبون أحداً ويسعون للضياع في أعماق نفوسهم وعلى الرغم من صبرهم وصمودهم فأن الأمر يضيع في خضم التشاؤم وأنه ليبدو سلبياً أكثر منه ايجابياً [٤].

وكأن القاص يثير شفقة القارئ وتعاطفه مع شخوص هذه القصص ، ويسلط الضوء على مرارة واقعهم وبؤسهم . وحرص القاص إلى جانب ذلك على توفير المعنى الإنساني العميق في القصة محاولاً التعبير عن القيم والمعاني الإنسانية من خلال المواقف الفردية ذات النكهة العراقية وهو من خلال مواجهتنا بتناقضات الشرط الإنساني ضمن اعتراف كامل بالحقيقة المطلقة ..سعى جاداً إلى جعل مواطنيه يهتمون بذواتهم وبالآخرين ، ومن خلال عدم سكوته على الظلم والاعوجاج والجريمة

---

[١] نفسه ، ٣٢٤ .

[٢] ينظر : القاص والواقع ، ٥٧ .

[٣] قصاصون من العراق ، ١٤ .

[٤] ينظر في القصص العراقي المعاصر ، ١٦و ١٧ .

يقدم نماذج تتعظ بها ولا يقف موقف الواعظ لنا[١]. لذلك كان قريباً كل القرب مما يشغل الناس في حياتهم اليومية والمعاشية والكفاحية .

وتناول القاص الجنس تناول أهل التربية له فهو لا يحث على الفسق أو يستغل الغرائز ورأيه أنه ليس من الصالح التكتم أو التستر عليه والجنس الذي ورد في قصة (القنديل) يثير الانتباه وقد يجعل القارئ يتصوره خيالياً أكثر منه واقعياً [٢].وفي اشارة منه إلى أحداث ما بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وما ضاع بسببها من مقاييس قال : "أما حين لا يعود للظلم ولا للحرية ولا للحياة تلك المعاني المحددة المألوفة ، وحين تطغى الغوغائية بأحط صورها فان النفوس الحساسة المنزوية تحتاج إلى أحلام وأفكار نقية جديدة وهي على الدوام مثقلة بذلك السؤال الواخز : أهذه هي حياتنا حقاً "[٣] . مما يؤكد تطلع القاص العراقي إلى رفض وإدانة الأنظمة السائدة ودعوته إلى التجديد والتطلع إلى العدالة ونشدان الحرية والحياة الجميلة . وتتألف شخوص قصصه من رجال ونساء مغمورين أو فقراء عاديين من المتواضعين في مركزهم الاجتماعي فيغمرهم القاص بمشاعر انسانية عميقة[٤] .

وقد يختار شخصيات شاذة غريبة عن المجتمع يصور فيها قطاعاً شاذاً من حياة الطبقة الفقيرة في العراق طبقة الفلاحين ، وعنى الكاتب أيضاً في أول كتاباته بالطبقة المترفة ، ووصف الأسرة العراقية المتفسخة والزوج العاطفي المضطرب والمرأة الجريئة في غير حياء[٥] .

---

[١] ينظر : في النقد القصصي ، ٢٨٤ .

[٢] ينظر : في القصص العراقي المعاصر ، ٢٠ و ٢١ .

[٣] نفسه ، ج١ ، ٥٠ .وينظر الظل في الرأس ، عبد الرحمن الربيعي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص٧ .

[٤] ينظر القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٣٣٩ .

[٥] ينظر القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٣٤١ .

وتميز القاص (فهد الاسدي) بوعيه وإيمانه بقضية الإنسان والمستقبل ، وانه كان ينطلق من رؤية واضحة ومن منطلقات فكرية وفنية سليمة وله حبه الغامر للإنسان والحياة ، وله تحيزه الواضح إلى قضية الإنسان وهمومه وتطلعاته[١] .

وتحيز القاص إلى تطلعات الإنسان ولم يتهرب من مواجهة المتناقضات فضلاً عن ذلك فانه يطرح رؤياه الثورية بشجاعة لمواجهة الأحداث والتطلع إلى المستقبل . "انه قاص واع يؤمن بقضية الإنسان والمستقبل وهو ينطلق في أقاصيصه من رؤيا واضحة ، ومن منطلقات فكرية وفنية سليمة ، وتفهم ذكي للواقعية الجديدة وامكاناتها دونما سقوط في الهتافية والمباشرة ، وبحب غامر للإنسان والحياة[٢]. واستخدم القاص في قصصه الحكاية او المعتقدات الخرافية او الرموز لكشف ابعاد جديدة في القصة وأكد القاص على الحس الطبقي المتنامي في الجماهير المسحوقة الكادحة ، مصوراً مدى الفقر المدقع الذي يعيشه سكان الجنوب والحس المتقد بالظلم والاهانة[٣] .

أما القاص (غازي العبادي)فانه يجيء كشخص متطور فكرياً ومادياً ينظر إلى مرتبة عليا لا يفقد بذلك قيمة طبقته بل يكسب او في طريقه لكسب طبقة جديدة وهو في طريقه إلى هذه الطبقة الجديدة يحاول ان يبدو مأزوماً بطبقته السابقة او منفصلاً بحدث يومي .والبطل الذي لا يفقد شيئاً لا يعطي شيئاً ، أما البطل الذي يكسب دائماً فهو لاعب يحسن المراوغة لكنه يفقد الاحساس بأي زمن معين والقصص التي ظهرت منذ ١٩٨٥ والى الآن نجد ابطالها من المعدم إلى الثري او العاطل ثم الموظف او الجاهل ثم المثقف او الفلاح ثم الموظف او البرجوازي[٤]. ونجد في قصصه عالماً مليئاً بالتناقض والمتضادات والبطولات " ابرز صفة تطالعنا في أقاصيصه البطولة الساخرة ، بطولة المفارقة والتضاد بين الاحلام والقدرات بين

---

[١] ينظر النقد القصصي ، ٢٩٠ .

[٢] ينظر قصص عراقية معاصرة ، ٥٢ .

[٣] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٤٨٢ .

[٤] ينظر : القاص والواقع ، ١٠٢ .

المظهر الوقور الحزين والباطن الممتلئ هزلاً وسخرية وفكاهة "[١]. وهو في كتابته أقرب إلى القصاصين الستينين منه إلى ابناء جيله في الخمسينات الذين كانت تشغلهم هموم اجتماعية تسحق البسطاء من الناس في لهاثهم اليومي كخضير عبد الامير مثلاً ، وفي قصصه رصد لحياة الناس اليومية ولاسيما حياة المثقفين منهم بما فيها من هموم وارهاصات[٢] . ونجد في قصصه معالجة لحياة الكادحين والمسحوقين ونماذجه الانسانية صلبة وقوية ، مناضلة تتحدى جدران الخطأ او نجد في قصصه نماذج خاسرة معطوبة سريعة الانكسار ، وتناول القاص الاضطهاد السياسي والاجتماعي في قصصه (القمر لا يستحي) و (موت الرجل بأيدي ذويه) ، وقصة (عواد الدهش)[٣] . وتتوثب الشخصيات في بعض قصصه لتدفع عنها غبار الفشل وتستقبل الحياة من جديد ، وتمكن القاص من ان يجمع بين الواقع والحلم ، بين الحزن والفكاهة بين الفرد والمجتمع ، وعالج ايضاً مشكلة الصراع الطبقي في الريف العراقي[٤] .

وسعى القاص (موسى كريدي) إلى محاولة التحرر من الاثم والشر والخلاص مما هو قاس ، وبدأ القاص مسيرته من المدينة الزراعية المتخلفة وانتهى في مجموعته الثالثة إلى مناقشة موضوع (الاغتراب) في المدينة الحديثة وفي كلتا المرحلتين ينجم اغتراب ابطاله عن التناقض بين الرغبة والواقع بين رغبة المثقف بالدفء والبراءة والسعادة وبين عالم مدنس بالاثم والشر سواء كان هذا الشر نابعاً من علاقات زراعية في مدن متخلفة تقع على تخوم الصحراء او من علاقات متطورة في مدينة حديثة ، ومن هذا التناقض الكائن بين الرغبة والواقع ينشأ الحلم لدى الشخصيات . وكان بحثه عن السعادة المفقودة يتم في القصص عبر موضوعين

---

[١] في النقد القصصي ، ١٩٨ .

[٢] ينظر الشاطئ الجديد ، ١٥٩ .

[٣] مجلة آفاق عربية ، خطوات المرأة الثالثة ، سليمان البكري ، ١٥٣ . ت٢ ، س١٧ ، ١٩٩٢ ، ع١١ ، ص١٥٣ .

[٤] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٤٨٢و ٤٨٣ .

أساسيين هما الجنس والسفر[١] . وامتاز ادبه بنزعته الانسانية الميالة إلى شيء من أجواء الكآبة والحزن ومرارة الواقع الانساني الذي تكشف عنه شخصيات هذه القصص وهي تعبر عن الذات الداخلية للقاص[٢] .

وقصصه حافلة بالكفاح من اجل الانسان وسعيه الدؤوب إلى كل ما يؤدي بالشخصية الانسانية إلى الازدهار والانسجام والتفتح ، فهو يبغض كل ما يؤدي بهذه الشخصيات إلى الاغتراب والاستلاب وكل ما ينفر الشخصية الانسانية ويعيق ازدهارها وتفتح امكاناتها الخلاقة[٣] . وقد طرح القاص ازمة ابطاله على مستويين اولهما ان البطل " الفرد " في مواجهة الواقع الاجتماعي على وجه التمحيص بكل ما تنطوي عليه هذه المواجهة الساخنة من مخاطر وتحديات ليس اقلها دلائل ظهور الاغتراب النفسي والفكري والاجتماعي أي ما نسميه بطبيعة السلوك الحضاري[٤] . وعبرت اغلب الرموز التي استخدمها عن موقف انساني شامل يهدف إلى كشف وتحديد الصراع الانساني من الداخل ، بما فيه الخوف والاستلاب والارتداد من ناحية والتمرد والاندفاع والقوة من ناحية اخرى من خلال تعامل جاد ودقيق مع جدل التاريخ المتغير للوجود البشري[٥].

ويحاول ابطاله الخلاص ويبحثون عن السعادة والدفء والبراءة التي تبدو صعبة المنال ، ويخيبون في اغلب الاحوال في تحقيق مطامحهم وادراك امنياتهم ويفشلون في بحثهم وسعيهم . " ان ابطال موسى كريدي هم في الغالب مثقفون يحلمون بالسعادة والبراءة وبعالم جديد تتحقق فيه كل المعاني ولكن احلامهم تتحطم بفعل القوانين الموضوعية لواقع مدنس بالاثم والشر والعنف وهذا الشر الناجم تارة

---

[١] ينظر : في أدبنا القصصي المعاصر ، ٢٥٦ .

[٢] الفن القصصي الروائي في ادب موسى كريدي ، حسنين غازي لطيف ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ،١٩٩٠ ، ص٣٠ .

[٣] نفسه ، ٣٢ .

[٤] نفسه ، ٣٩ و ٤٠ .

[٥] ينظر : نفسه ، ٤٠ .

عن التخلف وتارة اخرى عن المدنية الحديثة "[١]. ويعد القاص أول فرد من نجف الخمسينات قرأ الوجودية " وتعلم سحر الذات وتجربة التحرر من عبودية القرون السالفة ، فأصبح عقل القاص مزيجاً من أفكار الوجودية وايماءات سلامة موسى ، شاتماً الأوضاع ساخطاً على كل شيء متدهور في بيئة احتفظت بالقديم البالي[٢] . وان الطفولة المحرومة نحتت شخصيته وجعلته يدرك ان مهمة القاص او الاديب هي ادانة البؤس في العالم ، أي التقاط المعاناة الخاصة للشعب ورصد تجاربه واحباطاته وتقدمه وافراحه وانكساراته مدى تقبله للفكرة الجديدة[٣] . " كنا فقراء ابناء الطين والتراب والمطر نعيش في ازقة ضيقة وبيوت قديمة ، ولكن الفقر آنذاك لم يستطع ان يحبط من آمالنا وانشدادنا للحياة "[٤].

ويستلهم القاص الواقع الذي يعيش فيه استلهاماً عميقاً ، وان مجموعة (غرف نصف مضاءة) للقاص هي مأساة المفكر الذي يريد ان يرى وان يكون شاهداً على عصره ، وان يشير إلى المرض الذي يستفحل في كل قطاع يراه فلا يجرؤ على قول الحقيقة ، واهمية المجموعة تكمن انها تقدم وثيقة هامة للمجتمع العراقي ، كاشفة عيوبه بغية الاصلاح[٥] . وحاول القاص البحث عن بطل جديد من خلال مواقف ولغة جديدة وابطاله متوحدي السمات لم يكونوا قلقين بفعل تركهم لاحزابهم بل كانوا مولودين جدداً في فترة الستينات وكأنهم لا يعرفون من الاحزاب شيئاً[٦] . وكشف القاص في مجموعة (أصوات في المدينة) الصادرة عام ١٩٦٨ عن التأزم والضياع والفراغ الذي تعيشه شخصيات المجموعة وسعيهم للوصول إلى الحرية المطلقة والسعادة . ومزج من مجموعته الثانية (خطوات المسافر نحو الموت) الصادرة عام

---

[١] في ادبنا القصصي المعاصر ، ٢٥٦ و ٢٥٨ .

[٢] الفن القصصي والروائي في ادب موسى كريدي ، ٢٤ .

[٣] نفسه ، ١٨ .

[٤] نفسه ، ١٨ .

[٥] نفسه ، ٣١ .

[٦] قصص عراقية معاصرة ، ١٥ .

١٩٧٠ بين المطلق والواقع بين الصوت المفرد وصوت الجماعة بين العلاقات القائمة واعادة تشكيلها ، بين تصوير الواقع عبر صور فولوكلورية متباينة في المعتقدات الدينية والعادات ونقد هذا الواقع بشكل ايجابي وتعرية الزيف وفصله عن الحقيقة والاشياء التي يجب ان تزول في قصصه (طقوس العائلة / الشمس خارج السور / ساحل اخر للموت)[١].

وقدمت القاصة (لطيفة الدليمي) الانثى المتمردة المستغنية عن الرجل ، المترفعة عن غرائزها وحاجاتها ، فكن نسائها متميزات بتمردهن الداخلي[٢] . واهتمت القاصة بالمشكلات القومية والاجتماعية بشكل كبير ويصطخب نموذجها القصصي برغبات الخلاص والتحرر والانطلاق لحياة افضل وعلاقات اجمل على الرغم من ان انموذجها يعاني اغلب الاحيان من عبودية تاريخه السياسي وتجاربه وهزائمه : " ان قصص لطيفة الدليمي ، تبعدنا عن ضرورة مراقبة تفاصيل الحدث القصصي فهي تلقي بالقارئ في جو مشحون بالقلق ولكنها تشركه في تحديد مصائر ابطالها ان نموذج لطفية ليس حراً في القصة ولكنه يتمتع بحركة غير محددة "[٣]. ورصدت القاصة وقوع شخوصها تحت وطأة التقاليد والقيم الموروثة عن مجتمع زراعي بدائي عشائري شبه اقطاعي والاغتراب النفسي والجسدي للمرأة وارتباطه بالعلاقات الاجتماعية المتشابكة والاستغلال وانقسام الجماعة الانسانية إلى فئات متصارعة[٤] . أما المرأة في قصصها فهي ليست مسيرة ولا مسحورة ولا ترضى ان يعاملها الرجل كجارية ، انها تقف واياه على قدم المساواة تعطي وتأخذ وتقسط في الاخذ والعطاء

---

[١] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٤٨٣و ٤٨٤ .

[٢] ينظر : القصة النسائية القصيرة ، زينب كاظم كيطان ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، ١٩٩٨ ، ص٣٤ .

[٣] قصاصون من العراق ، ٢٦ .

[٤] ينظر : في ادبنا القصصي المعاصر ، ٧٨ .

ولا ترضى ان تستغل ولا ان تستغل وتتشابك العلاقة بين الرجل والمرأة بشكل متفاعل[١] .

وانفردت القاصة (بثينة الناصري) من بين جميع القاصات العراقيات بمعالجة القضايا الاجتماعية التي شغلت اهتمام الباحثين ، وحملت في مضامينها معان ذات ملامح انسانية ، وكانت رصينة في طرحها وتضمنت القصص فكرة القيم الانسانية والعادات والتقاليد العربية ومنها قصة (القارب) التي طرحت تأثير انهيار القيم على العلاقات الانسانية وتحطم الانسان بفعل انهيارها[٢] . وكان للقاصة حضورها في طرح قضية الانسان العربي ونزوعه للتحرر فكانت القضية الفلسطينية والموضوع الوطني وهموم الانسان الشاملة محاور رئيسة في مجاميعها القصصية فوصفت حالات اليأس والاحباط اللذين اصابا الانسان العربي بسبب نكسة حزيران ، وشخصت حالات التمزق التي عاناها الانسان العربي من جراء حربه ضد الصهاينة فضلاً عن ذلك فانها وصفت تشرد الفلسطينيين واستيطان اليهود[٣] . وحاولت القاصة التعبير عن ضياع آمال الانسان ووحشته بعد ان يتقدم به العمر في (الزائر ، اعلان في صحيفة دمشقية ، موت كلب) ومشاعر الاحبة بعد الفراق في (القطار المسافر) ، واستلهمت من التراث في قصصها ذات الموضوعات التاريخية فاعادت صياغة ملحمة كلكامش في قصتها (حدث في اوروك) وعبرت عن هموم الانسان المنزوي في زوايا المجتمع المظلمة الذي يدفعه الجوع والفقر والحاجة إلى التحايل من اجل كسب عيشه او تنتشله ضربة حظ من فقره[٤] .وعالجت القاصة وضع المرأة في الريف والقهر الاجتماعي المسلط على رقبة المرأة والعنف غير العقلاني الذي تتعرض له[٥] .

---

[١] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٤٨٥ .

[٢] ينظر : في ادبنا القصصي المعاصر ، ٦٣ ، وينظر : البناء الفني للقصة القصيرة في العراق ، حسين غازي لطيف ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، ٢٠٠١ ، ص١٥١ .

[٣] ينظر : القصة النسائية القصيرة ، ٢٣٤ .

[٤] ينظر : نفسه ، ٢٣٤ .

[٥] ينظر : في ادبنا القصصي المعاصر ، ٦٣ .

وعمد القاص (عبد الرحمن الربيعي) إلى التحرر الاجتماعي محاولاً صياغة الواقع وفق رؤية جديدة التزمت جانب الانسان وطموحاته ومعاناته متخذاً من الواقعية الجديدة منهجاً له في الطرح والتناول . ورصد في كتاباته هموم شخوصه ومعاناتهم وحاول ان يكون موضوعياً في عملية رصده ، وعالج من خلال ذلك موضوعات شاملة ومختلفة متخذاً من ذاكرة مدينته رؤية واقعية مؤكدة في معظم ما صور مستلهماً قوة الجماعة واثرها في احداث التغيير والحدث[١] .

وهو يصور شخصيات في قصصه نجدها في مجموعته (ذاكرة المدينة) لها انكساراتها واحباطاتها ولكنها في الوقت نفسه لا تيأس ولا تستلم بل تبحث الخلاص وتنشد التغيير[٢]. وعمد القاص إلى تعرية الواقع الاجتماعي من خلال شخصيات قصصه فهذه الشخصيات وان كانت لا تملك القابلية على الرفض والتمرد العلنيين فانها تستطيع ان تعري الواقع الذي يعيشه بما يمتلك من تبرم لشكل تلك الظروف القسرية التي فرضتها السلطة على الناس وبخاصة اولئك الذين ضاعوا بين ان يظلوا واقفين حتى الاخير وبين ان يرضخوا لاغراءات الحياة[٣] .

وعبر عن احساس الانسان بالفراغ وشعوره بخيبة الامل وانفضاض الفرقاء من حوله وافتقاده لكلمة معزية او بسمة مشفقة فأبطاله من هؤلاء الذين اثقلت عليهم الحياة بالعذابات والجراح فدرجوا في رحابهم والفشل ملازمهم والخيبة في المجهودات والمساعي والمشروعات العريضة الصق بهم من ظلهم "[٤]. وكتب عن عالم القرية النقي بعطائه بعيداً عن الزيف والدجل في كل ما كتب من خلال ذلك بساطة الحياة وبعدها عن التعقيد وعالم المتناقضات حيث تجد فيها سمات البداوة الساذجة البريئة ويكون العالم فيها محدوداً وبريئاً في جملة اشياء تشعر الانسان بحريته وكرامته . لقد ظل فكر الربيعي يطرح جوهر البراءة والصدق في التعامل في كل شؤون تلك الحياة

---

[١] ينظر : عبد الرحمن الربيعي بين الرواية والقصة القصيرة ، ٨١ .

[٢] ينظر : نفسه ، ٦٦ . وينظر : الخيول ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٧٦ ،٦ و ٧ .

[٣] ينظر : عبد الرحمن الربيعي بين الرواية والقصة القصيرة ، ص ٥٣ .

[٤] ينظر : دفاتر ثقافية ، ٦٩ .

المحـــــــدودة فحـــــــاول اضـــــــفاء صـــــــفات الجمـــــــال والصـــــــدق

والحب والشجاعة والمثل العليا في القرية ولم تكن المدينة في نظره الا عبارة عن حضارة معقدة جعلت الانسان يعيش قلقاً حائراً لا يعرف ما يخبئ له المستقبل[١] .

وعالج قضية الريف مسلطاً الضوء في قصتي (سر الماء) و (الكبش) مصوراً من خلالهما واقع الريف ، أضف إلى ذلك فأنه جسد معاناة افراد كانوا اسرى طموحات مشروعة[٢] . فقد حاول بيان الواقع المزري الذي يعيشه الريف فرصد حياة سكان الاهوار الذين كانوا يعيشون شبه معزولين عن الواقع الجديد وبشكل بدائي تهدد حياتهم الافاعي السامة والحشرات الضارة والبعوض القارص وهم نادراً ما يغادرون الهور من مكان إلى اخر لاسباب عديدة ، واذا نشب حريق في احد الاكواخ فقد تلتهم النيران الاكواخ الاخرى والحيوانات .

هذه الصورة يرسمها القاص في قصته مبيناً من خلالها قساوة الواقع الاجتماعي والحياة الصعبة التي يعيشها سكان الاهوار ، ملفتاً الانظار إلى ضرورة تغيير هذه الحياة البائسة ومتطلعاً إلى خلق ظروف افضل لهم انها مشاركة جادة في التعرف على الانسان الذي يشارك في تهيئة طعام المدن من وراء الكواليس[٣]. وكان للقاص نزعته المتحررة المتمسكة بكل ما هو جديد والداعية إلى ممارسة الدور الايجابي في البناء والتغيير . " كنت اؤمن بكل متحمس للجديد لانني موقن بانه سيكون لبنة في صرح التجديد "[٤] ، وهو في الوقت نفسه يتطلع بشغف إلى الامل والى البحث من منافذ الخلاص : "كانت الهموم في اطارها اليومي هموماً ذاتية بحتة ، انها صوت الانكفاء إلى الداخل والبحث عن موقع للخطى في دروب الامل والخلاص "[٥].

ولكن الربيعي كان يخضع في قصصه الاولى لذاتية مغلقة ترفض الالتصاق بالاشياء ، فقد صور في تلك القصص ذاتيته الحساسة الرافضة لحياته القلقة

---

[١] ينظر : عبد الرحمن الربيعي بين الرواية والقصة القصيرة ، ٥٤ .

[٢] ينظر : نفسه ، ٨٢ .

[٣] ينظر : نفسه ، ٧٠ .

[٤] الخيول / عبد الرحمن الربيعي ، ١١ .

[٥] نفسه ، ١٢ .

المضطربة لانه كان يرى ان كل الاشياء المحيطة به ما هي الا نتانة تصاحب المكان المقرف فتزيد من رفضه لها وتمده بطاقة من السأم المشبوب بالقلق الحضاري"[١]. ان سمات الرفض والقلق والاضطراب وعدم التكيف دلالات لالغاء القاص كل ما هو غير مقنع الامر الذي يدفعه إلى التغيير والتجديد والابتكار ومن هنا فهو يكتب عن معاناة حقيقية ويمارس ذاتيته باخلاص عارضاً ازمة الانسان المعاصر من معاناته هو وتفسيره[٢] .. ولكن " نزوع القاص إلى الانكفاء على الذات والغوص على الذات في اعماقها الدفينة لا يعني ان الامر في طبيعته المشروعة عزلة عن المجتمع الكبير وانسحاباً من الدنيا المضطربة من حوله ، او جنوحاً إلى مشاكلة الادباء لانه كان شديد الصلة بالمجتمع ومرتبطاً بالمحيط الاجتماعي اشد الارتباط"[٣]. اذ كانت شخوصه تعيش لاجل الخلاص من الواقع الذي تعده السبب الرئيس في شقائها وعذاباتها وتمزقها وحيرتها التي تشبه حيرة الانسان البدائي امام عظمة الكون ولغز الوجود الرهيب حين يحاول ايجاد تفسير مقنع لظواهر الطبيعة[٤] . لقد حاول القاص من خلال قصصه اعادة تشكيل الواقع العراقي واعادة صياغته وفق رؤيته للامور ، وكان يهدف إلى ان يكون عطاؤه أخلاقياً وحين يلتزم الفن بالعطاء الانساني فانه يكون عظيماً في مضمونه الفكري والاجتماعي[٥] . وكأي كاتب قصة ظل يشدد على رؤية الانسان دائماً في موقف مأزوم وعليه فهو لا يملك ابطالاً بقدر ما يملك اشخاصاً معزولين لهم امزجتهم الخاصة ومعاناتهم من الضغوط الاجتماعية فيما هم يسعون إلى الخلاص[٦] .

وخاض القاص من خلال كتاباته في عوالم الموت والابدية وتقع نماذجه تحت وطأة الاحساس الحاد بالتناقض ، فهي نماذج متوحدة ومنبوذة اجتماعياً ، وقد

---

[١] ينظر : عبد الرحمن بين الرواية والقصة القصيرة ، ٢٢ .

[٢] نفسه ، ٢٢ .

[٣] دفاتر ثقافية ، ٦٥ .

[٤] ينظر : عبد الرحمن الربيعي بين الرواية والقصة القصيرة ، ٥٣ و ٥٤ .

[٥] ينظر : نفسه ، ٥٨ .

[٦] ينظر : نفسه ، ٢٩ .

اختارت لتبرير حقيقتها الاستثنائية الاندماج بمغامرات صغيرة ، وحين يتحول فيما بعد إلى كتابة القصة الواقعية فان نماذجه في هذه المرحلة تعيش وتموت من اجل شيء جوهري قائم في المخيلة ما يهمها ان تكون مؤشراً عليه[١] . انه يتوجه إلى رصد وتصوير ظلال السقوط الفكري والتأزم النفسي والتصاغر او التقزم ازاء عالم خارجي شرس ويدفع بتطلعات الشخوص إلى الانكسار والتمزق[٢] . وكان النزوع إلى التحرر لديه يسير في اتجاه الدعوة إلى التجديد في الادب " عندما طرحنا الدعوة إلى الجديد كان السؤال الذي يلح علينا ما هو الجديد الذي نريده وبقي السؤال بدون جواب حتى ونحن نقارع الانصاب الزائفة التي تأخذ مهمة الحكم على ادبنا لا بموهبتها ، لكن لاسباب اخرى بعيدة عن الموهبة وبقينا محط شتائمهم وتقولاتهم وظلت المسألة تائهة تافهة "[٣]. ان كل دعوة للتجديد لا تقابل دائماً بالاستحسان في جميع مجالات الحياة فكل جديد يكون غير مألوف ومن الصعب التكيف معه بسرعة ولكن الربيعي اثبت وجوده الابداعي وصار جديده مألوفاً ومبتكراً .وأكد الربيعي ان قصصه الاولى في السيف والسفينة على الرغم من قربها من محاولات زملائه وانها ذات سمة مشتركة فانه يرى فيها : " عنصر الطموح في التجاوز ومحاولة عناق الآفاق الرحبة وهو سمة مشتركة بين معظم الشباب حيث استمر عطاؤهم منذ مطلع الستينات حياً ومتجاوزاً مؤمناً بديالكتيك"[٤].

ان الربيعي من خلال رواياته وقصصه القصيرة يمتلك " قدرة العطاء المستحدث الباحث عن كل ما يخدم الانسان الممزق في عصر بات لا يرحم من لا يستفيد من تجاربه ومن تجارب الآخرين "[٥]. ان محاولة الانسلاخ عن القديم والدعوة إلى التجديد سمه من سمات المبدع الذي يحاول ان يؤسس للانسان نمطاً حياتياً جديداً يكون اكثر صميمية لانسانيته . وحاول الربيعي ان يكون مونولوج قصصه

---

[١] ينظر : قصاصون من العراق ، ١٩ .

[٢] ينظر : الخيول ، ٥ .

[٣] الربيعي بين الرواية والقصة القصيرة ، ١٠ .

[٤] نفسه ، ١٧ .

[٥] نفسه ، ١٩ .

الاولى صوراً لنفسيات متعبة قلقة مأزومة يحار المرء في احايين كثيرة في التمكن من معرفة مكنوناتها الداخلية . ان الزخم الداخلي لابطاله مغلق ومتعب في احيان كثيرة وهو حين يحاول ان يستبطن هؤلاء الابطال يحسهم القارئ خارج المشكلة . لقد كان القاص ينحو هذا المنحى بسبب قضية ضياع الانسان العراقي في فترات سياسية حالكة[١] . وان نزعة التحرر لديه متأتية من مرارة الواقع البائس الذي عاش معاناته وقسوته والذي كان يدفعه إلى الهرب والغرق في عالم الاحلام اذ يقول : "لم يكن ما نسمعه ثرثرة عن كتب واحكام موهومة وانما حوارات جادة في الغوص لقلب الافكار ان تساؤلاته كانت اكبر من سنوات عمره، وفي الوقت الذي لم تكن لديه خلفية سياسية فأنه وبحكم انتمائه الطبقي إلى عائلة فقيرة كان يحتم عليه ان يشخص خصومه ، وان يتلمس اللاعدالة في ترتيب الاشياء ، ومنذ سنوات المدرسة كان يرى المشاكل والبؤس والاتعاب ، ويقارن بين البيوت الواطئة والبيوت العامرة "[٢].

وبلور القاص في مجموعة (السيف والسفينة) الصادرة عام ١٩٦٦ العالم في شخصية البطل البرجوازي الصغير الذي يسعى بعشق صوفي للوصول إلى الحرية والسعادة ، فهو لا ينتهي في الغالب إلا بـ (الانا) الخاصة وتصبح الممارسات اليومية طقوساً مقدسة عبر مسيرته الحياتية[٣] . وكان الربيعي في هذه المجموعة (الابن الحقيقي) لمجتمعه القلق الضائع تحت ربقة حكم لا يعرف ما هويته ولم يكن بطل الربيعي منهزماً من انتمائه فقط بل من نفسه وكان يحاول استعادة نفسه وتوازنه باللجوء إلى الجنس والممارسات اليومية العادية[٤] .

وظل القاص "واحداً من كتاب القصة العرب التحريضيين الذين يتجاوزون انفسهم دوماً ويقدمون الجديد الممتلئ الذي يقف دون هشاشة على ارض صلبة من التجربة الابداعية "[٥]. ولم يكن القاص في كتاباته بعيداً عن نفسه وذاته ، وانما كان

---

[١] ينظر : الربيعي بين الرواية والقصة القصيرة ، ٢٣ و ٢٤ .

[٢] الخيول ، ٧ .

[٣] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٤٨٨ .

[٤] نفسه ، ٤٨٨ و ٤٨٩ .

[٥] رحلة مع القصة العراقية ، ١٧٤.

شديد الصلة بهما معبراً عنهما وفي بعض المجاميع القصصية كان يحاول التحرر من الحاضر بالهرب إلى الماضي فيقول : "انني دوماً اضع في الاعتبار حقيقة هامة هي ان تكون كتاباتي منتمية إلى امسها بكل دقائقي ، اما التسميات والتجزآت فتأتي بعد ذلك وفي ظلال اللحظات ، كان الحنين إلى الماضي مهرباً لي من جحيم الحاضر وفي قصص اخرى من المجموعة كنت احاول مقارعة جدران الحاضر وترميز ما لا اطيق تعريته بسهولة "[١] .

وارتبط القاص (جليل القيسي)ارتباطاً وثيقاً بقضايا الثورة والانسان والمقاومة[٢] . وتناول العلاقات الانسانية التي تتصف بتوترها بين الجلادين والقساة والضحايا المنسحقين وتميز بقدرة خاصة على تناول عالم الاضطهاد الجماعي محاولاً التمرد عليه[٣] .واتخذ من نزعة التحرر محوراً اساسياً وجوهرياً تدور في فلكه شخوصه محاولة تحقيق اهدافها : " فقصصه تسعى إلى النضال من اجل تحرير ارادة الانسان مؤكدة الوقوف إلى جانب قضيته الانسانية الكبرى ، وذلك من خلال تصويرها المأزق البشري الذي يخضع المرء لشرطه التاريخي غير العادل "[٤]. وان قصصه تطرح عالماً مأساوياً يصعب فيه المواجهة وهو يثير في القارئ مشاعر متناقضة : " ان قصصه تجارب انسانية تنتظم فيها الحيوانات والاشياء وتتوضح افعالها عبر سلسلة طويلة من المواقف الاساسية التي تثير فينا السخرية من عالم مصنوع ومتكلف وناقص "[٥]. وحاول القاص في قصصه الكشف عن حدة الصراع الاجتماعي ولا معقولية العالم الخارجي وبطش القوى الغامضة التي تهدد عالم الانسان ، ويظل الموت يتقدم في قصصه كقوة مجهولة غير محددة الملامح ويتجسد في اقاصيصه في صوت صهيل مجهول او صورة نسر كاسر او صوت اجش "[٦].

---

[١] الخيول ، ١٣ .

[٢] ينظر : قصص عراقية معاصرة ، ٣٤ .

[٣] ينظر : في النقد القصصي ، ٢٣٤ .

[٤] بنية الرؤيا ووظيفتها في القصة العراقية القصيرة ، ٢٨ .

[٥] قصاصون من العراق ، ٢٣ . وينظر : في ادبنا القصصي المعاصر ، ١٩٢ .

[٦] ينظر : قصص عراقية معاصرة ، ٣٤ .

ان العالم الذي يشيده القاص يأخذ كثيراً من سماته وهيأته من عالم الاحلام ويبدو بيئة اشبه بالسجن وانه مكان اسر للشخصية التي تجد نفسها مقذوفة فيه اما مخلوقات هذا العالم ومن يدرج فيه فتبدو في شكل كائنات تسعى من اجل انزال العقاب بالشخصية والنيل منها وسحق ارادتها وامتهانها بشتى الوان القهر والتعذيب النفسي والجسدي[١] . ويلتقي القاص في كتاباته مع معظم كتاب القصة العراقية في محاولة للخلاص من واقع مرير : " ان توظيف القاص الرؤيا في عمله القصصي تتخذ على الدوام شكل معادل فني للتعبير عن نزوع الشخصية القصصية إلى الانعتاق من اسر القهر والمهانة ومن كل ما يبهظ النفس ويرهق الروح في محاولة لتحقيق الخلاص الانساني من دون التوسل بالنهايات الجاهزة والحلول السهلة "[٢].

والقاص ابن جيل علمته الظروف والازمات والسقطات المتتالية ان يرى العالم مثل صورة مقلوبة ، فالبطل لديه ما زال ضحية معاملة خسيسة غير مسوغة، يجد نفسه فجأة في دوامة من الفكاهة والتراجيدية اللامعقولة وتتناهبه حالة نفسية متوترة او مريضة او خاصة وتنمو في اعماقه بذرة شقاء رهيبة يعالجها بالمغامرة والتمرد والذكريات والحب والشذوذ والفن والقتل[٣] . ورصد في قصصه نماذج انسانية عادية تحس حصاراً شديداً محاولاً من خلال ذلك اكتشاف حدة الصراع الاجتماعي ولا معقولية العالم الخارجي وبطش القوى الغامضة التي تهدد عالم الانسان[٤] . ووظف في قصصه " الغرابة والنزوة والاضطهاد والحلم جميعاً بمعالجة واقعية حلمية لهدف سياسي متكتم ومتبلور معاً ، نضال غير مهادن لاكتشاف واقع حضاري عربي جديد يمنح الحب والامان وحق الحلم للانسان ، تلك هي قدرة القاص (جليل القيسي) على ان يجمع اطراف قضية معقدة واسعة في عمل منسجم"[٥].

---

[١] ينظر ، بنية الرؤيا ووظيفتها في القصة العراقية القصيرة ، ٢٦ و ٢٧ .

[٢] نفسه ، ٢٨ .

[٣] في النقد القصصي ، ٢٣٤ .

[٤] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق،٤٩٠.وينظر : قصص عراقية معاصرة ،٣٣ .

[٥] في النقد القصصي ، ٢٣٦ .

ورصد القاص (محمد خضير) في قصصه عالم الرغبات المحيطة والمنبوذين والمستذلين الذين تتآكلهم الحيرة وهم في قاع الهوة الفاصلة بين الحلم والواقع ، فالمجتمع الذي نبذ شخوصه وابطاله بفعل قوانين اجتماعية او بفعل قوانين كونية يدفعهم إلى البحث بشكل دائم ومتواصل عن شيء مفقود وينشغل القاص بالحلم وطريق تحقيق هذا الحلم فيبحث عن الطمأنينة والمستقر الامين والارض المفقودة فكأنه يعوض بذلك عن فقدان ما هو فطري وصميمي من استقرار[١] . ونموذجه القصصي له حيويته ويتحرك في جميع اتجاهات ساعياً إلى الخلاص مما يعاني متحدياً الضغوط التي تحاول التحكم به ومتطلعاً إلى حياة أفضل . فقصصه تقترب وتبتعد عن الواقع في آن واحد ، فبعضها يحمل ملامح الاحداث اليومية والبعض الاخر يهتم بأعماق الشخصية ، والبعض الثالث يمزج بين الاثنين وقصصه تسكن الاماكن المظلمة وتعبر الصحارى المشمسة تحمل سلاحاً لقهر الواقع الضاغط واخر لقهر المعتدي المستعمر ، تمزج اللذة النفسية باللذة الجماعية[٢] .

وسعى القاص إلى اختيار نماذجه من الطبقات الفقيرة المسحوقة تحت ثقل الواقع الاجتماعي ، وعمل على رصدها من الداخل ، واتخذ من جنوب العراق ووسطه والنجف الاشرف والعمارة والبصرة والناصرية اماكن لقصصه ، وهذه الاماكن تكثر فيها الصحارى ومحطات السكك وغابات النخيل ، والسكان السمر الملفوفون بالعباءات ، وجوه عراقية تحمل ارث البابليين وتتحرك شخوصه في فضاء لا حدود له[٣] . وتؤثر الظروف الاجتماعية على تلك الشخوص ، فتراها دائماً مسلوبة الارادة واقعة تحت ضغط هذه الظروف وهي مبهمة الحياة [٤]. واتخذ القاص من الماضي والحضر مواقع مهمة طرح من خلالها رؤاه وافكاره وربط بينهما ربطاً وثيقاً واعطى لكل منهما خصوصيته ، واقترن الماضي لديه بصور الميثولوجيا الظليلة الموشاة بحزن اسطوري موروث المرسوم على الوجوه اساطير وأحجية وحكايات ليلية للتسلية

---

[١] ينظر : في ادبنا القصصي المعاصر ، ١٩٨ .

[٢] ينظر : القاص والواقع ، ٥٥ و ٥٦ .

[٣] ينظر : القاص والواقع ، ٦٠ .

[٤] ينظر : القاص والواقع ، ٦٩ .

، واخرى تعمق جرحاً نازفاً في الذاكرة ، واقترن الحاضر لديه بدوران يومي لشخوص قصصه بين تحقيق الذات والبحث عن المصير فنجد الجند والفدائيين خلف المتاريس وخلف المشكلات اليومية[١] . وان الطبقة الاجتماعية هي التي تقف خلف شخوص قصصه اذ ليس هناك استدعاء للميثولوجيا بمعزل عن الحاجة الملحة للمجابهة وليس هناك استبطان نفسي للشخصية الا من قبيل التشبث بالواقع ، وهي من النوع المجرب : المخطئ والصالح والزاني والشريف والمسحوق تحت رحمة العالم المادي / المسحوق بفعل الضغوط النفسية ، وان مشاعر شخوصه تتوحد وتتشابه فالمخطئ ليس مخطئاً برغبة منه ، والمسحوق ليس مسحوقاً برغبة ذاتية منه[٢] .

والقصة لديه تنظيم للوعي الداخلي وتشكيل لهذا التنظيم في موقف انساني كبير لا يعلن عن نفسه بسهولة ووضوح انه البحث عن المصير المحرك لكل كائن بشري يسعى لتحقيق وهم الحياة والقصة كذلك مساهمة في اكتشاف الشخصية في لحظة احتدامها بالفعل اليومي ، او في لحظة فرحها ، بممارسة طقوسها الخاصة ، والقاص يسعى إلى تجسيد غربتها وضياعها في لحظة حضورها الواقعي ومن دون ان يعزلها عن شرطها في الحياة[٣] . واختار القاص شخوصه من النماذج الفقيرة البائسة وبصورة خاصة الفلاحين والبسطاء وعالمه هو عالم الفقراء المحبطين البائسين ومتاعبهم اليومية الكثيرة وانتظاراتهم المبهضة ، وللشخوص في قصصه احلامها ورغباتها وتطلعاتها التي تتمسك بها على الرغم من فقرها واحباطها ومتاعبها اليومية . " لشخوص محمد خضير احلام ورغبات ولكنها تحبط وتقمع بشدة وتتحطم على صخرة الواقع الصلد وبفعل قوانين اجتماعية او كونية عاتية لا ترحم "[٤].

أما " المرأة في القسم الأول من قصص المملكة السوداء فهي تبحث كما يقول ياسين النصير عن مصيرها الخاص ومصير مثيلاتها فهي الانموذج بعد ان اكدت خصائصها الفردية فنجدها في كل قصة تطرق لوناً من المصائر رغم ان الاحباط

---

[١] ينظر : نفسه ، ٥٤ .

[٢] ينظر : نفسه ، ٥٥ .

[٣] ينظر : في ادبنا القصصي المعاصر ، ١٦٨ .

[٤] في ادبنا القصصي المعاصر ، ١٩٨ .

الجنسي يشملها كلها باعتبارها امرأة والجنس عندها ميدان للاكتشاف والممارسة إلا انها لا تقف عند حدود الجنس بل تجاوزه إلى الواقع العام وإلى الحياة الاجتماعية "[١]. وفي المرحلة الثالثة من كتاباته هي البطل الرئيس فطرح من خلالها الواقع المزري للمرأة ومعاناتها من الاضطهادات البشعة في مجتمعنا والذي لا زالت تسوده القيم الروحية والاقطاعية العشائرية فتكون النموذج الامثل لرؤاه عن المنبوذين والمذلين فهي تحقق على حد تعبيره (اقصى الاستجابات) وهي تحمل ارث الماضين وتتبئ بملامح الآتين ، وهي ليست مفرغة للهموم ولا مجلبة لفرح ، انها موضوعة ضمن مسار تاريخي تكشف في وجودها عن مستواها الداخلي[٢] . "وشغلت القاص الهموم الحضارية المعاصرة ، فاتخذها مادة لكتاباته وانتقى نماذجه القصصية من ابناء الفلاحين ، فشخوصه كلهم من الفلاحين والجنود منهم والعاطلين والنساء والكل لم يكملوا تعليمهم وحياتهم اليومية مليئة بالمعطيات الحسية لعملية الانتماء فنجد افكارهم تستحضر بفعل التجربة لتصبح في قصة اخرى موروثاً "[٣].

وضمت قصصه إلى جانب القصص السياسي والاجتماعي قصصاً يعاني ابطالها من فرديتهم المتضخمة وكوابيسهم الخاصة التي لا يبررها غير خوفهم من الواقع وهزيمتهم المنكرة امام مشاكل الحياة اليومية العادية[٤] .

مما لا شك فيه ان كثيراً من القصاصين كانت لهم اتجاهاتهم الفكرية والاجتماعية ونزعتهم التحررية الخاصة بهم ولم تتناولهم الباحثة في هذا المبحث لضيق المجال ومنهم القصاصين : " شالوم درويش ، محمود الدوري ، شاكر خصباك ، عبد الله نيازي ، مير بصري، صفاء خلوصي ، صلاح الدين الناهي ، خالد الدرة ، كارنيك جورج ، محمد بسيم ذويب ، محمود محمد حبيب ، عبد الرزاق الشيخ علي ، مهدي عيسى الصقر ، محمد روز ناجي ، نزار سليم ، غانم الدباغ ، محمود الظاهر ، نزار عباس ، محمود جنداري ، عائد خصباك ، عبد الامير

---

[١] القاص والواقع ، ٦٩ .

[٢] ينظر : في ادبنا القصصي المعاصر ، ١٩٨ . وينظر : القاص والواقع ، ٥٤ .

[٣] ينظر : القاص والواقع ، ٥٤ .

[٤] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٤٩١ و ٤٩٢ .

الحبيب ، نور الدين داود ، سميرة المانع ، سهيلة داود سلمان ، يوسف يعقوب حداد ، سركون بولص ، خالد الراوي، محيي الدين زنكنة ، محمد عبد المجيد ، عبد الستار ناصر ، وادمون صبري ، يوسف متي ، عبد الاله عبد الرزاق ، عبد الحق فاضل ، غائب طعمة فرمان ، موفق خضر ، خضير عبد الامير ، احمد خلف ، وغيرهم .

الفصل الثاني
التحرر الفكري

المبحث الأول : التحرر والتطور الحضاري .

المبحث الثاني : الأنظمة والقوانين .

المبحث الثالث :

(أ) الدين

(ب) المعتقدات

المبحث الأول
التحرر والتطور الحضاري

ارتبطت نزعة التحرر ارتباطاً وثيقاً بالتطور الحضاري الذي شمل مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، فنتائج الحرب العالمية الثانية وما أفرزته من قيم جديدة وتغيير في النظرة إلى الانسان والمجتمع ، وظهور المذاهب الأدبية المختلفة ، وحدوث الثورات التحررية في العالم . والثورة في عالم الاتصالات واللقاء الفكري بين الشرق والغرب والنظرة التحررية الجديدة إلى المرأة التي بدأت تمارس حقها الانساني في التعلم والابداع والعمل ، ونضج وتبلور وعي القاص العراقي الذي تمكن من استكمال ادواته الفنية ، عوامل ساعدت على تقوية وتعزيز حالة التحرر في الأدب القصصي العراقي ، ومن خلال هذا المبحث يمكن بيان جملة مقومات التطور الحضاري التي ساعدت على نهوض النزعة التحررية في الأدب القصصي العراقي .

فقضية المرأة كان لها حضورها الفاعل في عملية التحرر بحكم التطور الحضاري الحاصل ، ففي الوقت الذي كانت لا تخرج فيه من البيت إلا برفقة ولي أمرها . وفي حالتي الزواج والموت فقط ، والنظرة السائدة للمرأة الشريفة انها لا يرى الناس لها اصبعاً فانها في ثورات التحرر ضد الاستعمار الاجنبي لم تعد قعيدة البيت إذ شاركت الرجل في ميادين العمل والابداع فضلاً عن ذلك اسهمت بفاعلية إلى جانب الرجل في حركة المجتمع ونضاله التحرري[١] . " شاركت المرأة في الحركات القومية الانسانية العظيمة ، وناضلت من اجل التحرر الوطني السياسي والاقتصادي "[٢].

---

[١] ينظر : صورة الرجل في الرواية النسوية العراقية ، خالدة حسن ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، ابن رشد – جامعة بغداد ، كانون أول ١٩٩٩ .

[٢] القصة النسائية القصيرة ، ٦ و ٧ .

ولاقت دعوة (قاسم امين) القائمة على تحريرها صدى كبيراً في العراق واستجابت لها الاقلام الواعية ، فدخلت المرأة إلى المدرسة والجامعة وامتد اثر الدعوة إلى الكتاب والمفكرين والقصاصين ، فأخذ القاص العراقي يتحدث في مشكلاتها بمزيد من الجرأة والشجاعة ، فتناول موضوعات الحب ، والبغاء والزواج والقتل غسلاً للعار والتقاليد السائدة والعادات البالية ، ونلمس ذلك واضحاً في كتابات (ذو النون ايوب ، وعبد الحق فاضل ويوسف رجيب وشالوم درويش ، وانور شاؤول ، وجعفر الخليلي)[١].

ان معاناة المرأة لها جذورها الاقتصادية إلى جانب السياسية والاجتماعية . فهي تستهلك في عمل غير مدفوع الاجر سواء في البيت (انجاب الاطفال وتربيتهم) أم في الحقل وتنتدب في الخارج لاعمال اقلها أجراً وأهلية واكثرها تبعية ، ولكنها على الرغم من العوائق الاجتماعية استطاعت ان تحطم جانباً من الاسوار التي قيدت نشاطها في المشاركة في الحياة العامة ، وتمكنت من الغاء كل العقبات الموضوعة في طريقها ولكن تحررها ، كاملاً يعتمد بصورة أو بأخرى على تحرر المجتمع اقتصادياً أو اجتماعياً [٢] .

واسهم تأسيس الاتحاد النسوي في ازدياد حركة التحرر في المجتمع وتغيير المفاهيم ، واعادة صياغة حياتها على وفق متطلبات العصر والتطلعات الجديدة لحركة التطور الحضاري فصيغت القوانين الجديدة ونودي بحقها في العمل والمساواة والاختيار . " أسس الاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي الذي أكد في ميثاقه على قضية تحرر المرأة ومساواتها مع الرجل وظهور القوة التحديثية الكاسحة التي تمثلت في دخول النساء بمختلف طبقاتهن واجناسهن إلى مجالات العمل العامة والعمليات السياسية "[٣]. وكان الحرص على نيل حقوقها كاملة في التعليم والثقافة والمشاركة في الحياة الاجتماعية والانسانية من العوامل التي عززت ظاهرة تحررها ، ونجم عنها انبثاق الافكار الانسانية الداعمة لمبادئ الحرية والعدالة والمساواة . " ان ازدياد

---

[١] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق،٢٤ .وينظر:في ادبنا القصصي المعاصر،٦١ .

[٢] ينظر : القصة النسائية القصيرة ، ٣ و ٦ .

[٣] نفسه ، ٦ .

الايمان بالايديولوجيات الفرعية التي تؤمن بالمساواة والاستقلالية الذاتية ، فضلاً عن التوجه العام نحو ديمقراطية التعليم والثقافة ، فقد اصبح تفتح الشخصية مطلباً مشروعاً مما اتاح للمرأة فرص الاشتراك في هذه المجالات بحرية واسهم في خلق شخصيتها الجديدة التي اندمجت اكثر وأكثر في البنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية "[١]

أما الأدب النسوي فقد اهتم بتصوير تجارب النساء اليومية ... ووصف كذلك معاناة المرأة في المجتمع ومشاكلها النفسية وآلامها الناتجة عن صراعها الداخلي بين تحقيق ذاتها والاذعان لمقاييس اجتماعية تهضم حقوقها الانسانية "[٢]. واهتم كتاب القصة كذلك بقضيتها التي خضعت لمواصفات العرف العشائري التي عرقلت مسيرة المجتمع وتطوره بنتائجها السلبية ، فشددوا على ادانة النظرة المتخلفة لها مركزين على دورها الكبير في عملية البناء الاجتماعي والاقتصادي فيه ، معرضين بالتقاليد البالية المتوارثة التي خلقت هذه الصورة البائسة لمكانتها ، وكذلك نددوا بالسلطة التي عمقت هذه الممارسات السلبيةالتي نالت من شخصيتها كثيراً [٣] . ويعد تناول القصاصين العراقيين لقضيتها وطرح جوانبها المتنوعة وبمختلف ابعادها من اهم عوامل التحرر التي رافقت التطور الحضاري ، فكانتمؤشراً واضحاً لنزوع القاص العراقي للتعبير عن تحررها من ربقة العادات والتقاليد والتخلف والجهل السائد الذي تحكم بحياتها مدة طويلة من الزمن[٤]. ونجد ذلك واضحاً في عالم القاص (محمد خضير) فهو " عالم مستحدث جديد على القصة العراقية البطلة

---

[١] القصة النسائية القصيرة ، ٦

[٢] صورة الرجل في الرواية النسوية العراقية ، ١٠ .

[٣] ينظر : الرواية العراقية وقضية الريف ، باقر جواد الزجاجي . دار الرشيد للنشر ، بغداد، سلسلة دراسات (٢٠٤) ، ١٩٨٠ ، ص٨٨ .

[٤] ينظر : القاص والواقع ، ٦٩ .

المحورية فيه هي المرأة العراقية امرأة من الاعماق ، والحرمان والطفولة امرأة الهم الحضاري المشترك ، ولهذا كانت قصصه مبتكرة في اسلوبها ونوعية احداثها[١] .

وكان للقاصات العراقيات دورهن في محاولة تغيير نظرة المجتمع لها والتعبير عن حجم المعاناة التي تعانيها من أحكام قاسية وضغوط جائرة وسلطات مستبدة تفرض عليها ارادتها . " حاولت المرأة امتلاك صوتها وحضورها في الاعمال الأدبية معبرة عن لسان حالها في المجتمع لتخرج على بعض التقاليد والقيم والعادات التي طوقتها بها تلك النظرة ، وذلك الغموض في النظرة لها ككائن حر مبدع "[٢]. وظهر في الساحة الادبية اديبات مثلن طراز تفكير المرأة العراقية التي جمعت بين القديم والحديث وكذلك بين حرية التعليم وتقاليد المجتمع وكان لهن اصداء مختلفة لانهن نشأن ونضجن في مجتمع فيه بقايا التفكير القديم التي اختلطت بالنزعة التربوية الحديثة[٣] .

وعلى الرغم من ذلك تمكنت القاصة العراقية من طرح قضية المرأة بأبعاد مختلفة فكانت ترسم معاناتها من جهلها وفقرها واستبداد التقاليد والعادات بها ، وتحكم الجهل الجائر بحياتها ومصادرة عواطفها ورغباتها حتى الغاء وجودها الانساني ، ومن ابرز القاصات العراقيات اللواتي تناولن قضيتها في قصصهن . "لطفية الدليمي ، بثينة الناصري ، ديزي الامير ، سهيلة داود سليمان والقاصة مي مظفر التي شغلت المرأة وهمومها الموضوع الاساس فيها إذ "مثلت القصص خطاً بيانياً لتطور وضع المرأة في المجتمع ، فقد كانت النساء في مجموعتها الأولى (خطوات في ليل الفجر) جاهلة وتنتمي إلى طبقة اجتماعية فقيرة وضعيفة تعيش في حالة انتظار دائمة للرجل وتجلى ذلك في قصصها الجديدة ، خطوات في ليل الفجر ، نهر الفجيعة وغيرها "[٤]. أما كتاب القصة فقد انطلقوا في كتاباتهم من منطلق الايمان بالتطور الفكري والحضاري وكانت الفكرة القائمة في الذهن تنطلق من اعتقادهم : "

---

[١] القاص والواقع ، ٦٩ .

[٢] صورة الرجل في الرواية النسوية العراقية ، ١٣ .

[٣] قضايا أدبية عراقية ، ٧٠ .

[٤] القصة النسائية القصيرة ، ٢٣٦ .

ان كل امة لا تؤمن بالتطور الفكري والحضاري يحكم عليها بالموت البطيء ، ولعل اولى ادوات الامة التي تخضع لهذا المعيار هي اللغة ، ولما كانت اللغة وسيلة مهمة لبلوغ هدف الفهم ، فانها بالضرورة تعني المحصلة الفنية التي يحدث بها هذا التأثير "[١]. وخلق التطلع والتفتح الذهني لدى الاديب والمفكر العربي نوعاً من الايمان بكل ما هو جديد فأثر ذلك التوجه في كتاب العراق تأثيراً حياً وفاعلاً ، فنتج عن ذلك تنوع القاص العراقي في كتابة الرواية والقصة والاقصوصة ، " كان ايمان الاديب العربي بان مسألة الحداثة وارتياد اشكال جديدة ولاسيما في الفن القصصي يساعدانه على الخلق والنمو والعطاء ، مما يؤدي إلى غناء حضاري وتطور فكري في اولى وسائل التعبير عنده ، فظهرت القصة القصيرة بصورها المتجددة "[٢].

وكان لظهور الطبقة المثقفة المتطلعة إلى التقدم والتطور دورها الفاعل في تغيير نمط التفكير والحياة الادبية ، ودعت إلى نبذ القديم وتجديد الفكر الانساني والادبي ، وكان لهذه الطليعة المثقفة دابها وممارستها الفعالة وتأثيرها الايجابي على الحياة بصورة عامة وعلى القصة بصورة خاصة . " ان كثيراً من القيم الفنية التي اخذت تتجلى واضحة في القصص العراقي ابتداءً من الثلاثينات تبعاً لاتضاح اكثر القيم الفكرية المؤثرة في المجتمع انما قاد اليه واقع التطور الاجتماعي والذي كان من معالمه البارزة ، وجود فئة من الطلائع المثقفة من ابناء البرجوازية الصغيرة الناشئة تنزع في تفكيرها نزعة تقدمية واضحة وكان لها دورها الفاعل في الحياة الفكرية والسياسية في العراق "[٣]. ولاتصال القصاصين بالمجتمعات الاوربية اثره الايجابي في نماء وعي القاص : " ان الكاتب القاص وهو يمثل النخبة المثقفة يعي بعد اطلاع متواضع يناسب الفرص المتاحة من قراءة او سفر او احتكاك بشخصيات اخرى مثقفة واقع التخلف والانحطاط الذي يعيش فيه مجتمعة قياساً بالمجتمعات الأخرى ولاسيما المجتمعات الأوربية التي عدها معظم المثقفين والكتاب آنذاك

---

[١] عبد الرحمن الربيعي بين الرواية والقصة القصيرة ، ٧ .

[٢] نفسه ، ٧ .

[٣] الادب القصصي في العراق ، ج١ ، ٢٢ .

الصورة المثالية التي ينبغي ان تتجه مسيرة التطور والتقدم صوبها "[١]. واثرت الاتجاهات الفكرية التي ظهرت في مصر على القصة العراقية القصيرة فأكسبتها دوراً فاعلاً ومهما في ممارسة توعية الناس ، إذ كان لهذه الاتجاهات قيمتها في خلق القصة العراقية الحديثة ومحاولة تمسك كتاب العراق بالواقع اذ اثار كتاب (الديوان) للعقاد وكتاب (الاسلام ونظام الحكم) للشيخ علي عبد الرازق وكتاب (الشعر الجاهلي) لطه حسين البلبلة في القيم لدى المفكرين من جهة وساعد على ارساء الفكر الحر من جهة اخرى[٢] . "فأصبح الفكر العراقي المعاصر اكثر تلوناً وعمقاً واكثر احساساً واتصل اكثر من ذي قبل بالفكر العربي النير ، واصبحت الجامعات العراقية المعمل الرسمي لخلق الفكر الحضاري "[٣]. وبدأت تتشكل لدى القصاصين العراقيين رؤى وافكار وتطلعات جديدة تعنى بجوهر العملية الابداعية ، فالقاص (عبد المجيد لطفي) اكد على ضرورة الموهبة لدى القاص إلى جانب قراءة الآداب العالمية قائلاً : " حيثما تظهر الموهبة يكون العطاء الجيد والرائع والمتخطي "[٤].

ويضيف ان الموهبة وحدها لا تكفي اذ يتطلب الابداع تطوير الموهبة وصقلها من خلال الاطلاع على الآداب العالمية . " ان قراءة الاثار الرفيعة من الاداب العالمية تعطي ذا الموهبة نماذج تحتذى وتوسع من افقه وتقنيته ودراسته وزركشة الديكور ولكن ذلك يتطلب موهبة حقيقية فليست القراءة باللغة الاجنبية كافية لوحدها ان تصير من القارئ المتأدب كاتباً لامعاً ، اذا كانت الموهبة ضيقة اولاً موهبة اصلاً "[٥].

وكانت لمحاولات الاصلاح الاجتماعي نظرتها الواقعية لما يكتنف المجتمع من ترسبات وتراكمات وموروثات فاتسمت بالجرأة في تطبيق الأفكار ، وسعت إلى

---

[١] البطل المصلح في الرواية العراقية ، ١٣ .

[٢] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٧٦ .

[٣] قضايا ادبية عراقية ، ٢٠٩ – ٢١٠ .

[٤] رحلة مع القصة العراقية ، ١٠٤ .

[٥] نفسه ، ١٠٤ .

تحرير شخصية الفرد من ناحية وابراز الشخصية العربية من ناحية اخرى[١] . وحاولت تحرير ثقافة الفرد وتخليصه من الحصار الذي ضربه نظام التعليم حوله وذلك بانشاء كليات الحقوق والطب والتربية في العراق[٢] .

ولظهور وانتشار الأفكار الاجتماعية الجديدة اثره في خلق حالة التحرر في المجتمع ، إذ تغيرت النظرة إلى الحب ففي الوقت الذي كان ينظر فيه إليه على انه اثم وخطيئة وفاحشة ، صار هناك من يدعو اليه ويدافع عنه من المثقفين والمتحررين كذلك تغير مفهوم الحرية في المجتمع اذ كانت مجرد كلمة تقال ، ولكنها صارت بعد الحرب تجد من يسعى اليها ويكافح من أجلها ويضحي بنفسه وبممتلكاته من أجل نيلها[٣] . واكتسب الادب رؤية جديدة وفاعلة بنيت عليها قدرته في تغير نمط الحياة فصارت هذه الرؤية اعمق واكثر شمولية وذات بعد انساني كبير ، فنظر اليه باهتمام كبير ، وحظي باهتمام اكبر للتأثير الذي يتركه في نفس القارئ وقدرته على توجيه الفكر توجيهاً بناءًفصار الادب مرآة تعكس حياة المجتمع السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية وتطلب الامر اعادة النظر في دور الادب وضرورة توافر عنصر الصدق والموضوعية فيه . " ان حذف المعلومات بسبب التقاليد او العادات او الاخلاق او الدين او السياسة هو خيانة ادبية دون شك"[٤]. ومارست القصة ايضاً تأثيرها في الناس فأخذت تبحث في عيوب المجتمع على الرغم من الركود الذي خيم على الادب القصصي في الاربعينات بسبب نشوب ثورة مايس ، واهتمام الصحافة بأنباء المعارك واهمال الادب والثقافة وقلة ما ينشر ولكن بقي للقصة اثرها في نفوس القراء[٥] . إذ بدأت الكتابات القصصية في الثلاثينات

---

[١] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٢٣ .

[٢] نفسه ، ٢٣ .

[٣] ينظر : نفسه ، ٢٢ .

[٤] النقد الادبي ، ج٢ ، ٥٣ .

[٥] بنظر : الادب القصصي في العراق ، ج١ ، ٢٥و ٣٠ و ٣٥ .

والاربعينات تمارس تأثيراً أوسع واعمق في وعي الناس ورؤيتهم محققة في ذلك ايصالاً فكرياً ومعرفياً تارة ، وايصالاً جمالياً وفكرياً تارة أخرى[١].

فالواقع الثقافي كان يشهد حركة ثورية رافضة للاوضاع ولاسيما في مجال الفن الادبي في مضمار القصة القصيرة واول بوادر هذا التجديد تأثر القصة القصيرة وتطورها بعد الحرب وتطوير القصاصين الرواد لانفسهم[٢] . وافاد كتاب القصة من تمرد كتاب الغرب في خلق شخوص ثائرة نفسياً واخلاقياً فخلقوا المرأة الثائرة المتحررة او العامل او الفلاح ذا الفكر الفلسفي السياسي المثقف ، وافادوا من مثالية الواقع في الاتجاه الواقعي الاشتراكي وصوروا الشخصية الطامحة إلى العالم السعيد الذي سيتحقق هرباً من ضجر اليوم والبيئة المعاصرة والواقع المرير[٣].

ويمكن ان تعد مرحلة الخمسينات مرحلة النهوض للفن القصصي ، اذ كان القاص الخمسيني يمتلك فهماً نقدياً لوظيفة العمل القصصي وكانت القصة لديه وسيلة من وسائل نقد الواقع الاجتماعي وقد ساعد على هذا النهوض عاملان :

الاول – اتساع نهضة المجتمع عامة ، وكان للحرب العالمية الثانية خاصة اثر كبير في اتساعها .

الثاني – ازدياد انفتاح الفكر والادب في العراق على الفكر والادب العربي والغربي .

وحملت تجربة الخمسينات الابعاد المشتركة للهموم الاجتماعية والهموم الفردية في آن واحد ، واستطاع القاص ان يحقق درجة من التوازن بين حاجات التغير الاجتماعي وبين النضج الداخلي للعمل القصصي وادواته[٤] . وشهدت هذه المرحلة نشاطاً ادبياً متطوراً حقق فيها الادب نضجاً فنياً ، وبرزت اتجاهات فكرية عدة ، واحداثاً سياسية كثيرة كان لها اهميتها في تاريخ العراق الحديث غيرت من واقعه ونقلته إلى واقع مغاير ، وقد دفعه ذلك إلى التطلع إلى مجاراة الاقطار العربية

---

[١] ينظر : ملتقى القصة الاول ، ٢٩٠ .

[٢] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٥١ . وينظر : في ادبنا القصصي المعاصر، ٤٨.

[٣] ينظر : قضايا ادبية عراقية ، ١٨٠ .

[٤] ينظر: الادب القصصي في العراق ، ج ، ٣٩ .

المجاورة في مجال التطور الفكري والحضاري الامر الذي انعكس على النتاج الادبي والقى بظلاله الواضحة عليه[١] .

وشهدت كذلك تصاعداً في الوعي الفني والاجتماعي لدى أبناء الجيل فكان الكثير منهم يتقن لغات أجنبية تمكنه من تطوير أدواته القصصية باستمرار[٢] ، فضلاً عن ذلك زيادة الاتصالات واتساع حركة الترجمة وانتشار الصحافة والالتقاء بالحضارة الغربية جميعها عوامل ساعدت على فهم الحياة اكثر . "شهدت الخمسينات نهضة فنية في القصة ، وكان الكتاب اكثر عصرية من سابقيهم واكثر اطلاعاً على الفن الغربي وفي مقدمتهم عبد الملك نوري ، فؤاد التكرلي ، شاكر خصباك ، مهدي عيسى الصقر ، غائب طعمة فرمان "[٣].

اما الاتجاهات الادبية التي تنوعت وسادت بعد الحرب العالمية الثانية فكان لها اثرها في النزوع إلى التحرر لانها كانت اكثر صلة بالانسان وواقعه ومشكلاته. " فكانت الرومانتيكية اكثر المؤثرات فاعلية في القصة العراقية واكثرها قوة واستمراراً بحكم انها كانت المدرسة الاكثر تأثيراً في بدايات القصة العربية بشكل عام "[٤]. اذ اعطى الرومانتيكيون روحاً جديدة للادب القصصي العراقي فوقفوا موقف الشكوى من ظلم المجتمع وبعضهم تمرد على هذا الظلم لضمان الرضا الفردي والاجتماعي[٥] . وعمد الرومانتيكيون إلى التطرف الخيالي والعاطفي ، وكان الفرد محور كتاباتهم ، فجعلوا من الفردية مركز الرؤية بالنسبة للحياة وبحثوا في احلامهم عن السعادة التي حرمهم منها المجتمع ، وعبروا عن آمال المجتمع والوطن في التحرر من الاستعمار ومن قيود الذل والعبودية . فكانت دعوتهم لحرية الفرد والوطن واضحة في كتاباتهم ومن خلالها واجهوا الاستعمار الغربي ، فكانت تلك الدعوات اشبه بالصرخات على

---

[١] ينظر : الادب القصصي في العراق ، ج١ ، ١١و ٣٩ .

[٢] ينظر : في ادبنا القصصي المعاصر ، ١٩٠ . وينظر : قصص عراقية معاصرة ، ٢٣ . وينظر : ملتقى القصة الاول ، ١٦٧ .

[٣] من حديث القصة والمسرحية ، ٢١ .

[٤] الشخصية العالمية في القصة العراقية ، ١٩ .

[٥] ينظر : القصة القصيرة في العراق ، ٤٧ .

ألسنة أبطالهم في سبيل الحرية المسلوبة التي كانت مكبوتة[١] . وكان للمؤثرات العربية والاجنبية التي سارت بهذا الاتجاه نفسه تأثيرها وانعكاسها على القصة في العراق والتي ركزت بدورها على المآسي والنكبات التي كان يعاني منها المجتمع[٢] .

واتخذ بعض الرومانتيكيين من القصة وسيلة للتعبير عن الذات فأعلن ثورته وطالب بحريته ، وتحرره من القيود وكشف عن دواخل نفسه وكان يعقب ثورته بالشكوى والتشاؤم والالم فكانت المشاعر لديه تزداد قتامة وقوة ، ويجد في عذابات التأمل والاجترار بعض الراحة في شقائه نعيماً ونبلاً ، ويبدو الامر جلياً في كتابات (كارنيك جورج) في قصته (رسالة شاعر) اذ يتغنى الشاعر بآلام حبه وهو يوالي ارسال الخطابات إلى حبيبته الجافية ، واتجه هذا الاتجاه ايضاً القاص (عبد المجيد لطفي) ، والقاص (ذو النون ايوب) ، والقاص (صلاح الدين الناهي)[٣].

ويعد الاتجاه الواقعي من ابرز الاتجاهات القصصية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية ، وهو امتداد للاتجاه الواقعي الذي ظهر قبل الحرب في بعض اشكاله عند (محمود احمد السيد) و (ذو النون ايوب) و (شالوم درويش) والفرق بين الاتجاهين ان الاخير تمكن من التخلص من الرومانتيكية الشفافة التي كانت تشوب الواقعية الاولى . فكان محور موضوعاته التي استقاها من حياة الشعب العامة ومشكلاتها تدور حول مشكلات المجتمع ، ومظاهر البؤس والفاقة التي ترزح تحتها الطبقات العاملة من الشعب ، واستغلال الاقطاعيين واصحاب رؤوس الأموال للشعب ، ولم تكن هذه الواقعية تدعو إلى سلوك خاص في الحياة وانما كان همها فهم الواقع وتفسيره ، والهدف من ذلك تفسير الواقع بما فيه من خير او شر[٤] .

ويمكن القول ان الواقعية الجديدة كان لها توجهها التحرري الذي ارتبط بالتطور الحضاري ، وفهم دور الادب في تغيير الحياة إلى الافضل ، لأنها عمدت إلى تصوير قطاع التطور الثوري ولم تقتصر على تصوير الواقع فقط بل حاولت

---

[١] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٤٨ .

[٢] ينظر : الشخصية العمالية في القصة العراقية ، ١٨ .

[٣] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٤٧ و ٤٨ .

[٤] القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٦٢ .

الكشف عن سر الاحداث والعلاقات بين الناس والمجتمع[١] . وكان اتجاه القاص العراقي للواقعية الحديثة ملحوظاً في نزعتها الانسانية واهتمامها برصد الواقع وحركة الصراع والتغير الاجتماعي والتصاقها بحاجات وتطلعات الكادحين والتعبير عن رؤية ثورية واضحة عن الواقع الاجتماعي ، وقدمت هذه المرحلة مجموعة كبيرة من الاسماء الجديدة امثال : جهاد مجيد ، فاضل الربيعي ، نعمان مجيد ، سعد البزاز ، امجد توفيق ، حميد ناصر ، كاظم الاحمدي ، عبد الله صخي، عدنان منشد ، لطفي ناصر ، مي مظفر ، لطيفة الدليمي ، وغيرهم[٢] .

وفي السبعينات تمكن القاص العراقي من هضم التجربة الفنية لقصاصي الخمسينات والستينات ومن استيعاب اهم المعطيات الجديدة للقصة العربية والعالمية ، وان يحقق نموذجه القصصي الذي يكشف عن تغير في الرؤية القصصية من جهة وعن نضج ادواته الفنية من جهة اخرى[٣]، فاتسمت الكتابات القصصية بالنضج والتنوع في استخدام ادوات جديدة في التغيير والبناء ولكن دون انغلاق في استخدام نهائي على الهم الجماعي كما كان في الستينات . ومن المؤكد ان الكتابة القصصية تتحول إلى اداة فاعلة في التغيير الاجتماعي بتوكيدها قيم التغيير ورفضها مظاهر التخلف[٤] .

وإلى جانب الايمان بالتطور الفكري والحضاري والحداثة وارتياد اشكال حديثة وجديدة في الفن القصصي ، وحرية الرأي وتغيير النظرة إلى المرأة والجنس والاحتكاك بالغرب والاطلاع على الثقافة الغربية والتأثر بها عن طريق الترجمة او السفر وغيرها من عوامل التطور الحضاري التي ذكرت سابقاً ، كذلك كان النقاش والسجال بين الادباء ولقائهم في المنتديات والمقاهي الادبية ، فضلاً عن ذلك استخدام القصاصين التحليل السيكولوجي للشخصية ، واسلوب التداعي ومحاولة فهم نظريات علم النفس وطرح القصص من خلالها ولجوء القاص إلى التجريب أو تأثر

---

[١] نفسه ، ١٦٤ .

[٢] ينظر : ملتقى القصة الاول ، ٢٩٨ .

[٣] ينظر : نفسه ، ٢٩٨ .

[٤] نفسه ، ٢٩٩ .

بعض الكتاب بـالادب الوجودي وادب كافكا وكثير من العوامل التـي رافقت التحـرر والتطور الحضاري .

المبحث الثاني
الأنظمة والقوانين

يعد التحرر من عبودية السلطة والأنظمة والقوانين المستبدة التي تنتهك حقوق الإنسان ، وتصادر حريته لأجل الحفاظ على مصالحها الخاصة أحد محاولات التحرر في العصر الحديث إلى جانب تحرر الزنوج والمرأة والتحرر من الاستعمار ولما كان الأدب : " أحد المظاهر النوعية للنشاط الروحي للإنسان ، وهو الصفة نفسها التي تنطبق على الفن والدين والعمل السياسي والاجتماعي لذلك يمكن دراسته كوظيفة اساسية بلا اعتبار للزمان والمكان"[١] .

فلابد أن تظهر في الأدب نزعات تحررية تدعو إلى الثورة ورفض الظلم والخلاص من طغيان الأنظمة واستبدادها . وتكمن الاهداف الحقيقية للأدب في التحرر من الأنظمة المستبدة والقوانين الجائرة ، والدعوة إلى حياة أكثر عدالة وحرية وديمقراطية فللأدب ثوريته التي تعزز ظاهرة التحرر فيه فهو : " التعبير عن الثورة السياسية سواء في التمهيد لها واثارتها أم في تعزيزها ومتابعة خطواتها في تحقيق ما قامت به من أهداف قومية واجتماعية وإضاءة طريقها وتعميقها في النفوس"[٢] .

وهو أكثر مجالات الإبداع رفضاً وتحدياً للأنظمة المستبدة والقوانين الجائرة، وهو في سعيه الدائب إلى تحقيق العدالة والتحرر فأنه ينشد كذلك مقاومة الطغاة ، ويتطلع إلى بناء الآمال لأن : "الأدب الثوري هو الأدب الملتزم الذي تبدعه أمة من الأمم من وجدان أبنائها ، من همومهم وآمالهم ، من نضالهم وتطلعهم فتقدمه هدية لمجمل الإبداع البشري كدليل على ثبات هذه الأمة ونضالها من أجل بناء مستقبل الإنسانية المضيء ومقارعة الأعداء والمرتدين"[٣].

---

[١] الأدب المقارن ، ١٩٧ .

[٢] الواقعية في الأدب ، ٢٤ .

[٣] الشاطئ الجديد ، ٢٥ .

ولما كانت "الحضارة هي التقدم الفكري والثقافي والنفسي وشيوع القانون والنظام واستحالة ذلك إلى سلوك يومي للفرد والمجتمع"[١]. فانها في جانب آخر زادت في تعقيد الإنسان ، وأكثرت من مشكلاته وأزماته وجعلته اشلاء مفرقة بين رحاها ، فصارت حرية الإنسان مقيدة بحكم القوانين والأنظمة التي تتحكم به ، لأجل أن يتخلص القاص من عبودية الأنظمة والقوانين وقوالب وقيود الحضارة التي قيدته فأنه لجأ إلى فتح منافذ إبداعية يطل منها على العالم الذي يبتغيه ، ويحلم به كاستخدام الرمز وغيره[٢] .

ان المجتمع العراقي ظل محكوماً بقوانين الحياة الإقطاعية والعشائرية الموروثة بتخلفها وأمراضها المتعددة وعجزت الطبقة الوسطى الناشئة في المدن من ان تمارس دوراً فاعلاً في قيادة المجتمع فقنعت بأن تحالف الإقطاع لتكون إقطاعا جديداً في المدينة المتخلفة الناشئة لا تمتد أحلامه أبعد من اقتناء العقار والمال وكراسي الدولة[٣]. فالتغيرات المبكرة في بنية المجتمع العراقي بسبب بداية مظاهر التحديث الناشئة عن تأثير النظام الرأسمالي العالمي ونفوذ شركاته الأجنبية وعن الاحتكاك بالغرب لم تفلح بسبب الهيمنة الاستعمارية المباشرة والمتسترة بعمالة ما يسمى بالحكم الوطني المزيف في ان تكون بدء نقله نوعية جديدة في بنية المجتمع[٤]. لقد سعت القوى التقدمية إلى زيادة الوعي الوطني بين أفراد الشعب فنجم عنه دفع بعض الانتاج القصصي في اتجاه سياسي معين ينقد أوضاع المجتمع ، ويدين القوى التي تعيق تقدمه كما يتضح في قصص ذو النون أيوب[٥].

وتأثر الواقع الثقافي في مرحلة الخمسينات تأثراً مباشراً باضطراب الحياة السياسية وعدم استقرار الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وانعكس ذلك على القاص

---

[١] قضايا أدبية عراقية ، ٢٥١ .

[٢] ينظر :عبد الرحمن الربيعي بين الرواية والقصة القصيرة ، ٦٣ . وينظر القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٢٧٦ .

[٣] ينظر : في النقد القصصي ، ٣٠٤ .

[٤] ينظر : نفسه ، ٣٠٣ .

[٥] ينظر : الأدب القصصي في العراق ، ج١ ، ٧٢ .

العراقي إذ كان بحكم وضعه في المجتمع يقف موقفاً منتمياً وفاعلاً في الكفاح الذي يخوضه الشعب ضد النظام الملكي وهدف في قصصه تقديم إدانة للواقع ، فحاول أن يكشف عن البؤس والاستغلال والمهانة ومصادرة الحريات ، وكان يحمل الروح الهجومية الهجائية الناقدة للواقع الاجتماعي والسياسي المتخلف، ويحمل النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي مسؤولية كل المساوئ الاجتماعية والعذابات التي يواجهها الناس[١]. وارتبطت القصة في العراق بظهور طبقة من الطلائع المثقفة من أبناءالبرجوازية الصغيرة التي اتجهت اتجاهاً تقدمياً في طرح أفكارها ومضامين قصصها . فاستطاعت ان تعطي هذا النوع الجديد من الأدب كثيراً من الملامح الفنية، كما عملت على ربطه بالسياسة وعكسه لها وتأثره باتجاهاتها"[٢]. ونجم عن ذلك ازدياد احساس العراقيين بتخلفهم وسوء واقعهم وضرورة تغييره فأدى هذا الاحساس إلى تعاظم المشاعر الوطنية التي اتجهت إلى الدعوة إلى الاستقلال ونيل الحرية[٣].

وحاول الادباء العراقيون تناول الواقع من خلال طرح جاد لمشكلاته متفادين العرض السطحي ، فرصدوا حالات اجتماعية وغلفوها بنقدهم اللاذع للأنظمة القائمة فسادت في قصصهم صرخات الاحتجاج والإدانة والدعوة إلى الثورة على الاوضاع السائدة ودأبوا على تصوير آثار الاستعمار في افساد الحكم واستغلال النفوذ والتناقض الطبقي والانحلال الخلقي ويمكن تلمس ذلك واضحاً في أدب الأربعينات والخمسينات[٤].

---

[١] ينظر : التجريب في القصة والرواية ، سليمان البكري ، وزارة الثقافة والاعلام / دار الشؤون الثقافية ، الموسوعة الصغيرة ، ٤٣٨ ، ص١٦ . وينظر: قصص عراقية معاصرة، ٢٣ و ٢٤ . وينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٢٥ .

[٢] الأدب القصصي في العراق ، ج١ ، ٢٢ .

[٣] ينظر : نشأة القصة وتطورها ، ٧٩ . وينظر القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٢٦ .

[٤] ينظر : المدينة في الرواية العراقية ، أحمد حيال جهاد ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ١٩٩٩ ، ص٢٩. وينظر قصص عراقية معاصرة ، ٦ .

وركز القصاصون على شخصيات أفقدها الاضطهاد الطبقي وضغط الحياة المعاشية لواقعها مستلزمات التواصل مع أهدافها ومطامحها ، ومستلزمات التغيير الثوري لواقعها[١]. وكان كتاب الجيل الثاني يعانون من التمزق الذي لم يولد مفاجئاً لديهم ، وانما كانت جذوره تمتد إلى بدايات القصة العراقية وكانت له بواكيره في كتابات (محمود أحمد السيد) ، و(لطفي بكر صدقي) ، و(سليم بطي) ، ولكن الاحساس بالتمزق ازداد وتعمق أكثر في نفسية الأديب العراقي وانبعثت بصورة اشد اندفاعاً بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة الآلام التي سببتها في النفوس والدماء التي سالت خلال الوثبات المتعددة التي قام بها الشعب العراقي في الأربعينات والخمسينات للتخلص من حكامه[٢]. وعاش كتاب الخمسينات مرحلة توثب وتبشير بالثورة القادمة التي لابد ان تحدث خلال قصصهم الواصفة لأشد العهود ظلاماً والمصورة لنماذج الكثير من هذا الظلم ، وكان لثورية العصر الذي عاشوا فيه تأثيره المباشر والذي تمثل بقيام حرب السويس ووحدة مصر وسوريا وانهيار الاتحاد العربي بين العراق والاردن وثورة الرابع عشر من تموز ، وقيام الجبهة الوطنية بين الاحزاب السياسية[٣] . وركز ادب الخمسينات في العراق على مشكلات وقضايا الجماهير الكادحة إذ احتلت هذه القضايا الموقع الاول من اهتمام الادباء[٤] .

فعكست القصص الجانب السلبي والمظلم من حياة الطبقة العاملة من حيث الفصل الكيفي والبطالة والحرمان من ابسط الحقوق ، وكانت السلطة الملكية الرجعية تواجه اضرابات العمال بالقمع والرصاص فعاش العمال اسوأ العلاقات الانتاجية في ظل اسوأ الظروف[٥] ، وتعد قضية فلسطين اهم القضايا التي دفعت بالادب القصصي العراقي إلى أمام ، فمحنة الوطن العربي بهذا الوطن الممزق اشعرت العراقيين بفداحة ما يحدث ، الامر الذي دفعهم إلى بيان توقهم للتحرر وتطلعهم إلى

---

[١] ينظر : الشخصية العمالية في القصة العراقية ، ٣٩ .

[٢] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٧٠ .

[٣] ينظر : رحلة مع القصة العراقية ، ١٠٧ .

[٤] ينظر : الشخصية العمالية في القصة العراقية ، ٣٦ .

[٥] ينظر : نفسه ، ٩٢ .

الحرية اكثر . "كانت مأساة فلسطين دافعاً مهماً من دوافع التمزق لانها كانت صدمة فادحة طاش في اعقابها العقل والضمير والقلب العراقي فبرز كتاب (القلق والضياع) بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة هذه الاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والصراع الحاد بين قيم قديمة ومعطيات جديدة املتها الحضارة الاوربية[١] . وكان لهذه القضية مساهمتها في تعميق وتصعيد التناقضات القومية والطبقية ومن ثم عمقت دور الادب في كشف وتفجير هذه التناقضات[٢] .

ولما كان هناك تصاعد في النضال الوطني والقومي ، وتعدد الثورات التحررية في العالم وحدوث تطور في رؤية شعوب العالم للديمقراطية والاشتراكية وترديد مفاهيم الحرية والمساواة والعدالة فانها ادت بالنتيجة الى تصاعد الحماسة الثورية للقاص العراقي ، وانتباهه إلى قضايا المجتمع ." ان النقلة المهمة في تطور رؤية القاص العراقي وموقفه من حركة التغير الاجتماعي كانت تتمثل في تجربة القصة الخمسينية التي اختمرت بعد سلسلة من الاحداث المحلية والعربية والعالمية منها النهوض الديمقراطي والقومي الذي اجتاح العالم اثر انهيار الفاشية ، ونهوض حركة الطبقة العاملة ، وانخراط فئات وطبقات من المجتمع في النضال التحرري والاجتماعي[٣] . والعامل المساعد لظهور حالة التحرر هو حدوث الثورات فقد حفلت مرحلة الخمسينات بكثير من الانتصارات على صعيد الثورات العربية والقومية ، وكانت الاخيرة محور اهتمام الانسان العربي والعراقي على حد سواء، ومن هذه الثورات ثورة الثالث والعشرين من تموز في مصر ، والوحدة بين مصر وسوريا والنضال المسلح في القطر الجزائري ، وثورة الرابع عشر من تموز في العراق[٤] . وحدث تطور كبير في الاتجاه الواقعي (السياسي) اتضح في ابداع ابرز القصاصين في الخمسينات الذين اتجهوا إلى تحقيق اهداف سياسية واضحة ومنهم: عبد الرزاق

---

[١] القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٧١ و ١٤٦ .

[٢] ينظر : الشخصية العمالية في القصة العراقية ، ٣٨ .

[٣] ملتقى القصة الاول ، ٢٩٠ و ٢٩١ .

[٤] ينظر : الشخصية العمالية في القصة القصيرة ، ٣٧ .

الشيخ علي في مجموعته الثانية ، (عباس افندي) ١٩٥٩ ، و(غائب طعمة فرحان) في مجموعته الثانية ، (مولود آخر) ١٩٥٩ ، و(مهدي عيسى الصقر) في معظم قصص مجموعته (مجرمون طيبون) ، ١٩٥٤ و(غضب المدينة) ١٩٦٠[١].

ويتضح هدف كتابة قصة (فلاح حائر) ١٩٥٤ لـ (محمد علوان الجميلي) جلياً إذ سعى الكاتب إلى تعرية النظام القائم وادانته والدعوة إلى الثورة عليه راسماً صور البؤس والظلم الاجتماعي من خلال حكاية فلاح مهموم واوضاعه القاسية وحالته اليومية الصعبة ، فعالج القاص مشكلة سياسية تتصل بأوضاع الفلاح العراقي تحت نير النظام شبه الاقطاعي[٢] . وشملت موضوعات القصة مناهضة الهيمنة الاستعمارية ومعارضة الانظمة السياسية المتخلفة والنضال القومي ضد مظاهر التخلف والتجزئة والانحراف وادانة الاستلاب ومحاربة العبودية والتسلط والسعي لاذابة التفاوت الطبقي والتبشير بالثورة والايمان بوحدة المصير والوقوف إلى جانب حركات التحرر في العالم ومساندة الشعوب[٣] . فضلاً عن ذلك رصد الظلم والقهر والاحباط وكل ما يمت بصلة إلى السلطة السياسية إلى جانب التظاهرات العنيفة والعمل الجماهيري[٤] . واشارت معظم القصص من خلال نماذجها الى الخلل الكبير الذي تمثل في خنق الحريات وممارسات الانظمة السياسية المتخلفة والعوج الفكري وتخبطه الذي تجد له اكثر من منبر وفي عقم الموروث الغيبي الذي يشل حركة التطور ، ويضع امام التفتح الانساني اكثر من عقبة[٥] .

ان عشرات القصص القصيرة رصدت طغيان الانظمة واستبداد القوانين الجائرة واتخذت من السخرية او الادانة وسيلة للتعبير ، فالقاص (عبد الله نيازي)

---

[١] ينظر : الادب القصصي في العراق ، ج١ ، ٢٨٨ .

[٢] ينظر : نفسه ، ج١ ، ٢٩٢و ٢٩٣ .

[٣] ينظر : قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ١١ و ١٣ .

[٤] ينظر : قصص عراقية معاصرة ، ١٢ .

[٥] ينظر : قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ٢٣ .

سخر في قصة (فوضى المقاييس) من المسؤولين الذين يعينون دكتورا في الفلسفة مديراً في وزارة الاشغال وحامل الدبلوم في الرسم ملاحظاً في وزارة المعارف[١].

ورصد القاص (شاكر خصباك) في قصة (حياة محطمة) تسلط الاجهزة الامنية والقمعية اذ لا توجد قوانين تحمي حياة الفرد العراقي وحريته ، فالفتاة التي تبحث عن عمل لاعالة والدها المريض تصطدم برجل الامن الذي يحاول العبث معها وحين تمتنع عليه يقودها إلى السجن بتهمة مزاولة الدعارة[٢] . وأكدت بعض القصص على أن التغير الجديد في المعنى السياسي والاجتماعي لابد ان يصحبه تغير عام في النظرة وتطور في الفهم لحركة الانسان نحو الحرية والتقدم"[٣] .

ومن هذه القصص (الانشوطة) للقاص (هشام توفيق الركابي) "لحن جديد لأغنية قديمة" للقاص أمجد توفيق وقصة (لأنهم فقراء ... أحلامهم مشروعة) للقاص كاظم الأحمدي وقصة (جوار قصر شاهق) للقاص نجمان ياسين .

ورصد (حسام الدين نامق) في قصته الطويلة (رجل محترم) الصادرة عام ١٩٤٧ فساد الجهاز الإداري وعيوبه ساخراً من الموظفين الذين يشغلون المناصب فيه ، تتحدث القصة عن موظف يصل إلى درجة لا بأس بها في السلم الوظيفي تقوده الأحداث التي تحدث له إلى مركز الشرطة وهو في حالة يرثى لها وحين يسأله المأمور من أنت ؟

– يجيبه بصوت باك " انني رجل محترم"[٤]

وأراد القاص من خلال ذلك إدانة النواحي السلبية في الجهاز الإداري من خلال شخصية إنسانية والسخرية من بعض الفئات في الجهاز الإداري الفاسد[٥] .

ورصد القاص (عبد الأمير حبيب) في قصة (أبو الخير) نزوع بطل قصته إلى احترام القانون وجعله فوق كل شيء وكل اعتبار .

---

[١] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٢٢١ .

[٢] ينظر : نفسه ، ٢٠٧ – ٢٠٨ .

[٣] قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ٢٧ .

[٤] ينظر : الأدب القصصي في العراق ، ج١ ، ٢٨٥ .

[٥] ينظر : نفسه ، ٢٨٦ .

إذ يأخذ على عاتقه متطوعاً حراسة المحلة وتفقدها ليل نهار وكأنه المسؤول عنها وعن سلامتها وسلامة سمعتها[١] .وحصن القاص بطله في احترام القانون بأسلحة الطيبة والنقاء وصدق العمل والحرص والنية السليمة وعلى الرغم من طرده من العمل فأنه : "كان من عمق الطيبة وعمق البساطة أنه سلك نهج الحرص على سلامة الآخرين، واثقاً بالحق مطمئنا إلى ان لابد من يوم تظهر فيه الحقيقة"[٢]. وفي القصة ادانة لقوانين لا تنصف المظلوم ولا تدفع عنه الظلم وإدانة للجور والتجاهل والجشع والاضطهاد .

ويدين القاص (أدمون صبري) في قصته (الحديقة العامة) انظمة وقوانين تسير في طريق الاستبداد والطغيان ، وتحاول اغتيال حريات الاخرين وحقوقهم ، وتسحق من يطالب بها . تتحدث القصة عن مدير مدرسة ومعلمين يتعرضون إلى ضغوط سياسية واجتماعية واقتصادية في عهد النظام الملكي بين معلم ضاعت موهبته الفنية ومدير يشيد بدور الدولة في بناء المجتمع ويدور الصراع في القصة حول حديقة يستأثر بها مدير الناحية لزوجته ، ويحرم الطلبة منها ، فيسعى المدير إلى محاولة استرداد حق طلبته في ارتياد الحديقة ولكن مدير الناحية يتهمه بالتلصص والنظر خلسة الى زوجته والمدير يتهمه بعدم شرعية استئثاره بالحديقة[٣]. " انها حديقة للناس وليس لزوجتك وحدها ايها السارق المغتصب افتح ابوابها ، ودع الناس يدخلون ، انظر هؤلاء هم اصحابها الذين تزدريهم "[٤] .

ان محاولة مدير المدرسة تحدي قوة وتسلط مدير الناحية ينجم عنها اقاويل واشاعات وقرار بانهاء خدمة المدير . "اخيراً حل اليوم المنتظر مع كارثة اخرست الافواه ، اذ تلقى مديرنا كتاباً من وزارته تبلغه ليس بالنقل إلى ناحية اصغر من

---

[١] ينظر من حديث القصة المسرحية ، ١٩٦ .

[٢] ينظر نفسه ، ١٩٦ .

[٣] ينظر : ادمون صبري ، دراسة مختارات (فوزي كرم) ، وزارة الثقافة والفنون ، سلسلة القصة والمسرحية (٨٩)، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص٥٠ – ٥٢.

[٤] نفسه ، ٥٠ .

ناحيتنا ، واضيع منها على الخارطة ، انما تبلغه بانهاء الخدمة "[١]. وتبقى الحديقة لزوجة مدير الناحية وحدها وكأن القاص يؤكد ان المناصب الادارية هي التي تصنع القانون وتتحكم بالانظمة . ومحاولة تجاوزها تؤدي إلى الضياع والدمار .

وشخص القاص (ادمون صبري) في قصة (مؤامرة) طغيان الأنظمة الباغية والقوانين الجائرة التي تخنق حريات الافراد وتسلبهم الاحساس بالأمان فبطل القصة " شخصية سلبية خنوعة من تلك الشخصيات التي يعج بها سلك الموظفين الذين يخافون على وظيفتهم من ظلهم لأنهم اعجز من ان يكسبوا رزقهم عن غير طريق الارتزاق الحكومي ، فاذا قاموا بعمل ما يظنون ان الحكومة لا ترغب في قيام اتباعها به يخافون وسرعان ما يضعفون ويستسلمون ويتوسلون[٢].

فالسيد (عبد الحميد) يدعو للاصلاح والتحرير والحرية السياسية ولكن الخوف من السلطة والنظام يقض مضجعه ، وتتراءى له اشباح الجواسيس والتقارير السرية والفصل من الخدمة والمطاردة القلقة في المقاهي والحانات إلا ان شوقه لمطالعة جريدة الاهالي لم يفتر .

ويرصد القاص هلع بطله وخوفه من الوشاية وهواجسه التي يستغلها اصدقاؤه فيرسلون له غريباً يسأله عن جريدة الاهالي فيرعبه الامر فيحرق جميع اعداد الجريدة مع كتبه ويقول لصاحبه : " لعنة الله على الاهالي جريدة الزنادقة والكفار ، وخفض صوته فجأة ، الليلة يقبضون عليَّ احد الجواسيس طاردني في المقهى وضاعت وظيفتي ، آه كم كنت احاذر من قراءتها "[٣].

في القصة ادانة للأنظمة المستبدة التي تزرع الخوف المزمن في نفوس المواطنين ، وتبث الجواسيس وتهدد بالفصل وتنال من المعارضة ، ويدين القاص كذلك اولئك الناس الذين يسيطر عليهم الخوف ويقتلهم القلق فيوصمون بالجبن لأنهم يغذون الانظمة الباغية بخوفهم وسكوتهم واختبائهم . واكد القاص (ذو النون ايوب) في قصة (بوق الحرب) ان الخلل الاجتماعي والاقتصادي الذي يصيب المجتمعات

---

[١] ينظر : ادمون صبري ، ٥١ .

[٢] القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٨٧ .

[٣] ادمون صبري ، ٦١ .

انما يحدث بسبب فساد الانظمة وطغيانها ، وفي القصة دعوة إلى التحرر من الحرب ومساوئها . اذ يتحدث القاص عن لقاء صديقين احدهما متذمر شاك من مرضه وما تفرزه الحرب من نتائج ضارة وخيمة تدفعه إلى تمني الموت، والآخر واع مثقف واثق من نفسه ومن سلامة تفكيره ومؤمن بمستقبله يجمعهما العمل معاً في المعمل ، وحين يعلن الاول سخطه واحتجاجه على ما يتعرض له من تعب واستغلال ومرض يدعوه الاخر إلى التطلي بالمرونة والصبر مبيناً له ان الحرب نتيجة حتمية لصراع الانظمة انه يدعوه إلى التمرد والمطالبة بحقوقه والابتعاد عن الشكوى والتذمر فيقول له " انت ان شكوت من اضطهاد فاعلم انك تشكو من ذيول بقايا النظام الذي شنت الحرب لتأييده وان تعبت فإنما تتعب في سبيل قضيتك خاصة وقضية الشعوب عامة ، فعليك يا صاحبي ان تتحمل قليلاً بشرط ان لا يقعدك هذا التحمل عن تحصيل حقوقك مما يؤدي إلى قلة نشاطك في الانتاج ، وان تمردت فاعرف كيف تتمرد وكيف تطالب بحقوقك حذراً من ان يرتد سعيك إلى نحرك فتسير ضد مصلحتك ومصلحة طبقتك "[1]. وشخص القاص (ذو النون ايوب) في قصة (مدينة سائبة) بشاعة الانفلات الامني وعدم الالتزام بالقوانين وحالة التسيب والفوضى السائدة بسبب الحرب . تروي القصة حكاية انفلات الامن في زمن الحرب وانتشار الفوضى ، ويستعرض القاص ما يصيب المدينة من اعمال سلب ونهب وتخريب وقتل يكون نتيجتها الدمار ، فكأن القاص يلقي بتبعية ما يحدث للمدينة من شلل في الحياة وتحطيم لها على الحرب ونتائجها الوخيمة فيقول في نهاية القصة . " انتهت العاصفة اخيراً ، ولابد لكل عاصفة من نهاية ، واستيقظ سكان المدينة كمن يستيقظ من نوم عميق تخللته احلام مفزعة ، ومرت تلك الحوادث المفجعة في اذهانهم مرور ذكريات حلم مخيف من تلك الاحلام الغريبة التي تطرقنا احياناً ، تلك التي ترينا انفسنا في غابات مظلمة ، وحوالينا وحوش غريبة ذات زئير مرعب أو توهمنا باننا ساقطون بين مخالب تلك الوحوش وتحت رحمة انيابها تلك هي بروق

---

[1] المجموعة الكاملة ، ذو النون ايوب ، منشورات وزارة الاعلام ، سلسلة القصة والمسرحية (٦١) ، ١٩٧٧ ، ص٦٧ .

خاطفة من حياة الانسان الاول ، يوم كان يسكن في الغاب الذي لا يزال العقل يحتفظ ببعض لمحات منها على الرغم من كل القرون والاجيال "[١].

في القصة ادانة واحتجاج على همجية الانسان وبدائيته ، وعدم احترامه للقوانين ونزعته التدميرية الشريرة وسيادة القتل والتخريب في غياب القانون .

وشغلت الانظمة والقوانين الجائرة وبهتان العدالة فيها ذهن القاص (ذو النون ايوب) ففي قصة (الرمس القائم) تتجسد مرارة القاص واضحة ، ويأسه من تطبيق العدالة قائماً ، وفي القصة شاب يساق إلى السجن اثر اشتراكه في تظاهرة طلابية ، فتستغرقه كوابيس مرعبة في اثناء نومه وحين يغادر السجن يقول لوالده: " لقد علمت ان كل ما هو مسطر في الكتب من انظمة وقوانين ما هي إلاّ حبر على ورق ، لقد عذبت دون ذنب ، وأطلقت لسبب غير وجيه ، واردت الشكوى فوجدت ان الجدران لا تجيب والظلام لا يبصر ، والابواب لا تفهم ، فاقتنعت بعد تفكير ، بأن من يروم الحرية والفكاك من اطباق الرموس عليه ان يحطم القيود تحطيماً وإلا فليرض الموت "[٢]. ويقدم القاص ادانة صارخة مشوبة بالسخرية والتهكم من ممارسات السلطات الحاكمة والانظمة الفاسدة والقوانين الجائرة التي تطبقها بحق المواطنين ، اذ يعلق القاص في ثنايا قصته على رجل شنقته السلطات الحاكمة وعلقته في احد الميادين العامة لأنه اختلف معها واعلن رأيه في ادارتها الفاسدة ورغبته في تغييرها[٣] . وعل الرغم من فقدان بطل القصة الثقة بالانظمة والقوانين السائدة فانه يرفض النظام والاهانة والذل وامتهان الكرامة لأنه سجن لاشتراكه في التظاهرة فهو يدعو إلى الرفض والمواجهة والمقاومة . وتنتقد قصة (الكابوس) للقاص (ذو النون ايوب) انهزامية الانظمة الحاكمة التي تنساق للدول القوية وتسير في فلكها دون ان تحاول بذل ادنى جهد لاتخاذ موقف صريح وحازم يثبت وجودها كأنظمة مستقلة .تتحدث القصة عن مناقشة ولدين

---

[١] المجموعة الكاملة ، ذو النون ايوب ، ص٩٠ .

[٢] ينظر : الادب القصصي في العراق ، ج١ ، ٢٤٠ و ٢٤١ . المجموعة كاملة ، ذو النون ايوب ، ٢٣٦ و ٢٣٩ .

[٣] ينظر : الادب القصصي في العراق ، ج١ ، ٢٤١ .

لوالدهما الحاكم ورفضهما الانصياع لدولة قوية والدخول في حرب هم في غنى عنها، ويطالبان بضرورة اخذ رأي الشعب اذ يقول الابن لوالده : " ان من يرى موقفنا لا يشك بأننا عبيد لا يملكون زمامهم ، اننا لا نحاول ان نبدي خوفاً او تذمراً مع العلم بأننا نحن الجنود ، بل نحن الخراف التي ستقدم إلى المجزرة الشنيعة المقبلة . لم لا تستفتون الناس يا أبي في امر يتعلق بحياتهم كلها ، لم لا تسمحون للناس بالكلام او بالاعلان عما في سرائرهم ليس في المستطاع ان تكموا الافواه بقبضاتكم حتى الابد ، ستحتاجون إلى اذرعكم لاعمال اخرى يوم تقع الواقعة ، والويل لكم يومئذٍ من انتقام هؤلاء المستضعفين "[١] . ويرد عليه الاب حازماً "ثائر .. انت ثائر اتحب ان اخبر المحكمة العليا عنك ستحكم عليك اذن بالحبس عشرة اعوام "[٢] يدين القاص بشاعة الانظمة وقسوتها المتمثلة في شخص الحاكم الذي لا يتوانى عن تهديد ابنه بالحبس واتهامه بالثورية .

وشخص القاص (ذو النون ايوب) في قصة (الفرصة) غفلة الأنظمة واستفحال الانتهازية وغياب القانون والعدالة من خلال رصده لنموذج يخضع نفسه لقانون الاحتكار والاستغلال انتهز كل فرصة تسنح له ومستفيداً من حالة الحرب ، إذ يقص على جمع من اصدقائه في حفلة له معهم اخبار نجاحاته وانتصاراته في تحقيق الربح الوفير مستغلاً ظرف الحرب فيقول : "كانت كل ثروتي دون الألف من الدنانير ، اجل دون الالف وقائمة البضاعة التي خضعت لقانون الاحتكار والربح الفاحش طويلة جداً ، تيتدئ بأهم هذه الانواع قيمة وهو الخبز وتنتهي بأتفهها واقلها شاناً كالابرة والدبوس "[٣]. ويبسط القاص امامنا صورة واضحة لنمط من تجار الحرب الذين يسحقون الناس بجشعهم وطمعهم مستغلين حالة الحرب ومحققين اعلى الارباح مديناً في الوقت نفسه الانظمة والقوانين التي تتواطؤ معهم وتتغافل عنهم .

وهاجم القاص (ذو النون ايوب) في قصة (اوامر عسكرية) المسؤولين الذين يخونون الشعب فيسخر من عقلية الرجل الذي لا يرى العظمة إلا في الضرب

---

[١] المجموعة الكاملة ، ذو النون ايوب ، ٢٢٤ .

[٢] نفسه ، ٢٢٤ .

[٣] نفسه ، ٦٩ .

والتحدث بشؤون سياسية لا يفقه منها شيئا[١].وصور من خلال ذلك جوانب من الحياة السياسية والاجتماعية وبعض الشخصيات المرتبطة بهما ، فرصد اساليب بعض الضباط العسكريين في ممارسة السلب والنهب والتعامل اللانساني مع الجنود منتقداً العقوبات القاسية والعنيفة التي يتبعها ذلك الضابط ضد جنوده ، والتناقض الصارخ في عقائده وتطبيقاته في افكاره المؤيدة للنازية ومحاولة السير مع التيار والتقرب من الديمقراطية حفاظاً على مركزه ، ويكلف ذات يوم احد ضباطه بمراقبة ما يحدث ويدور بين الضباط فيكتب الاخير تقاريره بصدق ونزاهة : "يتبادلون سراً شعارات فاشستيه ، ويحرضون الجنود على اثارة القلاقل والفرار من الجيش لتكوين العصابات المخربة ، ووصلت هذه الاشاعات إلى المراجع العليا وهي في دور ديمقراطي ، فقامت لها وقعدت وابرقت وارعدت، طار عقل صاحبنا هلعاً ، إذ كيف يحدث هذا دون ان يصدر امراً "[٢]. يحنق الضابط الكبير على من كتب التقرير ويطالب بتغييره ويأمر باعتقاله وطرده من الجيش ، يفضح القاص في هذه القصة ممارسات بعض الضباط الخاطئة ، وتعاملهم اللانساني وتسلطهم الظالم بحرية تامة دون رقيب ودون رادع من قانون او نظام . وكرر القاص (ذو النون ايوب) في قصة (صاحب الفخامة) مهاجمته للمسؤولين الذين يخونون الشعب ، ويتحدث عن الظروف التي تمت فيها معاهدة (بورتسموث) والانتفاضات الشعبية في بغداد التي قامت على اثرها[٣] . فيفصح عن حماسة الشعب وثورته وتمرده على النظام المتمثل بصاحب الفخامة الذي يوقع بنود معاهدة تنص على الرضوخ والانقياد والخضوع ، ونجاح ثورة الشعب التي ينجم عنها هرب صاحب الفخامة وفراره إلى الدولة البريطانية منهزماً منكسراً لعدم تمكنه من قمع الانتفاضة ويدين القاص في الوقت نفسه سقوط وفشل الانظمة التي تسير في ركاب الدول القوية مبيناً سخرية ما يحدث حين يكشف صاحب الفخامة اثناء فراره انه صار نكرة وليس لديه من الفخامة شيء وان عظمته فارغة، وان الدولة البريطانية تبحث عن بديل له : " لم يستقبله احد ،

---

[١] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١١٣ .

[٢] المجموعة الكاملة ، ذو النون ايوب ، ١١٠ –١١١ .

[٣] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١١٣ .

ولم يهتم بأمره احد ، فعلم بعد فوات الفرصة ان الامبراطورية البريطانية قد رمت خرقة اخرى من الخرق التي تمسح بها اقذارها في صندوق القمامة ، وما أدراك ان لا عظمة ولا فخامة بعد ذلك اليوم لقد ادرك اخيراً ان تلك الفخامة جوفاء بكل معنى الكلمة ، وان عظمته فارغة فراغاً مطلقاً [١] .

وفي قصة (صيد البشر) للقاص (ذو النون ايوب) ادانة صارخة للانظمة الاستبدادية التي لا تتردد في اغتيال الطفولة البريئة يصور القاص تظاهره شعبية تقودها الجماهير يراقبها طفل صغير من فوق شجرة فتتعرض الجموع إلى اطلاق الرصاص من الشرطة ويكون الطفل من بين القتلى " كان بالقرب من الشجرة شرطي مشغول يجمع اسلاب تركها الفارون وراءهم ، او عجز القتلى عن الدفاع عنها ، فالتفت نحو مصدر الصوت ، ولعله ظن الصبي كميناً فصوب بندقيته إلى الصبي الراقد بين الاغصان ، واطلق النار "[٢]. تنتقد القصة الانظمة القائمة خلال الحكم الملكي واستبداد السلطات وانفرادها بالحكم وقمعها الحريات والمحاولات الشعبية التي تسعى لنيل حقوقها .

شخص القاص (ذو النون ايوب) في قصة (مكر الله) ومن خلال حوارات فكرية نزوع شخوصه للتحرر من النظام القائم فيبني قصته على حدث يتم فيه اللقاء بين اديب مثالي وشيوعي وكاتب متفلسف مع عدد من الاتقياء . وفي حواراتهم يتباينون في وجهات النظر ولكنهم يلتقون في هدف واحد هو كره الحاكم الظالم ، ويدور نقاش بينهم حول الانتخابات " قال المصلون وهم يودعون رفاقهم {مكروا ومكر الله والله خير الماكرين }فقال الملحد ساخراً ، اشكروا خسة طباع اعدائكم فالفضل لها في الوصول إلى هذه النتيجة "وقال الشيوعي جاداً " ان الشعب هو صاحب الفضل فلولا تدخله بأهازيجه وقصائده لما خضع اولو الامر للواقع ولما اضطروا إلى مجاراته "فضحك الاديب وصاح بهم موافقاً كل ما تقولون صحيح فأنتم مثقفون ورغم اختلافكم ولكن يستحيل عليكم ان تدركوا ذلك الحكم يكاد يقتله الظمأ

---

[١] المجموعة الكاملة، ذو النون ايوب ، ١٠١ .

[٢] نفسه ، ٢٢٢ .

إلى الحرية "[١]. في القصة رصد لنزوع الانسان للتحرر من الانظمة الفاسدة مهما اختلفت توجهاته وافكاره ومذاهبه واعلان صريح عن ظمأه إلى الحرية والعدالة .

وفي قصة (الخصم والحكم) يطلعنا القاص (ذو النون أيوب) على جرأة أحد الشباب فيتحدي الأنظمة القائمة ورفضه لها مجابهاً الموت وداعياً إلى نظام جديد يحترم السلام ويطبق القانون ويحارب الاستغلال .

تتحدث القصة عن شاب جريء يستجوب في المحكمة ويتهمه الحاكم بحمل الأفكار الخطرة على الأمن فيعترض المتهم قائلاً "ان المطالبة بتطبيق الدستور واطلاق حرية الرأي وصيانة حق الاعتقاد والمطالبة بتطبيق قانون تحديد ساعات العمل حسب القوانين والدعوة إلى السلام ، ومحاربة الاقطاع والدعوة إلى التقدم والرقي ، وكل ما من شأنه مقاومة الاستعمار والمطامع الأجنبية يعني في نظر الحاكم الدعوة للشيوعية"[٢]

ويطعن الشاب في نزاهة المحكمة وخضوعها للأوامر العليا لا للقوانين ويعلن عن رفضه لأساليب المحكمة واستبداد النظام وطغيانه .

ورصدت قصة (معاناة) للقاص (عبد الملك نوري) تشتت حياة المناضل وافتقاده الاستقرار العائلي بسبب تمرده على الانظمة ونزوعه للنضال والتحرر منها وفي هذه القصة تتجلى معاناة المناضل والثمن الغالي الذي يدفعه لأجل الاستمرار في نضاله .

يتحدث القاص عن زيارة طفل لأبيه والرجل مناضل مختبئ وبسبب نضاله السري تدمر حياته الشخصية ولكنه لا يتنازل عن نضاله "وهو إذ يذكرها ، يتحسر على الأيام التي كانت فيها له عضداً في جميع أعماله السياسية وكان ذلك قبل ان تصبح اماً ، ثم توفيت فتاتها البكر بالسل ، وطرد هو من الوظيفة ، وبقيت هي تعتاش على ما تبيعه "[٣]. ان حياته تغيرت بسبب نضاله ووفاة ابنته وترك زوجته له وطرده من الوظيفة ، وأنه يحاول افهام طفله الصغير حين يودعه وهو ينشج والطفل

---

[١] المجموعة الكاملة ، ذو النون ايوب ، ص١٤١ .

[٢] نفسه ، ٢٤١ .

[٣] ذيول الخريف ، عبد الملك نوري ، دار الشؤون الثقافية ، ط١ ، ١٩٨٧ ، ص١٧٢ .

لا يفهم والقاص يؤكد ان قدر المناضلين الابتعاد عن اهلهم وان الثمن الذي يدفعونه لاجل النضال والاستمرار والمواصلة ثمناً غالياً وهو ثمن فحواه المعاناة وخسارة كل ما هو جميل واحياناً خسارة الحياة لأجل تحقيق واقع افضل .

وفي قصة (اعياد) للقاص (عبد الله نيازي) رغبة ونزوع انساني عذب للخلاص من طغيان الطغاة وتطلع لحياة جديدة بعيدة عن الزيف والتعفن والفساد . "كان يحس ان كل شيء يدعوه إلى تأكيد ذاته والبرهنة على انه كائن حي يفكر ويتألم ويتحمل مسؤوليته كبرى تحتمها عليه الحياة بكل ما فيها من خصب وقوة ، لا مجرد آلة صدئة تدور اذا اريد لها ان تدور وتتوقف متى يراد لها ان تتوقف كان اللحن المنطلق كالقدر يشده اليه بصرامة ويجتذبه بالحاح وعنف ، يجتذبه اليه لكي يلزمه بعمل كبير يطوح به كل جبال الخوف "[1].

ان الصراع الفكري الذي يدور في ذهن الانسان يقوده إلى رؤية الامور وتبينها وتلمس طريقه الذي ينشده ، ومن الممكن ان يبعد عن نفسه اليأس ويخلق البديل المطلوب من الامل والرغبة ومحاولة البدء من جديد ، وهذا ما يحققه بطل القصة مع نفسه . " ان قوته كلها في هذا التمرد الذي يمزقه ، في هذا القلق الذي يطعنه ، في هذا الدوي الذي يدمدم في أعماقه ، فهو يؤكد شخصية ويحقق مسؤولية ما دام يحتضنها ، ان محاولة مسح الصدأ المتراكم على النفوس وغرس بذرة الحياة فيها وايقافها على الامكانيات الضخمة التي تمتلكها كافية لأن تجعل منه انساناً حياً واعياً لجوهر وجوده"[2].

ان القاص يعطي مؤشراً واضحاً مؤكداً من خلاله ان رحلة الالم والعذاب والانسحاق تقود إلى تبين الأمور وتخلق لدى الانسان نوعاً من التحدي وانبعاث الامل ففي النهاية يحدث بطل القصة نفسه مصراً على البدء من جديد وعلى تغيير زوجته وبناء شخصية طفلته " لست انت سوى الوجه الكالح لماضي يجب ان يهدم، اما هذه الطفلة التي ولدت في عصر التمرد ، فستكون الوجه المشرق للغد الدامي ، سأعلمها انا الاب حقيقة وجودها ، دورها في تحمل المسؤولية وسأعلمها كيف تبنى

---

[1] قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ٢٧٩ .

[2] نفسه ، ٢٨٦ .

كيانها الخاص بها ، وكيان البلد الذي تعيش فيه ، انها غرسي ، وانا لا اغرس للعدم وانما للثورة "[١].

وفي قصة (العنكبوت) للقاص (يوسف الحيدري) ادانة صارخة للأنظمة المستبدة التي تتحمل مسؤولية سحق الانسان وتدميره ومسخه وفي القصة رصد لحالة البطل الذي يمسخ بفعل الاضطهاد والتعذيب والذي قتل الجلادون شقيقه الاصغر بسببه فيصاب بصدمة عصبية تجعله يبدو كالمجنون ، وينجم عن ذلك احساس حاد بالمرارة بأنه يتحمل مسؤولية قتل اخيه ورغبة في الانتقام من الجلادين والقتلة ولكن عجزه في تحقيق الانتقام بطريقة ثورية يدفعه إلى قتل العناكب وهي في رأيه صورة اخرى للقتلة ومصاصي الدماء[٢] . ان تطلع بطل القصة لتدمير تلك الانظمة ، وان كان يحدث من خلال اصطياد العناكب والاستغراق في الهلوسة ، فان القاص يجسد اضطهاد الانظمة المستبدة للانسان وخرقها لحريته فكأنه يشير بذلك ان لكل انسان حربه الخاصة مهما كانت وسائله فهو يرفض القتل والاضطهاد والمسخ والاغتيال والتشويه ساعياً إلى خلق عالم نظيف . ونستشف من مأساة بطل القصة حين يصرخ بوجه زائره غاضباً "هل تدرك معنى ان يقتل الاطفال ؟ اطفال يموتون وعيونهم تحدق بذلة في وجوه جلاديهم القاسية ٠٠٠ بينما تعيش العناكب بكل عفونتها في الزوايا المظلمة هذه ليست عدالة ٠٠٠ هل تسمعني ؟ "[٣]. وتشرح الام للزائر سبب غضبه وجنونه وهياجه قائلة " كانوا يبحثون عنه بجنون ٠٠٠ وعندما يئسوا من ذلك ٠٠٠ افرغوا حقدهم الاسود على رأس الصغير رصاصات ثلاثاً ٠٠٠ مزقت جمجمته الهشة ولم تجد كل توسلاتي ودموعي وصراخي "[٤]. في القصة رصد للتعسف والاستبداد والذي تقوم به الانظمة بحق الانسان .

ورصد القاص (موسى كريدي) في قصة (ظلال منفية لوجه قديم) ضياع انسانية الانسان وانسحاقها في ظل الانظمة والقوانين الفاسدة التي تغدر حقوقه ، من

---

[١] قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ٢٩٢ .

[٢] ينظر : قصص عراقية معاصرة ، ٤٧ .

[٣] قصص عراقية معاصرة ، ٢١٣ و ٢١٤ .

[٤] قصص عراقية معاصرة ، ٢١٤ و ٢١٥ .

خلال رصده موت بطل قصته (مزعل الفراش) المهاجر إلى المدينة من القرية والذي يموت في مبنى العدلية الذي ظل يحرسه طوال خمسة عشر عاماً " ان حثه ما لرجل شوهدت تحت المبنى في الظل وكانت الجثة واضحة القسمات الرأس مائل نحو الظل والعينان مفتوحتان على وسعهما ، نقطتا السواد كانتا باتجاه الفضاء على نحو ما تسقط الجثة في الظل الذي بدا مستطيلاً كان الرأس مكشوفاً ، وكانت الشمس تساقط خارج المبنى "[١]. وفي ظل تلك الانظمة حين يموت الانسان البسيط فان موته يلقي بظلال كبيرة من اللامبالاة وعدم الاكتراث ."لم تحمل الجثة بل بقيت ساعات كتلة هرمة ، منفية في الظل ما تزال هيئتها تمثل امام العيون ، ما تزال هادئة بعيدة عن ايما طقس كان من الممكن ان يبث قبيل الضحى على الاقل صوتاً نادباً او حكاية بطلها مزعل غير ان اللحظة كانت تستقبل عشرات العرائض محمولة فوق صف من الاذرع المتشابكة "[٢]، ويلفظ مزعل الفراش كحشرة وتظل القضية القائمة البحث عن بديل له :

" المهم انه مات

– ولكن ثمة سؤال ٠٠٠ من سيأخذ الدور ؟ هذا هو السؤال ؟ " صورة قاتمة لانظمة تغتال عمر الانسان وتستغل جهده وطاقته وترميه كالحيوان حين ينفق.

وفي قصة (الانتظار والمطر) للقاص (موفق خضر) نزوع للتحرر من الانظمة الفاسدة ودعوة للثورة عليها من خلال شخصية بطل القصة (حمدي) الشاب الذي يؤمن بعقيدته السياسية والذي يقدم حريته لاجل نشر المبادئ التي يعتنقها وهو يفكر بالثورة في مجتمع فقد النظام والمثل ، والراوي الشاب الجامعي الذي يعمل معه " وعدت اضغط على الورقة رزمة المناشير السياسية ، ربما يتبعني الان احدهم ولكن ذلك لن يهمني ايضاً سأقطع بقية الشارع خطوة خطوة ثم ماذا يعني لو ضبطوا الاوراق انهم يقتلون حريتهم فقط ولكنهم لن يقتلوا حريتي لو استطيع ان اصرخ فيهم .

---

[١] خطوات المسافر نحو الموت ، موسى كريدي ، منشورات دار الكلمة (٢٢) ، ط١، ١٩٧٠ ، ص٨٣ .

[٢] نفسه ، ٨٥ .

–انكم تعيشون في العدم تماماً قلت له وأنا اشهد الناس من حولي في المعتقل كلهم فقراء ، ربما يكون هذا هو الوضع الطبيعي الذي لابد ان نعيشه لكي نخلق من جديد ، قال لي وعيناه ساهمتان

انهم مادة الشعب وروحه انهم يعرفون الحب العفوي الذي يجعل منهم امة تثور على احقادها وموتها "[١]. في القصة دعوة إلى الايمان بالشعب والثورة على الانظمة الفاسدة والتحرر من الزيف والرياء .

وشخص القاص (نعمان مجيد) في قصته (ثلاث ساعات بعد الظهيرة) استبدادية الانظمة والقوانين التي تصادر حقوق وحريات الافراد العاملين فبطل القصة يعاني من خوف مطلق في ابداء رأيه او المطالبة بحقه في شرب الماء ومواجهة صاحب العمل وهو يعمل لدى صاحب الحقل لابعاد الطيور عن الزرع فيطرق على الصفيح لساعات طويلة ومتواصلة . وحين يستبد به العطش وتراوده رغبة الذهاب إلى النهر وترك العمل دقائق يغزو الخوف نفسه ويظل يقاوم رغبته في شرب الماء ويلبث واقفاً في مكانه مستمراً على عمله بنقر الصفيحة دون انقطاع وحين يحاول ان يخطو باتجاه النهر ، يتوقف فجأة وكأن شيئاً يمنعه فيسأل نفسه ٠٠٠ " ماذا تقول للمدير لو رآك تترك عملك ؟ وهل يصدق انك ذهبت لتشرب الماء ، وهل الشرب مسموح لك واحس ان كل شيء فيه ساخن يريد ان يحرقه ، داخله يمور بلهب فظيع ، الارض بدأت تدور ، رفع يده ليمسك صدغه المتألم وليمنع تفجر الصداع داخل رأسه الصغير "[٢]. يدين القاص الانظمة والقوانين التي تستغل الانسان ويدين ايضاً الاستسلام والخوف والضعف لدى العامل الذي تسقط منه في النهاية الخشبة والصفيحة ويسقط معهما .

ورصد القاص (عبد الرحمن الربيعي) في قصة (حكاية عواد باشا) نزوع بطله إلى التمرد على القوانين الباغية والانظمة الجائرة وعدم خضوعه للأوامر فيقول عن بطله في بداية القصة " لعواد باشا تاريخ عريض فهو يقف مع الاقطاعيين على

---

[١] الانتظار والمطر ، موفق خضر ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، مطبعة العامل ، ط١، ١٩٦٢ ، ص٣٩–٤٤. وينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٤٧٣ و ٤٧٤ .

[٢] رائحة الارض ، نعمان مجيد ، مطبعة الغرى الحديثة ، النجف ، ط١ ، ١٩٧٤ ، ص١٨.

طرفي نقيض ، واعتقد جازماً لو ان الفرصة قد اتيحت له من قبل ليتعلم القراءة والكتابة ويفتح عينيه على دبيب الكلمات لربما كان ذا شأن "[١]. وفي نفسه رفض واستنكار للواقع الذي يغدر حقه وتمسك بالارض التي ينتمي اليها وفي حواره مع ابن عمه تطل معالم التحدي والدعوة إلى المواجهة ورفض الخضوع والاستسلام حين يحاوره ابن عمه قائلاً : "– ان الارض بدأت تبخل علينا ولكننا لن نعافها وسنرى في ظلمها كرماً حتى ترحمنا يوماً ! اتصبر طيب يا ابن عمي "

– ولكني ارى في الصبر بعض الاستسلام ! اريد ان اكون ناراً "[٢]. فيعلن بادئ الامر تمرده وعدم انصياعه لأوامر مالك الارض الذي يقول له

"–عواد انت مشاغب كبير

وحمل مسحاته وشهرها بوجهه صارخاً

–سأقتلك كما اقتل كلباً "[٣]

ورفضه الانسياق لأوامر الجندي الانجليزي الذي طلب منه مسح حذائه : " حمل الحذاء وضرب به وجه الجندي الانجليزي "[٤]. ان روحه اكبر واقوى من ظلم الاقطاعي وعنجهية الانجليزي اذ يقول لصاحبته : " اعلمي بأنني لا املك غير كرامتي وان احسست بان أحداً يحاول مسها يوماً ادمره وادمر نفسي "[٥].

ورصد القاص (خالد حبيب الراوي) في قصة (الهروب) نزعة التحرر من الانظمة المستبدة من خلال طرحه لحركة سياسي يهرب من السلطات الظالمة ويحاول اللجوء إلى بلد اخر خارج الحدود فيلجأ إلى أحد المهربين الذي تتعرض دراجته إلى العطل اثناء نقله فيقرر السياسي الذهاب مشياً :

" اوشك الرجل على البكاء وردد يائساً

–ماذا سأفعل " ماذا سأفعل :

---

[١] السيف والسفينة ،عبد الرحمن الربيعي.مطبعة الجاحظ ، بغداد ، ط١ ، ١٩٦٦ ، ص٩٣.

[٢] نفسه ، ٩٣ .

[٣] نفسه ، ٩٤ .

[٤] نفسه ، ٩٦ .

[٥] السيف والسفينة ، ٩٩ .

-تعال معي إلى القرية لننام ثم نسافر

-كم تبعد الحدود ؟

-حوالي خمسة عشر ميلاً والطريق يمتد مستقيماً .

وسألني اذا ذهبت مشياً هل اصل قبل الصباح ؟

-الطريق متعب ، وانا مسؤول عن ايصالك .

-لا عليك ... سأذهب ...واخذ يبتعد ويصغر في الافق والظلام "[١]، والهرب من الانظمة الطاغية والباغية في بعض الاحيان لابد منه لأن مثل هذه الانظمة لا تتوانى عن تصفية واغتيال معارضيها .

ويسخر القاص (عبد الجبار الحكيم) في قصة (حكاية لكل واحد) من الانظمة المستبدة التي تداهم البيوت وتنشر الخوف والرعب بين الاطفال والاهل ويحتمل بطل القصة صنوف التعذيب والاضطهاد والقهر والاهانة التي تحاول سحق كرامته فالسلطات القائمة على حشره بين القتلة والمجرمين وتحاول ادانته بشتى الوسائل وانتزاع الاعتراف منه "انزعوا ثوبه واقلبوه على وجهه ، راحت عصاه تعمل والغربان تساعده بتعب تساعده الغربان ثانية والدماء تنزف من جسده ثم جروه محطماً إلى الموقف "[٢]. ولكن الحوار الدائر بين الموقوفين يلغي حالة اليأس ويعلن عن طموح مشروع في التغيير اذ يقول احدهم : "انتم تعرفون لم نحن هنا ؟ اننا نؤمن بحرية الانسان وقدسية القضية -الانسان لا يثمن برأسمال ابداً "[٣]. ويؤكد اخر قائلاً : " اننا بحاجة إلى تغيير جذري ننطلق فيه من الاساس"[٤].

فشخوص القصة تنزع إلى تغيير النظام وتسعى إلى خلق مجتمع خال من الفساد ، وتسرد فيه العدالة وتحاول تحقيق فعل ثوري ناضج وان الطموح اكبر من

---

[١] العيون ، خالد حبيب الراوي ، بغداد ، مطبعة الحرية ١٩٧٥ ، ص٣٦ .

[٢] قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ٢٣٠ .

[٣] قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ٢٣٠ .

[٤] نفسه ، ٢٢٢ .

الاعتقال والسجن والتعذيب اذ يقول احدهم : "انهم يجهزون علينا كوباء إلا ان افكارنا خارج هذا الطوق الضيق "[١].

وتصور قصة (الاعتراف) للقاص (عبد الوهاب الغريري) معاناة الانسان المناضل الذي يحاول الوقوف بوجه النظام وتحديه ومحاولة الخلاص من جوره وظلمه ، وعلى الرغم من ان بطل القصة محاصر برجال البوليس في قبضتهم إلا ان في داخله ثورة عارمة ورفض كبير للنظام السائد اذ تجول افكار التحدي والمواجهة في ذهنه ويتساءل مع نفسه : "ترى ايقبل احد بهذا الذل والعبودية ؟ ايقبل احد السكوت على المظالم الاجتماعية والاستغلال ؟ ايقبل احد ببقاء الاستعمار في وطنه وهل للحياة قيمة في ظل هذه المفاسد ؟ وما دام الموت هو نهاية كل انسان اذن فلماذا لا يساهم بصنع تاريخ امته ؟ "[٢].

وفي رأي الباحثة ان التحرر يجب ان يحدث في ذات الانسان وتفكيره ونفسه اولاً وان يلغي عوامل الخذلان والانكسار والانهزامية كي يتمكن من مواجهة الضغوط الخارجية ، ويقوى على تحملها . ويثير القاص في القارئ الترقب والاهتمام لما سيحدث حين يطوق رجال الشرطة المنطقة محاصرين الصريفة التي توجد فيها خلية الهدامين فيضعنا القاص امام نهاية غير متوقعة حين يحدث بطل القصة نفسه قائلاً : " فليموتوا كلهم انهم سبب عذابه ودماره وقلقه وجوعه ، انهم سبب ثورته – ترى ايثور حقاً لو لم يكن هؤلاء في الوجود "[٣]. في القصة ادانة واضحة للانظمة المستبدة التي تحافظ على مصالحها باستخدام اساليب القمع كافة التي تفشل في الغاء تطلعات الانسان البسيط إلى التحرر والعدالة .

وتجئ قصة (طيور السماء) للقاص (فهد الاسدي) شاهداً على اغتيال الانظمة الفاسدة والقوانين الباغية للانسان وطمس وجوده فبطل القصة (حلب بن غريبة يعيش عمره مطيعاً للاقطاعيين وكأنه الف حياة العبودية وفي القصة حزن كبير لصمت حلب واطاعته الاوامر ومصيره النهائي المحتوم الذي رافقه حزن الام

---

[١] نفسه ، ٢٢٧ .

[٢] نفسه ، ٢٩٧ .

[٣] قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ٢٩٨ .

وفقدان ولدها وموتها البطيء . فابن الاقطاعي الذي يأمر حلب بتمزيق العلم يعلن مسؤولية الاخير عن العمل ويكون الشنق مصيره ، فحلب يعيش في ظل نظام فاسد يسوده الطغيان والاستبداد ، وتطبق فيه قوانين عمياء جائرة تخفق في تبين حقائق الامور .

فبطل القصة (حلب بن غريبة) العبد الزنجي الساذج المطيع الذي يحكم عليه بالشنق ظلماً ليس إلا كبش فداء ووسيلة لتطبيق الاحكام الفاسدة : "تقلص المربع بعنف وتسمرت العيون على بقعة التنفيذ لم تأبه للسع العصي ، والعصي اخيراً صمتت هي الاخرى امام هذا التحدي ٠٠٠ قرب المحكوم من المقصلة ثم اصعد فوق الخشبة وتحت الحبل المتدلي انحنت القامة كعلامة استفهام شعر القلب الاقرب بالنهية فصاح الصوت عنيفاً مزحوماً وجدوا ان صراخ (غريبة) اصداء ريح تردد حزنهم كلهم "[١]: " اذ يقدم القاص صورة بالغة التعبير عن واقع الحياة الاجتماعية ابان حكم شيوخ الاقطاع وما افرزه هذا الواقع الاستغلالي من امتهان لكرامة الانسان ومسخ لارادته وتحكي القصة اخبار تاريخ الاسرة ونزوحها ومكابدتها شظف العيش لابنها الوحيد (حلب) معاناة الابن وما ينطوي عليه واقع مجتمع الشيوخ من فضائح وتفسخ خلقي "[٢].

ورصد القاص (عبد الرحمن الربيعي) في قصة (روناك) انتهاك القانون من لدنجماعة مسلحة تأخذ بطلة قصته عنوة والتي تترك اثراً سيئاً في نفسها ثم تتمكن بطلة القصة من العودة إلى ديارها وعودتها إلى وطنها تعني العودة إلى الوديان الخضراء وشلالات الماء واشجار التين ان بطلة القصة لم تنس ارضها " انحنت قليلاً وقربت وجهها من رذاذ الشلال واخذت تتنفس العبق الجميل ، ملأت كفيها بالماء ثم قربتهما من فمها ، واخذت تشرب بتلذذ طاردة من اعماقها وحشة الليل البهيم ورعب المخيمات والجوع ودموع الاطفال "[٣].

---

[١] قصص عراقية معاصرة ، ٧١ .

[٢] بنية الرؤيا ووظيفتها في القصة العراقية القصيرة ، ٤٠ .

[٣] الخيول ، عبد الرحمن الربيعي ، ص٣٨ .

واتخذ القاص (علي الناصري) من توزيع المنشورات والنضال السري وسيلة لمقاومة الانظمة الباغية في قصة (قراءة في اوراق الفجر)

(قالت محذرة وعيناها تجوسان المكان

-لا ترفع صوتك هكذا .

واضافت : انته بسرعة سيدركنا الفجر .

قلت لها : لقد وزعت جميع النشرات ... هيا بنا "[1]

وتتضح اهداف النضال والمقاومة في حوار الشخصية المحورية الثانية في القصة مع بطل القصة اذ تقول له اثناء عودتهما معاً بعد انتهاء احدى المهمات : "السنا نعمل من اجل الخلاص من هذا الفقر الذي يمزقنا ، السنا نجاهد لننفض عنا رداء البؤس والقهر ؟".

ومما لا شك فيه ان مئات القصص العراقية القصيرة تناولت نزعة التحرر من القوانين والانظمة التي تحاول مصادرة حقوق الانسان واستعباده وتعذر البحث فيها لمحدودية المبحث وضيق المجال .ومن خلال تناول الباحثة عدداً محدوداً من القصص القصيرة ، تبين ان الهموم السياسية شغلت القاص العراقي ونالت اهتمامه الكبير وان نزعة التحرر ازدادت بشكل كبير بعد الحرب العالمية الثانية فسلكت لدى القاص مسالك متعددة واتخذت مسارات مختلفة فجاءت على شكل ادانة مرة وسخرية واستهجان مرة اخرى او نقد لاذع مرير وتهكم وازدراء ، وحاول القاص ان يبين الاضطهاد والظلم الذي اوقعته تلك الانظمة والقوانين بالانسان العراقي ومدى استهانتها بحقوقه واذلالها وسعيها لاغتياله وابادة وجوده .

واعلن في الوقت نفسه عن تطلعاته بنيل الحرية وتحقيق العدالة وارساء مبادئ الديمقراطية وصون كرامة الانسان العراقي وتعزيز الاستقلال والسيادة الوطنية . ان الادب القصصي العراقي كان ادباً جاداً ملتزماً بقضايا الوطن والامة في الوقت نفسه .

---

[1] قراءة في اوراق الفجر ، علي الناصري ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، دار الحرية للطباعة ، سلسلة كتابات جديدة (٢٧) ، ١٩٧٨ ، ص٣١ .

المبحث الثالث

أ- الديـــــن

للأدب القصصي في العراق رؤيته لقضية الدين التي نشأت معه ورافقته في رحلته التحررية التي تزامنت مع التطور الحضاري الحاصل على مستوى الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية ، فناقش القصاصون الرواد قضية الدين في نتاجهم القصصي ويعد القاص (محمود أحمد السيد) رائداً في هذا المجال ، فجعل من جلال خالد في روايته المشهورة بالاسم نفسه شديد التعصب للدين ، وضمن روايته تساؤلات كثيرة عن فحوى الدين وحقيقته وإذا كان الشرق صالحاً بأديانه أو أن تلك الأديان مصدر شقاء له . وكان جلال خالد يحام بالإمبراطورية العربية التي لا تزال في بطن الغيب[١] .

وأدرك القصاصون ان سوء فهم الدين والشرائع الدينية ، وأولئك الذين استغلوا بسطاء الناس بممارساتهم وادعاءاتهم الدينية المزيفة كانوا السبب المباشر في تأخر المجتمع فعمدوا إلى نقد الأساليب والممارسات المتبعة في تطبيق الشعائر الدينية ولاسيما الأساليب غير الصحيحة التي كانت تستند إلى الجهل الذي عدوه العامل المباشر في تأخر المجتمع :

" مما يلاحظ ان كتابنا القصصيين الأوائل حملوا هم مجتمعهم وهالهم تأخره وما يعوق تقدمه من معوقات ينسب بعضها ظلماً إلى الدين وجهلاً بالدين"[٢] .

وصل يقيناً لدى القصاصين العراقيين ان قضية الدين تستغل استغلال بشعاً وانه لابد من وضع حد لهذا الاستغلال وطرح قضية الدين طرحاً تقدمياً بعيداً عن الخزعبلات والخرافات والدجل والشعوذة ز فكان موضوع استغلال الدين والمتاجرة به في مرحلة الأربعينات والخمسينات ذا أهمية خاصة على صعيد الصراع الايديولوجي

---

[١] ينظر شخصية المثقف في الرواية العراقية ، فاتن إسماعيل الراوي ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، تشرين أول ، ١٩٩٤م ، ص٢٩٦ و ٢٩٧ .

[٢] الواقعية في الأدب ، ٩٦ .

بين الفكر الرجعي السائد والفكر التقدمي الذي بدأ يخوض الصراع قاسياً من أجل دحره[١] .

وكان التطلع إلى الحياة الجديدة والانفتاح على الغرب قد دفع القصاصين إلى محاولة رؤية الأمور بوضوح أكثر وبوعي متنام وفهم حقيقة ما يجري في المجتمع ولاسيما ما يتعلق بقضايا الدين التي تنتشر في المجتمع وتتحكم به . لذلك اسهم القصاصون من خلال نتاجهم القصصي في فضح الدجل والشعوذة والأفكار الخرافية المروجة للتعاويذ والأدعية المزيفة والمضللة للناس البسطاء ، والكشف عن دواخل ادعياء الدردشة والزهد والتعبد الكاذب وتبيان احابيلهم في الكسب المادي وجمع المال تحت ستار التقوى والتعبد[٢].

وطرح الاتجاه الواقعي الحديث مفاهيمه حول قضية الدين بموضوعية بعيدة عن النصح والارشاد ، وهو اتجاه يغاير اتجاه الواقعية التقليدية ، التي طرحت الأفكار حول قضية الدين باسلوب مباشر يعتمد التوجيه والوعظ .

'ان اتجاه الواقعية الحديثة ، وهو اتجاه مناقض لاتجاه الواقعية التقليدية ورافضاً لقيمه الوعظية والدينية التي ثبتها المثقف البرجوازي لأنها تمثل وعيه في تلك المرحلة"[٣] .

وعمد بعض القصاصين إلى جعل البيئة الدينية في مدينة النجف الاشرف محوراً لنتاجهم الإبداعي مجدوا من خلالها حضور المدينة ودورها الفاعل في تعزيز الروابط الثقافية ، وكان من أبرز هؤلاء المبدعين ، القاص (جعفر الخليلي) مشكلاً بذلك اتجاهاً ثقافياً معيناً :

ان بعض المجاميع شكلت اتجاهاً معيناً ، كما أطلق الدكتور عبد الإله أحمد على النتاجات الأدبية في مدينة النجف الاشرف بـ (الاتجاه النجفي) الذي يستمد من مدينة النجف الاشرف مادته ومضامينه"[٤] .

---

[١] ينظر ملتقى القصة الأول ، ٢١٢ .

[٢] نفسه ، ٢١٢ .

[٣] قصص عراقية معاصرة ، ٨ .

[٤] ينظر الأدب القصصي في العراق ، ج١ ، ١٣٦ .وينظر البناء الفني للقصة القصيرة في العراق ، ٢٦١ . وينظر جعفر الخليلي والقصة العراقية ، ٣٠١ .

لقد سعى القاص (جعفر الخليلي) إلى تعزيز الروابط الدينية والإشادة بخلود وثقافة مدينة النجف الاشرف ، فعامل البيئة يبرز ببعد اساسي وجوهري في كتاباته: "من الطبيعي أن نجد جعفر الخليلي يشيد بالروابط الدينية وأواصر الرحم الثقافية والمجد الخالد لمدينة النجف الاشرف كما لو كان يحاول الابقاء على شعوره بهويته وجذوره وسط الاضطرابات التاريخية للحرب العالمية الثانية وحرب فلسطين سنة ١٩٤٨"[١]

وكان مظهر التراث الديني والشعبي جزءاً من وسائل دفاع الكاتب في الثلاثينات والأربعينات والخمسينات لصعوبة الأحوال السياسية والاجتماعية وبالنظر إلى الأحوال والمحيط الذي كان عليه أن يجابهه[٢] .

وأبرز من كتب بالاتجاه النجفي كذلك القاص (موسى كريدي)[٣]. الذي شخص الموت في بيئة النجف الاشرف وكان الموت العنصر السائد فيها ووصف ملامح المدينة بـ "الباعثة على الضيق متمثلة في آثار الدغل والحصى والرمال الصحراوية التي بقيت تشير إلى تلك المدينة التي كان الماء يغمرها منذ ألف عام وانحسر عنها فيما بعد لتصبح مدينة الأضرحة والأولياء ورفات الصالحين ومقابر لدفن الموتى ومساجد لإقامة الشعائر الدينية التي ألفتها الشخصية"[٤] .

وترى الباحثة خلاف الرأي السابق في أن المدينة لا يمكن ان تكون باعثة على الضيق بقدر ما تكون باعثة على الحزن والخشوع للموتى الذين يرقدون في مقابرها ، وباعثة على الرهبة والاحترام للأولياء والمساجد ولمدينة تحتفظ بملامحها التاريخية والتراثية والإيمانية ، ولها حضورها على صعيد العالم الإسلامي ، وتعطي خصوصية مميزة لساكنيها ، ومن الممكن ان تعزز الطقوس

---

[١] جعفر الخليلي والقصة العراقية الحديثة ، ٣٠١ . وينظر الأدب القصصي في العراق ، ج١، ١٣٦ .

[٢] جعفر الخليلي والقصة العراقية الحديثة ، ٣٠١ .

[٣] ينظر الفن القصصي والروائي في أدب موسى كريدي ، ١٨٢ .

[٤] نفسه ، ٢٦ .

والشعائر التي تمارس فيها العلاقات الإنسانية وتقويها وتكون مصدراً للقوة والتماسك في المجتمع ، ويتمكن الإنسان من خلالها الاتصال بأبناء ذلك المجتمع :
ان الدين يجعل الفرد يتصل اتصالاً مباشراً بالحياة في تجربة يشترك فيها الفرد مع غيره من الجمهور الذي يشاركه في المراسيم"[١]

ولجأ بعض القصاصين إلى توظيف الشخصيات الدينية في قصصهم ومحاولة الاستفادة من الموروث الديني والمضمون الثوري لها إذ وظف القاص (موسى كريدي) شخصية الإمام الحسين عليه السلام في أكثر قصصه أهمية وهما قصة (طقوس العائلة) و (غرف نصف مضاءة)[٢] . وكذلك القاص (خضير عبد الأمير) في قصة (ورقة الاحتجاج العاشرة) والقاص (جمعة اللامي) في قصة (اهتمامات عراقية) ووظف القاص (عبد الرحمن الربيعي) شخصية العباس (عليه السلام) في قصة (مملكة الجد) وغيرهم من القصاصين .

ورصد قصاصون آخرون قضايا تتعلق بالدين إلى جانب الشخصيات والطقوس والشعائر منها قصة (السيف والزائرة) التي تصور حالة المرأة التي تزور الإمام الحسين (عليه السلام) لأجل الدعاء لأبنها[٣]. والقاص (عدنان رؤوف) الذي صور في قصته (عبد الإله) نزوع الإنسان إلى الدين الذي يغرق فيه اثر فاجعة أو مصيبة ، فالأم في القصة تغرق نفسها في الصلاة والتعبد بشكل غير طبيعي يجعلها تهمل البيت والعناية بالأولاد أثر وفاة زوجها[٤].

والقاص (غانم الدباغ) الذي صور في قصته (رجال بدون ملامح) شخصية الرجل الذي يتظاهر بالدين ، والذي يقوم بنشر الفضيلة التي لا يؤمن بها[٥].

واستخدم القاص (غازي العبادي) في قصة (أنهر الجنة الخمسة) الموروث الديني ولاسيما ما يتعلق منه بالإمام علي وولده الحسين راصداً الأفكار والتصورات

---

[١] الحياة والشاعر ، ستيفن سبندر ، ترجمة مصطفى بدري ، مراجعة سهير القلماوي ، الناشر مكتبة الأنجلو مصرية ، سلسلة الألف كتاب ، ٢٥٨ ، ص٨٧ .
[٢] ينظر :الفن القصصي والروائي في أدب موسى كريدي ، ٨١ .
[٣] ينظر: القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٥١٣ .
[٤] ينظر: نفسه ، ٤٤٨ .
[٥] ينظر: نفسه ، ٤٠٣ .

الغيبية التي تعيش في ذهن امرأة عجوز متوحدة تجلس على المصلى. واستخدم الموروث الديني كذلك في قصته (الخضر)راصداً اسطورة الخضر وساعياً إلى تمجيد الفرد من خلالها[١].

ودخل القاص (جمعة اللامي) في قصته (الثلاثية الرابعة) في تفاصيل صوفية ورؤى ماورائية ودينية تطلع من خلالها إلى نهضة الأمة وإلى عالم عادل وحر خال من الظلم والاستغلال[٢].

ومما لاشك فيه ان قصصاً كثيرة تناولت الدين من جوانب عديدة لا يتسع المجال للبحث فيها .

ويظهر الحس الديني واضحاً لدى القاص (يوسف متي) فيجيء الاعتراف في قصصه بمثابة محاولة للطهر ونشداناً للخلاص وسعياً لتبرئة الذات من الشر .

ولدى شخوصه نزعة قوية للتحرر وتوق للحرية والانفلات وتأكيد الوجود من خلال المواقف الفردية الخاصة ويتضح ذلك في قصصه (البرد والعيون) (اعترافات) (ضحية العهد) (المنتحر) .

ولكن هذا التوق إلى الحرية يظل مشدوداً إلى الخوف الذي يحاصرهم فهم أسرى واقع تحريمي لا يجدون الشجاعة في نفوسهم على اقتحامه وفضح اسراره وخفاياه ، وقد تدفعهم أخلاقيتهم وانكساراتهم إلى الاعتراف كما في قصص (اعترافات) (ثمن الموت) (زوج)[٣] .

وشخص القاص (شالوم درويش) في قصته (عروس) جانباً من الاتجاه الديني في محاولة بطلة قصته للابتعاد والانسلاخ من دنس الحياة وخطاياها وآثامها والتقرب من الله فتلبس ملابس العروس البيضاء ولكن محاولتها خابت على يد المصور الذي يحاول ابعادها عن لحظة الاحساس بالنقاء والطهر ليمارس الخطيئة معها .

---

[١] ينظر في أدبنا القصصي المعاصر ، ٢٢٢ .

[٢] ينظر رحلة مع القصة العراقية ، ١٧٥ – ١٧٦ .

[٣] ينظر يوسف متي ، سليم عبد القادر السامرائي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص١٠ .

"تغمض عينها لتغرق في لجة احزانها العميقة وهي لا تشعر بالرجل الذي تسلل إلى الغرفة يسترق الخطى إلى جانبها وهي تقفز كما لو ان حية رقطاء قد لسعتها على حين غرة ، فيد الرجل الآثمة قد امتدت إليها فعبثت بها بغير حياء أنه يفعل ذلك في هذه الدقيقة التي قدمت فيها نفسها لله "[١].

وتناول القاص (ذو النون ايوب) في قصة (وجه صبوح) الدين من جانب آخر بعيداً عن الطقوس والشعائر فرصد أزمة بطل قصته الروحية الذي يعاني من ضجر الحياة ومللها ورتابتها وتعبها ويراود تفكيره الانتحار ويحاول مرات عدة ولكنه يعود إلى صوابه متراجعاً ، ويكره الحياة ويكفر بكل شيء حوله ، ونجهل اسباب معاناته ودوافع تفكيره بالانتحار ، ونستشف من أحداث القصة ان الاحساس بالوحدة كان أحد اسباب نقمته ، فضلاً عن ذلك ضعف ايمانه : " أما والله فقد كانت تلك الحياة القاسية التي ذاق مرارتها كفيلة بالقضاء على كل اثر له في نفسه واعتقاد يتعلق به ، وان حياة كهذه كفيلة بتحويل الانسان إلى وحش ضار فلماذا لا تقضي على دينه وايمانه وتوقعه في مهاوي الالحاد "[٢].

وندرك ان ثورة الرجل وضعف ايمانه ونقمته بدأت منذ طفولته واستفحلت بمرور الزمن ، حين أدرك يتمه وفقره وحرمانه من أبيه ومن التعليم ان بطل القصة يعاني حرماناً عاطفياً يدفعه إلى الكفر بكل شيء ، الأمر الذي يزعزع وجوده ، أنه يتحرر من الدين ولكن بالاتجاه الخاطئ الذي يقوده إلى دمار نفسه :

"لاشك في ان الكفر بمقاييس الحياة وبالعرف وبمفاهيم الناس عن الدنيا والشرف من بعض ثمرات مجتمع مضطرب جائر"[٣].

ولكن الإنسان الواعي يمكنه ان يدرك ان لا الغضب ولا النقمة ولا الكفر يمكن ان تتحقق بهم حياة افضل وان القناعة والرضا والطموح أجدى وأنفع . وان الإنسان بحاجة إلى الإيمان لانه أحد عوامل القوة الروحية . ان فقدان انسان أو

---

[١] القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٣٢ .

[٢] المجموعة الكاملة لذنون ايوب ، ١٥٨ .

[٣] في القصص العراقي المعاصر ، ١٨ .

شعب إلى الإيمان او الدين أو الطقوس الدينية يؤدي إلى الضياع والتشتت وانهيار الأخلاق والقيم : "ان شعباً بلا دين عرضة لضياع القيمة الذاتية "[١]

ان بطل القصة يسحق أمام آلامه ، ويظل يجتر تلك الآلام مستسلماً لها فتدفعه إلى الكفر بكل شيء ، وفي هذا الجانب من القصة لا نجد دوراً للقاص في اكساب بطله القدرة على البحث عن نقطة ضوء يهتدي بها ... وبعثوره عليها يتغير مسار تفكيره السلبي أو منحه الإرادة الفاعلة القادرة على التغيير ، وكان بإمكان القاص منحه بصيصاً من الأمل واكسابه القدرة على النهوض والبدء من جديد أو غرس القوة الإيمانية الكافية لاحداث التغيير في حياته .

وشخص القاص (أكرم الوتري) في قصة (الإيمان) حالة تذبذب الإيمان وتأثره بفعل الأحوال الحياتية التي تؤدي إلى ضعفه وانهياره فبطل القصة يتمسك في بداية حياته بالطقوس الدينية وتأدية الفرائض بخشوع يطهر القلب ويدفعه إلى الإيمان بضرورة عمل الخير إلى الناس وتجنب الشر وازدرائه في الوقت نفسه[٢].

ولكن هذا الإيمان يتزعزع ويشوبه الشك بفعل أحداث الحياة فيهتزإيمانه ويشك بعدالة الله ، ثم يقبل على تجربة جديدة تعصف بما بقي في قلبه من إيمان حين يغادر قريته إلى المدينة لإكمال دراسته فلا يتمكن من التكيف مع البيئة الجديدة التي ترفضه وتحطمه ولا تعترف بأحلامه فيشعر انه يكاد يختنق وحيداً دون نجدة من الله الذي أصم السمع عن ندائه :

"تحطمت مثله وذهب عنه ايمانه ، وانطلق يصيح ويستمع إلى صدى صيحاته وظل يهيم في الظلمات"[٣].

وتصدمه تجربة حب جديدة تلغي الإيمان في قلبه فيفكر بالموت ثم يلتقي فتاة رحيمة في احدى المستشفيات تعيد إليه ثقته بنفسه وإيمانه الإيمان الخالي من الخرافات والسفسطات ، الإيمان المطلق بالله الذي يتمثل في كل شيء .

---

[١] النفس والعدوان ، د. ريكان إبراهيم ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧ ، ص٢١١ .

[٢] ينظر الأدب القصصي في العراق ، ج١ ، ١٧١ .

[٣] ينظر نفسه ، ١٧٥ .

وكان هذا الإيمان الصوفي ايماناً هروبيا استقر فيه البطل وهو ايمان لم يكن ليعود إلى قلبه لو لم يأت ما يوقظ مثاليته وأوهامه ويعيد إليه ثقته بالحياة[١] وتنتهي القصة بموت بطل القصة بسبب مرضه والقصة تنتمي إلى الأدب الرومانسي وكتبت (عام ١٩٤٦) . وما يهمنا فيها ان القاص يطرح قضايا تمس صميم حياة الإنسان منها انكسار إيمانه أمام تجارب الحياة . والغاء الطقوس الدينية بفعل عوامل الشك التي تكون فيما بعد مؤشراً لضياع الإنسان واستسلامه لعذابات الحياة. وتحطم الإيمان بسبب عدم القدرة على التكيف مع البيئة وتذبذب الإيمان امام أحوال الحياة وكان من الممكن أن يجعل القاص الإيمان لدى بطل القصة هو المتحكم المسيطر على سلوك بطله وتعامله مع البيئة والمجتمع ومع نفسه فيكون من خلاله الموقف والرأي والقدرة على الثبات والمواصلة فضلاً عن ذلك ان التجارب المرة من الممكن أن تعزز الإيمان لدى الإنسان .

ورصد القاص (فؤاد التكرلي) في قصة (بصقة في وجه الحياة) استنجاد بطل القصة بايمانه وبدينه وبالله كي يبتعد عن الاحساس بالخطيئة والاثم ، ويحصن نفسه منهما .

فبطل القصة أب تهفو نفسه إلى ابنته ويرغب بها ويشتهيها وهذه الرغبة الجنسية الشاذة تثير في نفسه القلق والخوف فيقول "رباه .. إلى اين تقودني في الحياة ، هذه الحياة القاسية ، القاسية حتى الموت التي تظهر لبصري الطريق الفظيعة البشعة وتجبرني على السير فيها ؟" ويتابع " رحمتك يا ربي ، لا تدعني أكفر بك وبما أنزلت لا تدعني .. لا تدعني"[٢].

ولكنه في النهاية يتخلى عن الله وعن الدين والإيمان فينقاد إلى رغبته وشهوته الجنسية المحرمة التي تدفعه إلى قتل ابنته وإلى مصيره السيء .

وتتحدث قصة (موعد النار) للقاص (فؤاد التكرلي) عن انفار من الايرانيين يعزمون على زيارة ضريح الكاظمين ، ويتفقوا على اللقاء قرب الكاظمية وعلامتهم اشعال نار في مفترق طرق خلف جسر بعقوبة . فتبدأ سلسلة من الآلام والمتاعب

---

[١] ينظر الادب القصصي في العراق ، ج١ ، ١٧٥ .

[٢] نفسه ، ج٢ ، ٣١٥ .

والأذى على رأس بطل القصة لتحقيق هدف الوصول إلى ضريح الكاظمين ويضيع عبد الرضا في خضم الهدف بسبب الآلام وما يعانيه في الطريق من وحدة وعذاب وغربة[١].وهو يناضل نضالاً بطولياً ضد جميع المعوقات التي تمنعه من الوصول إلى هدفه[٢].

وصور القاص اصرار بطل القصة على التشبث بالحياة ومغالبة الموت وتحمله الرعب والخوف وألم الرصاصة في ظهره وسعيه ونضاله ، وكان جهاده مستميتاً لأجل الوصول الذي فشل في تحقيقه ولكنه كان فشلاً بطولياً كان مليئاً بالأمل أمل الوصول إلى الضريح ولقاء الرفاق[٣] .

وتلوح في قصة (الوجه الآخر) للقاص (فؤاد التكرلي) معالم ضعف الإيمان في نفس بطل القصة الذي ينجم عنه الاضطراب الفكري والروحي الذي يؤدي إلى انهيار قيمه ومواقفه الإنسانية بتخليه عن نجدة رجل على وشك الموت يطلب مساعدته ، وتطليقه لزوجته التي تصاب بالعمى أثر الولادة ، ونزوعه إلى اقامة علاقة جنسية غير مشروعة وكذلك احساسه بعدم جدوى ثقافته وأفكاره فهو يحدث نفسه في مقطع من القصة :"لقد خلى قلبه من الإيمان" وفي مقطع آخر "ولايزال يستخف بكل ايمان بأشياء لا تحل أية مشكلة انسانية . لقد كان باستطاعة ذوي الايمان جميعا ان يعيشوا ويموتوا دون ايمانهم . ألم يكن باستطاعتهم ذلك"[٤]

وفي قصة (ورقة الاحتجاج العاشرة) للقاص (خضير عبد الأمير) ينقاد بطل القصة إلى مراقبة الطقوس الدينية والشعائر المعتاد عليها في شهر عاشوراء. فكأنه بذلك يجد المتنفس لآلامه وحزنه الدفين واحساسه بالخسارة لفقدان ولده .

---

[١] ينظر في القصص العراقي المعاصر ، د. علي جواد الطاهر ، منشورات المكتبة العصرية، ط١ ، صيدا ، بيروت ، ص ٢٢ وينظر الوجه الآخر ، فؤاد التكرلي ، سلسلة القصة المسرحية (١٥٤) ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٢، ط٢ ، ص١٢٧ – ١٤٨ .

[٢] ينظر أدبنا القصصي المعاصر ، ١٨٦ . وينظر القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٣٤٢ و ٣٤٩ .

[٣] ينظر الادب القصصي في العراق ، ج٢ ، ٣٥٥ .

[٤] ينظر الادب القصصي في العراق ، ج٢ ، ٣٧٦ . وينظر القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٣٤٩ و ٣٥٦ ، الوجه الآخر ، فؤاد التكرلي ،٥ و ينظر في القصص العراقي المعاصر ، ٢٩ .

ويربط القاص في قصته هذه بين الحزن الفردي والحزن الجماعي ، بين الحزن لقضية شخصية هي موت الابن والحزن من أجل قضية كبيرة هي قضية الاستشهاد . ويتحول هذا الحزن خلال المشاركة إلى أمل ، وبتوحد همومه الشخصية مع الهموم الجماعية يكتشف القدرة على الفرح والتطلع نحو المستقبل وتجاوز الحزن المحبط . فتتحول القصة إلى اضاءة انسانية ذكية للأمل البشري من خلال الحزن الجماعي حيث تكتسب الطقوس الدينية لا مجرد قيمة دينية مطلقة بل تكتسب قيمة الرابطة البشرية الجماعية التي تتحول إلى عنصر للإلهام والفرح والتجاوز عند الإنسان[١].

ويتمكن بطل القصة من تحدي حزنه وألمه وانكساره على فقدان ولده ويضمحل الحزن ويتضاءل أمام حزن الجميع في مواكب العزاء .

وللدين دور فاعل في تغيير نمط حياة الإنسان إلى الأفضل من خلال اكتسابه رؤية حية وفاعلة في التعامل مع مفردات الحياة ، إذ يتوحد في هذه القصة الهم الفردي مع الهم الجماعي وينصهران في بوتقة واحدة تمد البطل بالقدرة على تجاوز ألمه الذاتي من خلال الاحساس بالآم الآخرين :

" لا يسعنا انكار ان الإيمان الديني أو الإيمان بفلسفة علم النفس أو نظرياته يفتح سبلاً مجدية لاحداث تغيير في نوع الحياة ، فالذي يوفر الفائدة المرجوة عند المصاب هو الأفضل والأصح بالنسبة لذاته"[٢].

ومن الممكن ان ينشأ كذلك بفعل الإيمان وأداء الطقوس الدينية نوع من الأواصر والتلاحم بين البشر فيخلق ومن ثمجتمعاً متماسكاً متحداً يتجه وجهة واحدة لله عز وجل .

"ان الدين الذي يؤكد انكار الذات في سبيل الآخرين قوة هائلة في مجال الصحة العقلية في حياة الأفراد"[٣].

---

[١] ينظر قصص عراقية معاصرة ، ٤٣ و ٤٤ .

[٢] التداوي بالايحاء الروحي (التنويم المغناطيسي ، د. أمين رويحة ، مكتبة النهضة بغداد، مطبعة بابل ، ط٣ ، ١٩٨٧ ، ص٢٣ .

[٣] علم النفس في حياتنا العملية ، ٢٦٩ .

لقد تمكن بطل القصة من التحرر من عبودية الآمه وأحزانه وتجاوزها من خلال مشاركته واحساسه بالآم الآخرين وكأنه توصل إلى قناعاته انه ليس الوحيد الخاسر في الحياة فللآخرين خساراتهم وانكساراتهم ، وكأنه توصل أيضاً إلى قاعدة التصور والمنهج الذي يحكم الحياة ويحركها فيرى حكمة الله عز وجل في خلقه وفيض نوره .

ويمكن القول أن البشرية جميعها تتوحد في اتجاهها الديني وان اختلفت المذاهب والطوائف لأن الدين له شموله الإنساني :

"ان الافكار الدينية قبل ان تكون قومية تكون ببساطة انسانية"[١] وان الطقوس الدينية التي يمارسها الإنسان يمكن أن تؤدي إلى تحصينه من الشرور والعدوان وتكون خير رادع له لمنعه من القيام بما هو شائن او منحرف أو شاذ : " ايمان مجتمع ما بطقوس معينة كالطقوس الدينية أو الإجتماعية الأخلاقية يؤدي إلى فرض حظر على السلوك العام لأفراده ومن ثم محاصرة السلوك الجرمي في الفرد وتضييق دائرته وربما إلى تلاشيه وزواله"[٢] .

وفي قصة (دماء جديدة) للقاص (مهدي عيسى الصقر) يصر بطل القصة اصراراً مميتاً على حضور مواكب العزاء ويكلفه اصراره الجهد والعناء والمشقة والخوف يكاد يخسر فيه زوجته وشرفه في المرة الاولى حين حاول قطاع الطرق الاستيلاء عليها وتمكن من تخليصها بمعونة الشرطة ، وخسر في المرة الثانية ولده بين الارجل الغليظة وكرر مجيئه مرة أخرى ليموت هو ايضاً " كان يشد عينيه الدامعتين إلى آلاف الارجل كأنه يبحث عن شيء عزيز ، كان يحضر لكي يغمره الاحساس العنيف بالألم لكي يشعر بالحزن حادا قوياً ساعة وقعت الحادثة ، وفي قدمته الخامسة لمقتل ولده دفعه الزحام وتسابقت المواكب إلى قبر الامام فأدرك ان دماء جديدة توشك ان تسيل ، أنه يموت تحت آلاف الآلاف من الارجل"[٣].

---

[١] الأدب المقارن ، ١٣٤ .

[٢] النفس والعدوان ، ١٦٨ .

[٣] القصص العراقي المعاصر ، ٨٦ ، وينظر القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٣٠٠ – ٣٠٣ .

وحين يتأمل الانسان بعمق حقيقة ما يحدث يجد في هذا الخضوع والانسياق لتحقيق الهدف نوعاً من التحدي والثورية والمواجهة لواقع لا يرتضيه ، وعقيدة الهية متغلغلة في روحه ، وفضول ديني يدفعه إلى الحضور ، انه في اعماقه يتنفس بهذا الحضور فينفس عن كبته ومعاناته ، ويجد الراحة في الحزن والألم وفي تصوره انه نضال من نوع خاص " فالعقيدة الدينية قديمة قدم وجود الانسان على سطح الارض ولكنها صعبة التحديد بدقة من حيث الزمان والمكان والتعريف، لأن هذه الدقة في التحديد غير معروفة بعد عن الانسان نفسه "[١]. ويدفع الاحساس بالذنب وتأنيب الضمير شخوص القاص (محمود الدوري) إلى السعي للخلاص بالغرق في مياه دجلة الفائضة ، وهنا يظهر الوازع الديني ضعيفاً باعتبار ان الدين يحرم قتل النفس ويعدها من كبائر الاثم التي يحاسب عليها المسلم.

إذ حاول (محمود الدوري) في مجموعته (آخر الاسبوع وقصص اخرى) الصادرة عام (١٩٥٧) تحرير شخوصه من عذاباتهم وآلامهم ولكنه تحرير انهزامي سلبي ، إذ يدفعهم فيه إلى الخلاص من خلال ممارسة طقوس تطهرهم من الرجس والخطيئة بالغرق في مياه دجلة فالكثيرات من بطلات قصصه ينتحرن في النهر للتكفير عن ذنوبهن وزلاتهن وخطاياهن[٢] . ويدل هذا على السوداوية والتشاؤم والهرب لأن الله عز وجل يهب الانسان عصراً وحياة ومن منطلق ايمانه يجب ان يتعلم العيش الصحيح والمواجهة ، وان يستثمر هذا العمر بما يرضيه ويرضي خالقه ، وان يتحمل مسؤولية نفسه ويتحكم بهمومه ولا يسمح للهموم ان تسيطر عليه وتتحكم به وتقوده إلى الهلاك .

وشخوص القاص بخلاصهم السلبي انما يؤكدون على ضعف الايمان بدينهم وعدم قابليتهم على المواجهة . ضعف الايمان يمكن ان يؤدي إلى نشوء صراعات نفسية وفكرية من الممكن ان تؤثر سلبياً في الصحة البدنية والعقلية "ان الاضطرابات في الفكر والمشاعر والارادة والمجتمع والعقيدة الدينية وغيرها من اعمال الدماغ

---

[١] الفكر الديني ، د. تقي الدباغ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ص٥ .

[٢] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٩٥ .

الداخلية ، يمكن ان ينشأ عنها مرض عصبي ووظيفي في اعضاء الجسم او احشائه والعكس بالعكس[١] .

وتختلط في قصة (الشفيع) للقاص (محمد خضير) المشاعر الدينية بالمعتقدات الشعبية الواقعية ومن خلالها يمكن معرفة بصمات اجيال توارثت عادات وتقاليد وقيم استحوذت على فكرها وروحها وموقفها الانساني ففي مقطع سردي من القصة نقرأ حوار المرأة مع نفسها . "هناك من يجرني من طرف عباءتي او يدخل يديه تحت ثيابي عند بطني كانهم كانوا يرغبون في ان اجلس معهم ، واحدثهم عن كل شيء حتى ينقضي الليل" . فهي ليست امرأة تجيء في زيارة روتينية إلى كربلاء في الزيارة الاربعينية وانما هي صوت يجمع صليل السيوف والسلاسل والاحزمة المضمخة بالعطور ومن الظهور العجفاء الملفوفة بشموس كربلاء[٢]. ويستفيد القاص من قابليته الوصفية الطيبة للجموع والاشياء اثناء وصفه لمواكب العزاء في كربلاء ثم تأكيده على مركزية البطلة والفتاة الجامعية وموكب السماوة المعارض ويحسن القاص الربط الملحمي لمشاعر الناس الاتين من كل مكان وبين تحرك المرأة الحبلى بين هذه الجموع وخوفها من الولادة اثناء سير المواكب[٣] . فبطلة القصة تجد تطهيرها الفردي عبر التطهير الجماعي وفي تتبعها مواكب العزاء وحولها اللافتات السوداء وقصائد الرثاء ومواكب الرجال انصاف العراة والضريح المضمخ بعطور مخدرة[٤] .

ورصد القاص (موسى كريدي) في قصة (طقوس العائلة) بطل القصة وهو يصحب ضيفه في رحلة ويطوف به في ارجاء المدينة المتمثلة بالازقة والتجمعات بين الناس . "سارا معاً وصولهما كانت بعض الرؤوس حليقة تلمع تحت الاضواء الساقطة من مصابيح سيارة تمر بطيئة وسط المراثي والشموع المتوقدة وقد صفت على شكل دائري وهي محولة فوق اكتاف مئات من الصبيان "[٥].

---

[١] التداوي بالايحاء الروحي ، ٢٨ .

[٢] ينظر : القاص والواقع ، ٦٧ .

[٣] ينظر : رحلة مع القصة العراقية ، ١٥١ و ١٥٢ .

[٤] ينظر : في ادبنا القصصي المعاصر ، ٢٠٢ .

[٥] قصص عراقية معاصرة ، ٧٣ .

ووصف القاص توافد المواكب التي تقيم طقوس الاحتفال الديني ، وحاول من خلال ذلك البحث عن قيم السعادة والحرية والتعبير عن حاجة ابطاله وشخوصه إلى الامتلاء والتكامل[١] . فكأنه يجد الخلاص لشخوصه من عذاباتهم ويعدها الملاذ للحصول على الراحة .

وتتجسد في هذه القصة محاولة القاص (موسى كريدي) " لجمع خطوط هذا العالم الضخم وكشف جوانبه المختلفة وأجوائه السرية وكل ما يجري وراء مظاهره الخارجية لا عبر موقف حيادي ، بل عبر موقف نقدي تقييمي واضح "[٢]. ويتم نقل حدث القصة من خلال عيون مراقبين خارجيين يحاولون تجميع الاجزاء الكلية للطقوس الدينية دون الاستغراق في تجربة حسية صغيرة بالذات متناولة العالم الداخلي للتجربة لا من حركة داخلية ترتبط ببطل يمارس هذه الطقوس . ان القاص لا يكتفي بالمراقبة والتدوين وتسجيل المشاهدات انما يعمد إلى محاولة اعادة تشكيل روابط الحدث عبر تقديم موقف فكري وتاريخي ونقدي لهذه الطقوس وبمواجهة صريحة لجوهرها[٣] .

وافاد القاص (عبد الرحمن الربيعي) في قصة (مملكة الجد) من الموروث الديني والشعبي في قصته وساهم في تفجير الواقع واعادة صياغته بشكل جديد متخذاً جانب الانسان في كل ما كتب وعمد إلى تصوير انطفاء بعض العادات والتقاليد والطقوس الدينية مجسداً معالم البطولة والتضحية في الشخصية من خلال الموروث العربي[٤] . اذ يقابل القاص بين (الحاج سعيد) وبين (صورة العباس) فالحاج سعيد احد ابطال ثورة العشرين الذي عانى من فشل الثورة واصيب بخيبة الأمل وعلى الرغم من ذلك فان نقاوته تعد ركيزة للتفاؤل بالمستقبل والمبادلة التي كانت بين (الحاج سعيد) وبين صورة (العباس) دليل على استلهام ذكرى البطولة الحقة (في السلف) من خلال عملية الاستيحاء والتأثر فتمكن القاص من استحضار

---

[١] ينظر : نفسه ، ٤٤ .

[٢] نفسه ، ٤٤ .

[٣] ينظر : نفسه ، ٤٤ .

[٤] ينظر : عبد الرحمن الربيعي بين الرواية والقصة القصيرة ، ٧٦ .

التراث البطولي واستلهام الثورة[١] . وحين تعاوده ذكريات الثورة يتجه إلى الصورة صباحاً : " يقف امام صورة العباس ويمسحها بطرف عباءته فينهال التراب المتجمع فوقها ويكرر مسحها فينتزع بيت العنكبوت الملتصق بها فتظهر الوانها واضحة وتبرز ملامح الفارس والحصان "[٢] وعلى الرغم من ان الحاج سعيد يعيش حياته حراً يحقق رغباته فانه لا ينسى طقوسه الدينية في ايام عاشرواء حين يقيم المأتم ويوزع الطعام على الفقراء ويشارك في المواكب ويقول عن ايام عاشوراء ورمضان ٠٠٠" "هذه ايام الله ويجب ان نعرفها جيداً ، أما الايام الاخرى فهي ايامنا نحن ، ولنا الحق في ان نمضيها كيفما نشاء "[٣].

ورصد القاص (عبد الرحمن الربيعي) طريق الخلاص في قصته (الباب الواسع) بطل قصته الذي يعيش وجعاً وتبدد الاماني والخوف والوحدة والجوع والانهزام فيؤشر القاص إلى ان طريق الخلاص هو المسجد ورجل الدين الذي يطلب منه الايمان واللجوء إلى الله ٠٠٠ " سعل رجل ، وبسمل آخر ، وكبر ثالث، وهم ينصرفون بقناعة ويقين ومثقل الرأس تئزفي عظامه صرخة ، فخرج هو الآخر "[٤]. ورصد القاص (عبد الرحمن الربيعي) في قصة (البطل والمدينة) ظاهرة استغلال الناس البسطاء والعجائز والاطفال من خلال الدين والمتاجرة به .

وتناول بحث الناس عن البطل المثالي والانموذج تعويضاً عن انكساراتهم وخساراتهم وهزائمهم متناولاً خداع الجماهير البريئة بوسائل ظاهرها شريف وباطنها شعوذة ، اذ شخص القاص استغلال الناس بوساطة الدين اذ تقوم في القصة شركة من متعهدي اقامة الحفلات بالكذب على الناس كذبة يصدقها الناس البسطاء مفادها ان (فوزي البغدادي) بطل عالمي في المصارعة الحرة ، بلغت قوته حد الخرافة ، وتغلب على اقوى الرجال واعتاهم وهو حين يتغلب على اولئك فأن قوته الاسطورية

---

[١] ينظر : نفسه ، ٧٨ .

[٢] ذاكرة المدينة ، عبد الرحمن الربيعي ، وزارة الاعلام ، سلسلة القصة والمسرحية (٤١) ، مطبعة الشعب ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص١٧٢ .

[٣] نفسه ، ١٦٦ .

[٤] وجوه من رحلة التعب ، عبد الرحمن الربيعي ، منشورات دار الكلمة ، مطبعة العربي الحديثة ، نجف ، ١٩٦٩ ، ص٤٢ .

تكمن في ايمانه بالله وكل الائمة الصالحين وتمكنت هذه الشركة بفعل هذه الكذبة من اقامة عدة حفلات في العراق[١] . ويشخص القاص الظاهرة بوعي مشيراً إلى خطورتها معللاً في الوقت نفسه سبب انسياق الجماهير لها وتمكن الشركة من المتاجرة بالدين واستغلال البسطاء ، وكأنه يقول انها ليست حالة عرضية بقدر ما كانت حالة نفسية كونتها الانكسارات فبتنا نبحث عن المسيح المنتظر ويؤشر القاص السبب اذ يراه يكمن فينا وانها عقدتنا التي تبحث عن بطل لتتوجه : " نحن مهووسون في بحثنا عن ابطال ، ونخلقهم دوماً من خلالنا ومن واقع حياتنا الملأى بالانكسارات ، واذا بقينا هكذا سيأتي مليون من فوزي البغدادي في مليون مجال آخر "[٢]. ويتضح من القصة ان الناس يقعون فريسة سهلة للمستغلين بحكم تصديقهم وانسياقهم لكل ما يتعلق بالدين ، وقد يحدث الامر نتيجة ضعف او معاناة او جهل به .

ونلتقي في قصة (التستري) للقاص (جمعة اللامي) بـ (الرائي الذي رأى كل ما يمس المصير وعرف السر ، واختار الطريق الصعب ، طريق الحق والثورة ، وهو الثائر الذي يولد في احتراقه ويتعذب وينمو كالشجرة في كل مكان ليمنح الارض والناس سلاماً وحباً يجمع في قلبه ارادة المؤمن بقضيته ، وحس الصوفي الذي تجعله المعاناة يشف ويتوهج كالصدق ، ويمضي في الدرب الوعر يحمل في اعماقه شارة النبوة وصليب الالم وسطوة الثائر ، ويدور كالغريب يجول في العراء ، يجتاز القفار والمدن يلقى التعذيب يستقبل الشتيمة يواجه بكبرياء سخرية الجهلة ورصاص القتلة يغالب الجوع والعصف والهوان ثم يحل في المدينة الحلم – حيث يستقبله العمال الكادحون والمغمورون من ابناء الوطن وهم محوره الاساس وقضيته الكبرى "[٣]. ونلمس في القصة ادانة صارخة للعنف التاريخي الذي يحاول اغتيال ثورية الثوار ونزوع إلىالايمان بالقضية وبالوجود الذي يجب الدفاع عنه ، وتطلعاً صوفياً يؤسس إلى ان الخلاص من عذابات الحياة وامكانية تزايد القدرة على احتمال صنوف

---

[١] ينظر : عبد الرحمن الربيعي بين الرواية والقصة القصيرة ، ٧٥ و ٧٦ .

[٢] ذاكرة المدينة ، ١٣٨ .

[٣] قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ٢٥ و ٢٦ . وينظر : الشخصية العمالية في القصة العراقية ، ١٢٩ و ١٣٠ .

الحرمان والعثور على الراحة والامان تكمن في الوصول إلى روح الايمان وفهم جوهره ، اذ يشير القاص إلى صراع الانسان التاريخي لاجل الحفاظ على حقه في الوجود وعلى لسان بطل قصته يقول : " لم يعرف اسم ابيه او امه ، بل انه لم يعرف عائلته اما عمره فقد كان يحيره انه لا يدري كم سنة عاش ، وكم مدينة رأى لكنه مطمئن إلى حقيقة يعرفها جيداً وهي ان اسمه : المواطن – ع التستري "[١]. ويشخص القاص في قصته فكرة العامة السائدة ان الانسان بلا دين من الممكن ان تحل في بيته الشياطين والمردة " كان اصحاب الحانات والمقاولون يقولون : هذا مخلوق من اصل نجس لا دين له ، وبيته مسكون بالشياطين المردة ، بينما كان الصيادون والحرفيون يقولون المسألة فيها عداوة ، ان المواطن ع التستري من عائلة معروفة منتشرة في جنوب العراق"[٢]. ويقودنا هذا إلى طرح رأي مفاده انه كلما اقترب الانسان من جوهر الدين والايمان ، استطاع بالمقابل ان يحصن نفسه من ارتكاب الشرور والاثام ، فالابتعاد عن الدين يقود إلى الضياع والتشتت وفقدان الرؤية المتبصرة للأمور .

ويشير القاص إلى الاضطهاد والظلم والقسوة والتعذيب والاهانة التي تلحق بالتستري في رحلته الحياتية ، فيجعل في مقابل ذلك العثور على الامان والملاذ والحماية والحصانة من كل انواع القهر والعذاب في اللجوء إلى الدين والايمان الذي يرمز له بالمسجد " استطاع اخيراً ان يدخل مسجد القرية الذي صادفه في نهاية زقاق يقود إلى خلاء فسيح توزعته بساتين الرارنج والرمان أخيراً استرحت وخرج خادم الجامع إلى جمع الاولاد ماسكاً غصن شجيرة رمان وسلط لعناته على اباء الاولاد واجدادهم فتفرقوا "[٣] . وكأن القاص يرمز بذلك إلى ان طريق الخلاص والراحة من العذاب والاضطهاد يكمن في الاحوال في اللجوء إلى الدين والتحصن به . ويؤكد القاص على التمسك بالصلاة إلى جانب التمسك بالحق لانها تعطي قوة الاحتمال وعدم التراجع عن الحق " كانت باحة المسجد فارغة – في الوقت المحدد لصلاة

---

[١] قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ٩١ .

[٢] نفسه ، ٩١ .

[٣] قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ٩٢ .

الظهر الا منه وهذا الشيخ ، شيخ يلف رأسه بقماشة بيضاء وهو امام المسجد قال ع – التستري في ذاته "قم توضأ وتعال نصلي معاً " . وفي مقطع اخر يقول " انت تعرف طريق الحق "[١] . يؤسس القاص لفكرة مفادها ان الايمان سلام الانسان في رحلته الكفاحية والنضالية في الحياة ومن الممكن ان يكون مصدر قوة له وخير ملاذ له في ازمنة الخوف .

وفي قصة (اهتمامات عراقية) للقاص (جمعة اللامي) ثمة تداخل وربط بين الماضي والحاضر ،والماضي ممثلاً بسيرة الامام الحسين (عليه السلام) في كربلاء والحاضر الذي يتطلع فيه إلى الثورة والتغيير حاول القاص التأسيس في هذه القصة لقيم فكرية واخلاقية تتطلع إلى المواجهة والثورة والثبات على المبدأ ، اذ يبدأ قصته " ايها المؤمنون ..

اسرعت الجياد فوق رمال الويلات وعرف كما نبأه جده – ان السر الذي وعد به سيتحقق خلال هذا اليوم فقط فربت على عرف جواده ومال إلى انصاره واهل بيته فرأى الدموع تبلل لحاهم ومع ذلك فهم مبتسمون في حين بدأت طلائع (الحر) كالاشجار البعيدة ساعة القيلولة . ويسرد القاص في مقاطع قصته الاحداث التي رافقت استشهاد الامام ، ولكنه فيما بعد يعلن ان الثورة لابد قادمة فيقول " يطلع الحسين من على منارة ابيه رجلا شرقي الملامح ، ملتحياً ، علم في يسراه وسيف في يمناه ، وخلفه مجاميع من الناس العراة يقبضون على السيوف بايديهم واسنانهم ينتظرون شارة القائد الذي يبدو حزينا "[٢]. ولكنه في مقطع اخر يدعو إلى الصحوة وإلى الابتعاد عن الندم والفجيعة " يرفع ذراعه ذات السيف إلى الاعلى ويخاطب الناس الا انهم كانوا منشغلين عنه بطقوس الندم والفجيعة يرتد إلى صحبه الذين بجواره ويقول لهم ان اعوام الصحو لم تأت بعد ويستدير فتتبعه الفيالق "[٣].

وتستخدم القاصة (لطيفة الدليمي) رموزاً تاريخية وسياسية ودينية في قصتها "امتياز تنوء به الروح ". تصور القصة حالة خاصة لشخص موزع النفس متردد

---

[١] نفسه ، ٩٢ .

[٢] قصص عراقية معاصرة ، ١٦٢ .

[٣] نفسه ، ١٦٩ .

الخطو متوجس ، وتتنازعه الشكوك ، وينتابه مرض كالهاجس يقوده للبحث عن سلام النفس وعن تجربة جديدة لرأب الصدع الداخلي واعادة انكسار الروح والهدوء وهي مرحلة اعادة البناء الداخلي لوجود مهدم "[١]. وكأنها تدين الانسان الذي يفقد ايمانه بوجوده وانتمائه وقدرته على تحقيق ما يتطلع اليه وترصد من خلال ذلك تذبذب ايمان بطل قصتها في كل شيء حوله والانسان الذي يفقد ايمانه يقف على ارض هشة من السهولة ان يسقط وينهار . وتكاد القاصة تؤكد ان حالة المرض والضعف وثقل المعاناة التي يعاني منها بطل قصتها تكمن في ضياع ايمانه وعدم تمسكه به فيحدث بطل القصة نفسه : "متى لم ادخل مسجداً ، منذ كنت طفلاً عندما تبعت ابي اخر مرة صلى فيها ، حسناً ان لم اجدهم سأتخذ لي مبيتاً في المسجد مثل درويش سائح في ارجاء العالم "[٢]. فيتذكر انه قرأ ابن عربي والسهروردي وتمثل عالم التصوف والمعتزلة وتوصل إلى صفاء النفس ولكنه سرعان ما فقده وكأن القاصة تشير إلى ان فقدان الايمان يؤدي إلى تفاقم الداء واستفحاله فيقول : " لم تعد لي ملامح وجهي القديم الذي تركته هنا ، لشد ما تغيرت هزتني المواقف ، الداء والحب والبحث عن انتماء وومضة التصوف العابر "[٣]، ولكن صديقه العائد يؤكد له ان اليقين والايمان هما طريق الشفاء فيقول عنه : " لقد افترقنا منذ الصبا ، هاجر هو إلى مدينة عربية درس فيها وعاد مشبعاً بالحب لكل هذه البلاد المباركة الممتدة ما بين تخوم النبوة والحراب "[٤].

يتضح مما تقدم ان قضية الدين اخذت مداها من الاهتمام والدراسة والبحث وتصاعد الوعي بها تدريجياً بحكم عامل التحرر والتطور الحضاري ، واسترعت انتباه القصاصين على خطورتها واهميتها فتطرقوا اليها في قصصهم متناولين جوانب مختلفة امتازت بعمق الرؤية والنظرة الشمولية على الرغم من تباين مواقفهم ، اذ تطرق بعضهم في بعض قصصه بشكل حذر ووجل والخشية من تخطي الحدود

---

[١] قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ٢٦ .

[٢] نفسه ، ٣٣٩ .

[٣] قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ٣٤٠ .

[٤] نفسه ، ٣٤٤ .

الثابتة وبعضهم الاخر تناول قضية الدين واصفاً الطقوس المرافقة لها وناظراً اليها نظرة فوقية ملتزماً الحيادية وكأنه كان يقف موقف المتفرج ، بينما عمد بعض القصاصين إلى ادانة المظاهر المبالغ فيها بالظواهر المرضية الاجتماعية التي استغلت الدين واساءت فهمه ولكن تلك الادانة كانت غير مباشرة، وبعض القصاصين استفادوا من الموروث العربي واستلهموا ملامح التضحية والبطولة ، وتناولوا الجوانب الجوهرية الايجابية والمضيئة في الدين ، وبعض القصاصين تناولوا الازمات الروحية التي اصابت شخوص قصصهم .

وفي جميع الاحوال فان القاص العراقي تطرق إلى قضية الدين محاولاً التنبيه على ضرورة التحرر من الظواهر المرضية الاجتماعية التي رافقت الدين وامتزجت بالتقاليد والعادات والمعتقدات ، وكذلك تحرير المرأة التي ارتبطت قضيتها بقضية الدينارتباطاً مباشراً وان كان تناول القاص قضية الدين محدوداً نسبياً اذ طغت القضايا الاجتماعية والعاطفية والسياسية بحضورها في الادب القصصي العراقي .

ان قضية الدين في الادب عامة والقصة خاصة لها تشعباتها وطروحاتها وتفرعاتها المتعددة ومن الممكن ان يبحث الباحث مستقبلاً في موضوعات تبين علاقة المرأة بالدين ، رؤية القاص او القاصة العراقية لقضية الدين وكيف وظف القاص قضية الدين في الادب القصصي على صعيد التوجه الانساني والتمسك بفكرة ان الدين عدالة ومحبة وسلام . ومن الممكن البحث في الادب القصصي العراقي في ثورة الدين على التخلف والجمود ودراسة غايات الدين في القصة والتي تكمن في توعية الانسان نحو نفسه واهله ومجتمعه وانسانيته ودعوته إلى المثل العليا وإلى تنظيم وتطوير حياة الانسان وتحريره من الاثم والخطيئة .

المبحث الثالث

ب- المعتقدات

للمعتقدات الإنسانية والشعبية تأثيرها في الأدب القصصي ، وقدرتها على إثارة الأفكار والمشاعر في ذهن القارئ ونفسيته ، وفي أفكار وسلوك المبدعين ، وانعكاسها على نتاجهم الإبداعي ، وتمتد المعتقدات المعاصرة إلى عصور قديمة نشأت مع الإنسان ، وتطورت معه إذ اعتقد فيها ، وكانت مبعث خوف مع قلق وحيرة أو حافز مشجع يمنحه الأمل والقوة والتحمل على وفق الذي يعتقده لأن : "معظم معتقدات الشعوب المتحضرة يرجع إلى التصورات القديمة والبدائية بل أن هذه التصورات ما تزال تعيش كل تفصيلاتها في العقيدة الشعبية المعاصرة ، وفي الوساوس والتقاليد وفيما يحدث تلقائياً أو فيما هو باعث على الخوف"[١].

ومنذ الطفولة تغلغلت في أذهاننا معتقدات مفادها ان سماع (نعيق الغراب) و (رؤية البوم) مصدر شؤم فضلاً عن ذلك ان سؤال شخص ما ذاهب لمكان ... إلى أين ؟ يعد مصدر شؤم ، ان الناس لهم شؤون لا تحصى من المعتقدات والغيبيات ومنها (قلب الحذاء) للتحصن من مجيء أي ضيف أثناء تناول الطعام ويأتي ذلك من البخلاء خاصة ، وبعض الناس يخافون (ضرب قطة أو كلب) أو أي حيوان أليف بعد الغروب ويعد الأمر بمثابة وسيلة للتخلص من مكر العفاريت الذي يجوز لهم أن يتمثلوا في أي هيئة إذا بدأ الظلام ينشر أجنحته بعد غروب الشمس .

ومن الناس من يخشى إلقاء الماء من دلو أو طاسة او جفنة في الظلام مخافة أن يتصادف ذلك مع وجود عفريت ، فيغضب ثم ينتقم ممن ألقى عليه الماء الوسخ وهو لا يشعر[٢] .

---

[١] في أدبنا القصصي المعاصر ، ١٩٦ .

[٢] ينظر التراث الشعبي ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية ، العدد الثاني ١٩٩٢، ص١٦ .

وعلى العكس من ذلك ثمة اعتقاد سائد ، مازالت بعض النسوة تتبعه وهو إلقاء الماء عند باب الدار وراء المسافر والمغادر للدار اعتقاداً بعودته سالماً سواء كان هذا المسافر ابناً أو زوجاً .

وثمة معتقدات اختلطت بالدين وما زالت سائدة بين الناس ، منها حصول البركة واليمن من فعل شيء معين كالتعرض لدخان البخور واصطناع التعاويذ والرقي ، وبعض الجماعات لا يضعون الكؤوس على الأرض ابداً حين ادارة أكواب الشاي في مجالسهم الصوفية وكانوا يرون ذلك من الكبائر[١]، ويسرع بعضهم إلى كتبة الحرز بآيات من القرآن الكريم عند بعض المشعوذين بغية التخلص من الشؤم الذي قد يحدث لهم لدى ارتكاب المحظور الاعتقادي[٢]. وإذا ما تخطى صبي أخاه أو أخته وهو مضطجع نهى عن ذلك نهياً شديداً . وأمر بأن يتخطاه تارة أخرى لنسخ الشؤم الذي قد يحصل للمتخطى عليه من أفراد الأسرة ، فان ذلك يكون بمثابة الجنازة التي يكون أمرها شبيهاً بالمحظور أي انهم يعدون ذلك شؤماً يجب ان يتجنب .

كان يشيع بين الناس ان الذي يكذب تتحرك لكذبه الريح فكأن الريح على هذا التصور الاعتقادي هي نتيجة الكذب بين الناس . وكلما ازداد (كذب الناس) ازداد بالمقابل هبوب الريح وشدتها وبالعكس وعليه فالأعاصير المحرقة المدمرة هي إذاً مجرد ثمرات لهذه الأكاذيب[٣] .

ومن المعتقدات الشائعة "صيانة الموتى والامتناع عن كشف وجوههم حرمة للميت وهذا ما يؤكده كبار السن إذ كانوا يقولون بان الآشوريين لم يعتادوا على كشف وجوه الموتى لأن ذلك يقلقهم"[٤] .

---

[١] ينظر التراث الشعبي ، ص١٦

[٢] نفسه ، ١٧

[٣] نفسه ، ١٦ و ١٧

[٤] اصغي إلى اصابعي ، دجونا دافيد ، ترجمة ناهدة البدري ، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر ، الموصل ، ص٣٨ .

وثمة اعتقادات أخرى كثيرة شائعة بين الناس لم تتغير الذهنية الشعبية بصددها على الرغم من تغير مظاهر الحياة ، فمن الاشياء التي لا تجوز (الصراخ بوجه الطفل عند الغروب) أو (كنس البيت بليل) فان مثل هذا الأمر يؤدي إلى حدوث معضلات صعبة لا يمكن التغلب عليها أو يسبب الشر والموت لأهل البيت[1].

وثمة من يعتقد خيراً (بماء المطر في نيسان) إذا وضع طاسة أو دلواً وتمنى أمنية فان دعاءه وأمنيته تستجاب .

وفي اعتقادات عامة الناس التي مازالت سائدة حتى الآن ان اكثر الناس عرضة للشر : (المرأة) إذا كانت عروساً ، و (الرجل) مثلها و (الصبي الوسيم) ولاسيما إذا كان وحيد والديه أو بكرهما أو آخر الأبناء .

ومن الاشياء التي يمكن ان تكون عرضة للخطر والشر والحسد بالعين ما كان جديداً وفخماً كالبيت الجديد أو السيارة الأنيقة . لذلك يلجأ بعض الناس إلى رسم في مقدمة زجاج السيارة أو عند مدخل البيت الجديد يمثل كفاً بأصابعها الخمس وهو في اعتقادهم يبعد شر العين الحسودة . وثمة قول سائد بهذا الصدد وهو : "خمسة في عين ابليس" ويعني هذا المثل الاعتقادي ان العين الشريرة التي تصيب الناس بسوء تتعطل عن وظيفتها بفعل هذا الدعاء وهذا الاحتماء[2].

و (رفرفة العين اليمنى) تدل على حدوث أمر غير سار و (رفرفة العين اليسرى) تدل على الخير والبركة . فضلاً عن ذلك اعتقد الناس بالتنبؤ بالمستقبل وقراءة الكف والابراج والطالع والحظ والرؤية وغيرها من المعتقدات .

ان استخدام الموروث الشعبي جزء لا ينفصل عن الأدب القصصي فهو من كيان الشخصية الإنسانية لأن : "استخدام الموروث الشعبي يمنح القاص القدرة على تصوير الشخصية الإنسانية المعاصرة بالتوغل إلى تصوراتها المعاصرة ، التي هي قديمة جداً ومازالت تعيش في اذهان الناس حتى اليوم بكل ما في هذه التصورات من

---

[1] ينظر التراث الشعبي ، ص١٧ .

[2] نفسه ، ص١٧ .

مخاوف وآلام وطقوس ومعتقدات دينية بدائية"[١] ، والمعتقدات جزء من حياة الناس التي من الممكن أن يعكسها الأدب بصورة واضحة "ان الحقائق العميقة التي تتعلق بحياة الناس بما للناس من عقائد ونظرات في الحياة إنما تقرأ في الأدب أكثر مما تقرأ في أي كتاب آخر"[٢].

ويعد هدف محاربة المعتقدات السائدة من الأهداف المهمة التي سعى كتاب القصة إلى طرحه وتشخيصه فسار في مسار تشخيص الأمراض الاجتماعية ومحاربة التقاليد البالية ، ونبذ المعتقدات السائدة ، فعمدوا إلى عرض أفكارهم ومعتقداتهم وآرائهم ، ودعوا إليها مخلصين وسعوا إلى نشرها بين الناس ، وكان الاتجاه الواقعي ملاذهم في بيان أهدافهم الاجتماعية ومن الكتاب الذين زخرت كتاباتهم في طرح هذه الأهداف القاص جعفر الخليلي ، والقاص شالوم درويش ، والقاص ذو النون أيوب ، والقاص أدمون صبري وغيرهم[٣].

فالقاص ٠جعفر الخليلي) من أبرز القصاصين العراقيين الذين توجهوا إلى المجتمع في كتاباتهم ، وانتقوا معتقداته انتقاداً لاذعاً وساخراً ، تلك المعتقدات التي رسخت في الأذهان نتيجة تغرير الدجالين ، والجهل المسيطر على العقول فضلاً عن ذلك فانه شخص أمراض المجتمع وتناقضاته وعيوبه ، وسخر من الخرافات التي تعشعش في رؤوس العامة كما ورد في قصة (فقدنا عقلنا ودارنا) وفيها تحلم الزوجة بالملك سليمان إذ يشير عليها ان تحفر في مكان ما في الدار لتعثر على كنز مطمور وحين ينفذ الزوج ما أشارت عليه زوجته تنهدم الدار[٤].

وحاول القاص إدانة المعتقدات البالية موضحاً من خلال قصصه أنها خرافات وخزعبلات ولا مكان لها من الصحة كما ورد في (قصة الإبريق) بدعوى استخارته لفضح ومعرفة السارق وهي وسيلة تنم على السذاجة والجهل والتخلف والاعتقاد

---

[١] في أدبنا القصصي المعاصر ، ١٩٦ .

[٢] النقد الأدبي الحديث ، د. علي عبد الرزاق حمود ، جامعة بغداد ، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر ، ١٩٩١ ، ص٨٤ .

[٣] ينظر القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٧٧ .

[٤] نفسه ، ٧٩ و ٨٤ .

الباطل : "المعتقدات هي التي رسخت في الاذهان نتيجة لتغرير الدجالين أو لسوء فهم شرائع الدين وللجهل المسيطر على العقول منذ عهد بعيد فغدا الايمان بالسحر والجن عقيدة ملازمة خلقت اسوأ الآثار في حياة الناس"[١].

تتحدث قصة الإبريق عن صديق كان أخا زوج أبيه يسرقه ولم يبق لديه شيء يعتز به فيكتب إلى أبيه يعلمه بالحقيقة ليأتيه الرد قائلاً له أنه واهم وان شخصاً آخر يسرقه غير نسيبه وأنه تأكد من الأمر بعد استخارته للإبريق[٢].

وشخص القاص في مجموعته (أولاد الخليلي) الصادرة عام ١٩٥٥ في (أهي الثقافة أم البيئة ؟) محاولة احدى الزوجات الاحتفاظ بزوجها عن طريق السحر واستخدام العقاقير التي تصنعها الساحرات . وفي قصته (من اين تؤكل الكتف) يستغل موسى اعتقاد ذويه بالجن فيحدث اضطراباً ينسبه إلى الجن حتى يفتي أحد الشطار بإخراج موسى من العائلة ليستقر في دار منفردة ، وبذلك يتحقق حلم موسى . واتسمت القصتان بروح النكتة الناقدة للافكار الخرافية المسيطرة على اذهان بسطاء الناس في العراق[٣] .

ورصد في قصة (حسن الطالع) الاعتقاد بحسن الطالع ورؤية الهلال في مطلع كل شهر في وجه إنسان حسن الطلعة ، وبطل القصة الذي يتطلع الناس إلى وجهه مطلع كل شهر تفاؤلاً بالخير يشقى بالأحداث التي تصيبه وزوجته وأطفاله ، وسخر القاص في هذه القصة من المعتقدات السائدة التي توارثها الناس ، مستخفاً بها ، ومحاولاً صد الناس عنها في الوقت نفسه[٤] .

وشخص القاص في قصة (البركة) اعتقاد الناس بالأولياء ، فبطل قصته مزعل الفحام يخيب في جميع الأعمال التي يمارسها على الرغم من إيمانه بالبركة وصلاته وصيامه وسعيه في تجنب إيذاء الناس فتضيق الحياة به ، وتقرر زوجته الطلاق منه وتفهمه ان البركة ليست إلا لحيلة ، فيدعي ذات صباح أنه راى سيداً

---

[١] نشأة القصة وتطورها ، ١٨٠ .

[٢] ينظر نفسه ، ١٨٢ .

[٣] ينظر القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٨٩ و ٩٠ .

[٤] نفسه ، ٩٥ .

جليلاً قال أنه السيد الخضر وأنه ولي من أولياء الله ، ويريد بناء ضريح له ، فيقدم الناس النذور ويبنى الضريح ، ويصبح مزعل الفحام الشيخ مزعل الذي يخدم الضريح ويطلب الناس بركته فتمكن من تحقيق ثروة له وبناء بيت كبير أيضاً ، وفي القصة نقد وسخرية من جهالة بعض الناس الذين يصدقون كل شيء انسياقاً لمعتقداتهم[١] .

وعالج القاص (غانم الدباغ) قضية المعتقدات الخرافية في قصة (الطوطم) التي تدور بين طفل وطفلة يعتقدان ان السرداب مسكون بالجن وفي قصة (السكون) يسمع الشاب صوتاً ينبعث من الحائط فيعتقد أن الدار مسكونة بالجن ولا يجد حلاً لأزمته على الرغم من تردده على رجال من العرافين والأطباء[٢] .

ورصد القاص (عبد الحميد لطفي) في قصته (فيما مضى) المعتقدات التي كانت سائدة ، والتي تمنح الناس القناعة والقوة والأمل .

إذ يعيش شاب مع عمته في بيت عتيق في حي من أحياء بغداد القديمة وكان يشغل هو وعمته غرفة كبيرة واحدة من البيت تحسن العمة تنظيمها بأثاثها القليلة القديمة . وكانت هذه الاثاث مبعث فخر لهما ، وتتكون من منضدة وكرسيين في حين لم يكن في الدار غيرهما مما جعل عمته تعتز بالكرسيين اعتزازاً كبيراً . وقد دق مسمار ذات يوم في إحداهما فاحدث شقاً في الكرسي مما دفع العمة إلى البكاء طوال اليوم .

ان اعتزاز العمة بالكرسيين مبعثه اعتقادها ببركة الكرسيين فقد تمت عليهما مراسيم مهور كثيرة انتهت بزيجات موفقة سعيدة وطالما سخرت العمة من الراوي لأنه لا يعتقد بما تعتقد به .

ان تعلق العمة العجوز بالكرسيين القديمين يمثلان تعلقها بالحياة نفسها فهما عتيقان مثلها ، ولكن قيمتهما في نظر المجتمع الصغير سكان الدار اكبر من قيمتها هي . وكأن الإنسان لا قيمة له في مجتمع طبقي مادي كالمجتمع العراقي آنذاك وما اهتمامها بهما إلا اهتمامها بنفسها لأنها تستمد قيمتها في نظر أهل الدار من تملكها

---

[١] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٩٨ .

[٢] ينظر : نفسه ، ٤٠٢ .

لهذين الكرسيين فإذا ما كسر الجار أحد الكرسيين ، إنهارت العمة وعدت ذلك العمل إهداراً لكرامتها[1] .

ان الأمر المهم في القصة اعتقاد العمة ان الكرسيين يمنحان البركة وان هذا الاعتقاد يمنحها الاحساس بقيمة وجودها وأهمية ذلك الوجود .

وان عقلية العمة اكتسبت نوعاً من الجمود الفكري بمرور الزمن ، فانحصر تفكيرها واعتقادها بالكرسيين وبركتهما فصار جزءاً لا ينفصل عن وجودها واحساسها بأهميتها .

إن مثل هذه العقلية لا يمكنها استيعاب الأفكار الجديدة وفهمها ، وهي على العكس من العقول المتفتحة التي يمكنها ان تستوعب المعتقدات والأفكار الجديدة ، وتكون اكثر استعداداً لمعرفة الأمور الجديدة .

وشخص القاص "عبد الملك نوري" في قصته "الرجل الصغير" المعتقدات التي كانت سائدة في الخمسينات والتي يمكن القول ان الإنسان العراقي تحرر منها بشكل أو بآخر بفعل عامل التطور الحضاري ونمو الوعي لدى الناس .

تتحدث القصة عن صبي صغير ترسله أمه المريضة في طلب أخته كي تساعدها في مرضها ولكن الصبي يتيه في الطرقات ولا يهتدي إلى بيتها . ومن خلال القصة يستعرض القاص المعتقدات والأفكار والأوهام والتصورات التي تسيطر على ذهنه وتتحكم به وتتركه فريسة القلق والاضطراب والخوف .

ويورد القاص في حوار الابن مع امه عبارات عن الجن الذي يسكن الخروف ولا ينام بسببه ، والصوت الذي يسمعه خلفه والبيوت القديمة المسكونة بالثعابين والعقارب والعناكب والطنطل الذي يعيش في الازقة الضيقة والانقاض الخربة المغطاة بالتراب التي يعيش الجن تحتها الذين يظهرون بصورة عنزة او كلب او حصان وهم يصفرون ويغنون بوحشية ، وقد يطوقون عنقه من الخلف ويخنقونه بشدة ويرقصون حول جثته واحساسه باليأس والوحدة وتفكيره بعدم قدرته على مواجهة الطنطل الذي ينقذه احد منه ، فضلاً عن ذلك اعتقاده في (خناكين الكلوب) الذين يظهرون في

---

[1] ينظر القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٥٩ ، ٦٠ .

الطرق الخالية عندما ينام الناس ظهراً أو في الليل ينطلقون لاصطياد الصغار الذين يلعبون في الطرق او الذين يكونون وحيدين بعيداً عن امهاتهم[١] .

ويشير القاص إلى تصورات الطفل بصددهم واعتقاده بهم من ان الواحد منهم يبدو كدرويش ذي لحية طويلة وخرقة حول الرأس و (عوجية) غليظة يتوكأ عليها ويحمل على كتفه عليجة يخفي فيها الصغار المساكين الذين يصطادهم ويذهب بهم إلى البرية حيث يفتح صدورهم بالخنجر ويأخذ قلوبهم الصغيرة . وتزرع هذه الاوهام والمعتقدات الرعب في نفس الصغير فيشعر اثناء ركضه ان الجن يركضون وراءه وثمة يد خفية تحاول الامساك به[٢] .

لقد اطلق القاص العنان لتلك التصورات والمعتقدات والاوهام لتبث الرعب في نفس الصغير ومفردات الجن والطنطل والدرويش وخناكين الكلوب كان عامة الناس يستخدمونها لتخويف الاطفال وردعهم عن القيام بما لا يرضون ان يقوموا به من اعمال . لقد تمكن القاص من بيان رفضه الضمني واحتجاجه على تلك المعتقدات من خلال اثارة شفقة القارئ على الطفل وتعاطفه معه وبيان ازمته التي تمس النفس في قلقه وخوفه ورعبه .

وفي قصة (عيون علية) رصد القاص (امجد توفيق) الاعتقاد بالسحر وشخص الخرافات السائدة في قرى الشمال من ان الحلم من الممكن ان يتحقق ، فاذا حلم المختار بأن شيخاً كبيراً يخبره ان عليه بريئة لم يكن الشيطان يسكنها وامره بأن يبني لها قبراً يليق بذوي الشأن ، وربما يصبح مثل هذا القبر في مستقبل الايام مزاراً للناس يطلبون منه البركة[٣] . ومن خلال رصد القاص لأحداث القصة يدين تلك المعتقدات القائمة على الجهل التي تسبب البؤس لأفراد المجتمع اذا يعمد الاب إلى قتل ابنته علية بسبب الشائعة التي تشيع في القرية من ان عينيها تسحران الرجال .

---

[١] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٣٣٦ و ٣٣٧ . وينظر : الادب القصصي في العراق ، ج٢ ، ٢٢١-٢٢٥ .

[٢] ينظر : الادب القصصي في العراق م ح . ع ٢ ، ج٢ ،٢٢٥ إلى ٢٢٧ .

[٣] ينظر : القصة القصيرة في العراق ، ٤٩٦ .

ورصد القاص (موسى كريدي) في قصة (غرف نصف مضاءة) المعتقدات السائدة التي تنبع من الواقع الاجتماعي والثقافي الذي تحياه مدينة ما تزال في دور التكوين وما تزال علاقاتها الانتاجية علاقات زراعية بدائية من خلال تلك المعتقدات الايجابية والسلبية على حد سواء ، فشخص البدوي الذي يرفض ان يبسلم بطل القصة (نافع) القهوة بيده اليسرى لأن العادات والمعتقدات تقول (ان العطاء يبه باليمين)[١] منطلقاً من اعتقاده بأن اليد اليسرى تنطوي على النجاسة . على الرغم من مضي نصف ساعة وانشغاله بقضية السفر (وهي تؤرقه منذ زمن) فانه ما زال يذكر مقولة البدوي بشأن وظيفة اليد اليسرى (الوظيفة الميكانيكية) التي يحتقرها كثيراً ولا يتعامل معها إذ يعدها مخلوقة لقانون (النجاسة) فقط [٢].

وشخص القاص كذلك محاولة بطل قصته الاب الذي ترقد ابنته مشلولة الاستعانة بالتعاويذ والرقي متوسلاً العلاج لها بدلاً من استدعاء الطبيب لها[٣] فرصد حركة بطله في القصة . " فزع إلى الحجرة المظلمة ودلف فشم رائحة نفاذة جداً ثمة اعواد (بخور) تضيء في الظلمة وترسل خيوطها المتعرجة وفي مقطع اخر يستعين الاب بالتعاويذ . " ماتت صرخته امام حبات المسبحة السوداء الطويلة التي ما تزال بين انامله تتحرك حركة متوافقة مع اهتزاز شفتيه كلمات غامضة بعضها ترعى والاخر مسجوع ما تزال تضج في حنجرة رجل انحنى ظهره "[٤].

ورصد القاص (موسى كريدي) في قصة (عربة الليل) المعتقدات التي ما زالت حاضرة في اذهان الناس والمتوارثة جيل عن جيل في الطير الاسود الذي يرمز إلى الشؤم والشر وسقوط ورقتي الشجرة التي تنبئ بالموت . تتنبأ الام من خلال اعتقادها بوقوع الحدث والجزء الاهم في القصة الطائر الاسود الذي يرمز للنذير

---

[١] ينظر : في ادبنا القصصي المعاصر ، ٢٥٧ .وينظر : النص القصصي والروائي في ادب موسى كريدي ، ٥٩ .

[٢] غرف نصف مضاءة ، موسى كريدي ، منشورات وزارة الاعلام ، سلسلة القصة والمسرحية (١٠٢) ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٧٩ ، ص١٣ .

[٣] ينظر : في ادبنا القصصي المعاصر ، ٢٥٨ .

[٤] غرف نصف مضاءة ، ١٨ .

بالخطر الذي يداهم المرأة وولدها فيلفت نظرها حين يطوف حول الشجرة ويبدو شديد السواد فيرف في الهواء ثم يستدير في الظلام ، وكذلك سقوط الورقة بلا مؤثر يرمز إلى انقضاء حياة ابنها إذ تتابع الام سقوط الورقة ثم تحتضنها براحتيها وكأنها تحتضن ولدها ، فالورقة والطائر الاسود يرمزان إلى الموت الذي يقترب من ابنها[١] .

وتابع القاص حركة الام راصداً اياها مبيناً اعتقادها الراسخ بمأساوية سقوط اوراق الشجرة " اتيح لها بعد قليل ان تتحني نحو الارض باسطة كفيها لاستقبال وريقة النبات الحائلة اللون والساقطة من شجرة الباحة ، الشجرة القائمة كالابد وسط السور ، في تلك اللحظة التمعت عيناها ، انفتحتا اكثر وظلتا ممعنتين في الارض بصمت ، على حين ظلت الشجرة المنتصبة مدومة في خيالها وناصلة تزحف نحوها ببطء ولم تكد ترقب الوريقة الساقطة من فوق حتى الفتها تنوس متكورة مستقرة فوق الراحتين المنبسطتين والمرميتين كدمعتين كبيرتين خلال عشب محروق "[٢]. واضاف القاص اعتقاد الام بشؤم الطائر الاسود في مقطع اخر "حول الشجرة طوف طائر غريب اللون ، وفي لحظة رف الطائر في الهواء وبدا اسود ، شديد السواد ، وما لبث حتى استدار مختفياً في الظلام ، وعندما نهضت ام ظافر وكان فضاء الصوت في الخارج يتسع ويدوم ، ومن خلال شقوق الجدار الفاصل بين الموت والحياة حاولت ان ترى الاشياء فلم تستطع ، ولم تطاوعها يداها لفتح النافذة القريبة "[٣].وشخص القاص (موسى كريدي) في قصة (الحية) المعتقدات التي نشأت بسبب عوامل التخلف والجهل في مدينة زراعية متخلفة سيطرت على سكانها معتقداتهم البالية فتنكروا للحقائق العلمية من خلال اعتقادهم بظهور افعى في السماء وفزعهم منها ، ثم هربهم من المدينة .

---

[١] ينظر : الفن القصصي والروائي في ادب موسى كريدي ، ٥٨ .وينظر : خطوات المسافر نحو الموت ، ٦٩ .

[٢] خطوات مسافر نحو الموت ، ٦٩ .

[٣] نفسه ، ٦٩ .

لقد عبر القاص في هذه القصة عن تناقض المدينة مع العلم الذي يمثل البطل وفشله في القاء المحاضرة المكلف بها سبب الاشاعات المروجة عن الحية[١]. ان هذه القصة تعكس صورة دقيقة للظلام الذي يخيم على الفكر بسبب اعتقادات مبنية على الجهل والشعوذة والخرافة ، فاعتقاد الناس ان ذيل طيارة من ورق هو افعى كبيرة اعتقاد مريض وان الحية ترمز إلى حالة فراغ نفسي وثقافي وحضاري واراد القاص من خلال قصته ان يصور حالة الفكر والعلم في مدينة ذات ملامح زراعية بدائية يتفشى الايمان بالاسطورة والخرافة فيها ، ويرسم صورة واضحة لما يتميز به سكان هذه المدينة من عنف ووحشية يمارسونها بحق العلم والعلماء والمفكرين . واراد القاص كذلك ان يصور خضوع السكان لقوى ذات طبيعة علوية ، وافتقارهم القدرة الروحية لمقاومة الاخطار المحدقة بهم ، والجمود الفكري الذي يجعل من البشر مجرد (قطيع) لا يتورع عن قتل واحد من سكان المدينة لأنه يؤمن بحقائق العصر العلمية [٢].

ان شخصية (عامر سعيد) في قصة (الحية) ومن خلال تتبع اهتمامه بطرد الجهل ومحاربة فايروس الموت الذي يداهم مدينة (ن) فهو يسعى جاهداً لالقاء محاضرة على الناس يبدي فيها لهم النصح ، وان انتظاره موعد المحاضرة ولهفته عليها دليلان على حرصه وثقافته اللتين لم تنفعاه في مدينة يعشش فيها الموت والجهل واي جهل اكثر من تصور اهل المدينة ذيل الطائر الورقية بأنه حية على عكس عامر سعيد الذي كان همه ان[٣] " يبحث في بطون الكتب العلمية والطبية يستقرؤها ويجمع فيها المعلومات الوافية التي تخص انحلال الجسد وتفسخ الجثث الرميمة ، كان يرى ان مزاحمة الموتى للاحياء ستكون كارثة العصر ستكون سبباً في اصابة عدد كبير من الطرف الثاني وقتله "[٤].

---

[١] ينظر : الفن القصصي والروائي ، ١٤٤ .

[٢] ينظر : في ادبنا القصصي المعاصر ، ٢٥٩ و ٢٦٠ .

[٣] الفن القصصي والروائي في ادب موسى كريدي ، ١٧٤ .

[٤] غرف نصف مضاءة ، ١٦١ و ١٦٢ .

وشخص القاص (عبد الرحمن الربيعي) في قصة (سر الماء) رسوخ المعتقدات في اذهان العامة وسيطرتها على تفكيرهم ، فالاعتقاد بوجود (الحفيظ) في الهور يثير الخوف والرهبة عند ذكره ، اذ يقول (حاتم) للدليل موضحاً " قالوا له ان الشياطين تخاف الكلاب السوداء ، وانه يستطيع الوصول إلى (الحفيظ) اذا ما حمل في زورقه كلباً اسوداً ، وعندما تسمع الشياطين نباحه تفر مذعورة ، وآنذاك سيكون بامكانه الحصول على الكنوز التي تحرسها الشياطين هناك "[١].

ويعلل الراوي اعتقاد الناس الراسخ بوجوده الخرافي الى انه القوة الغامضة التي تسند اليها كل الافعال التي لا يجد لها سكان الهور تفسيراً الموت الضياع في وسط الهور . وقد دفعهم الخوف إلى تأليه هذا المجهول والرعب منه "[٢]. وكأن الاعتقاد بوجود الحفيظ في منطقة مجهولة هو اشبه بسور او حاجز فكري يقيمه هؤلاء الناس لالتزام جانب الحيطة والحذر في ارتياد المكان فيغدو الاعتقاد بمثابة حماية وتحصين من الخطر وان كان في ظاهره يدعو إلى الخوف . ومن الممكن ان يكون الاعتقاد سلاحاً يذود به الانسان عن نفسه ويدرأ عنه المخاوف والاخطار، ويبين القاص في الوقت نفسه اندماج قضية المعتقدات بالخرافات وارتباطها بعامل الخوف ويؤكد في قصته عن الحفيظ "انه كان مجهولاً مرعباً ، تحرس الشياطين فيه كنوزاً من الذهب والفضة وعلى الرغم من الذعر الذي يتملكهم حين يسمعون باسمه فانهم يجهلون مكانه انه بأبسط تعبير عالم الخوف في اهوار العراق ، حيث ينسبون اليه كل حدث مفزع "[٣]. وحاول القاص ان يشخص قوة تأثير تلك المعتقدات ورسوخها في فكر ونفس سكان الاهوار وقدرتها على التحكم بهم .

ورصد القاص (عبد الرحمن الربيعي) في قصة (الكبش) رسوخ ايمان الناس واعتقادهم بقراءة الطالع والتنبؤ بالمستقبل فبطل قصته (حميد) يقول لصاحبه

---

[١] ذاكرة المدينة ، ٢٥ .

[٢] نفسه ، ٢٧ .

[٣] الربيعي بين القصة والرواية القصيرة ، ٦٩ .

(فرحان) . قرأ لي ملا سالم طالعي ، وقال : انك مقبل على خير كثير "[1]، وكأن الانسان يفتح لنفسه باباً للامل والتفاؤل والثقة بالمستقبل من خلال التمسك بمعتقداته.

ورصد القاص (عبد الرحمن الربيعي) في قصة (العميان) المعتقدات ورسوخها في نفوس الناس التي تدفعهم إلى اتخاذ سلوك معين فالخالة في القصة تتزوج ولا تتمكن من انجاب الاطفال فتندفع إلى كتاب الادعية وفاتحي الفال سعياً لتحقيق رغبتها في انجاب طفل " حزنت قنديلة عندما عرفت ان احشاءها لن تطيق ضم طفل تتقلت بين كتاب الادعية وفاتحي الفال زارت الاضرحة ونحرت الذبائح". ومن المؤكد ان لجوء الانسان إلى التشبث بالمعتقدات والايمان بها محاولة لكسر حاجز اليأس والتمسك بالامل الذي يحقق له رغباته وعلى الرغم من " ان تفكيرنا ملئ بالمعتقدات والوساوس واحياناً بالاوهام والخرافات "[2]. فان هذه المعتقدات والاوهام قد تكون مصدر قوة للانسان في كثير من حالات اليأس والألم.

ويحاول الانسان ان يجد الخلاص لآلامه من خلال ايمانه المعتقدات السائدة، كذلك الام التي تمرض بعد الولادة يزور افراد عائلتها الاضرحة والمزارات القريبة طلباً لشفائها "بدأت الام تفقد عقلها تدريجياً ، وقد نقلوها إلى الاضرحة والمزارات القريبة (السيد خضير) و (المجاهيل) وكتب لها (ابو زليف) عدة تعويذات دون ان تشفى "[3].

وشخص القاص (عبد الرحمن الربيعي) في قصة (مملكة الجد) المعتقدات السائدة والتي طرحها الحاج سعيد لأولاده ، إذ كان يعد وجود الخيل في البيت بركة فكان يقول لهم : " الحصان يجب ان لا يترك من دون ركوب ، لأنه سيسمن ويصبح ثقيلاً مثل خنزير ثم يعود ويحذرهم "

---

[1] ذاكرة المدينة ، ٣٧ .

[2] مجلة العهد ، الخوف كواقع تربوي ، موفق الجنابي ، معهد إعداد المعلمين – الديوانية ، النجف الاشرف ، العدد الثاني ، السنة التاسعة ، ١٩٦٩ ، ص٢٣.

[3] ذاكرة المدينة ، ٢١٥ .

–اياكم ان تضجروا منه ، فالخيل في البيت بركة ، انها مثل التعويذة التي تطرد الشر ، ولذلك ترون بعض الناس يضعون نعلها في ابواب بيوتهم ، وهو اضعف الايمان "[1].

وفي قصة (ماء البحر) للقاص (غازي العبادي) يتجسد واضحاً لدى شخوص القصة اعتقاد راسخ فحواه ان ماء المطر له بركته على الناس وخير كثير ومحور القصة يدور حول اصدقاء يجلسون في غرفة ويتحدثون معاً ويحلمون بنزول اميرة من السماء ، وحين يسقط المطر مصحوباً بسقوط الحالوب يسارع احد الاصدقاء المجتمعين لجمع حباته ." قفز سعيد اشبه بطفل ، آه سقط الحالوب ... وحتماً ستهبط الاميرة ثم تناول طاسة واندفع إلى الساحة وراح يجمع الحبات البيضاء المتناثرة ،

–اجمع المزيد ...قال حسن الذي ما زال مستلقياً وهو يلوك عقب السيجارة في فمه ... في قريتنا نستعمل ماء الحالوب لمعالجة الرمد "[2] ويعتقد معظم الناس ان ماء المطر يحمل خيراً كثيراً فيلجأوا إلى وضع طاسة صغيرة تحته لاسيما خلال شهر نيسان ليشربوا هذا الماء فتتحقق امنياتهم ، وهكذا انساق الناس إلى هذا الاعتقاد منذ القدم لأن ماء المطر كان عنصراً من عناصر الطبيعة الخيرة التي تسقي الارض والزرع ، ان الانسان أوجد هذه المعتقدات كي يحقق لنفسه الاحساس بالامان والاستقرار ..

وتحاول بطلة قصة (الصرخة) للقاصة (مي مظفر) التحرر من المعتقدات السائدة اذ تحتمي بحبيبها الذي يشعرها بالامان ويبعد عنها الخوف منها "دخلنا بيتاً طينياً في زقاق ضيق ومعتم ، دفع بيده الباب الخشبي درجتان واصبحنا فوق ارض من الطابوق الاصفر اغلق وراءه الباب التفت نحوي ولهاثنا يجرح السكون.

---

[1] ذاكرة المدينة ، ١٦٤ .

[2] حكايات من رحلة السندباد الثامنة ، غازي العبادي ، منشورات دار الكلمة ، مطبعة الاداب، النجف ، ١٩٦٩ ، ص١٠٣

–هذا البيت مسكون بالجن ٠٠٠ هل تؤمنين بالجن ؟ "[١]. وترصد القاصة خوف بطلة قصتها حين يحدثها حبيبها عن اعتقاده بالجن ويقول : "كنت ارتاده طفلاً مع قريبة لي تسكن هنا كانت تعشق هذه الدار فخورة جداً باختيارها تدفع ايجاراً شهرياً لا يزيد على الدينارين احياناً لا تدفع ولا يجرؤ احد ان يطالبها فالبيت لا ترضى ان تسكنه عائلة لما قيل عنه من وجود ارواح شريرة داخله كانت تحدثني عنهم وتدعوهم " بالصالحين " تعتقد انهم من يحرس وحدتها وكانت تقول ان في البيت افعى تزاملها تظهر لها كل ليلة تنتصب امامها وترقص لها "[٢]. وترصد القاصة المعتقد السائد بأن البخور رائحة الجنة وتحرر بطلة قصتها من احساسها بالخوف من معتقدات الجن والارواح الشريرة بعلاقتها بمن تحب واحساسها بالامان معه " هل انت خائفة ؟ هل صدقت حديث الجن ؟

–التصقت به – شعرت ان في الجو رائحة غريبة تشبه رائحة الكنائس .

–لكأنني اشم بخوراً

– رائحة البخور علامة الجنة

–كفى استخفافاً بي – لست خائفة من شيء انني كالمسحورة معك احس بأمان اينما اكون "[٣].

ورصدت القاصة (ديزي الامير) في قصة (الخطوة التالية) لجوء بطلة قصتها إلى السحر وقراءة الطالع على الرغم من تمتعها بالجمال والمكانة الاجتماعية المرموقة . فراوية القصة تتحدث عن بطلة القصة عالية التي تنتخب ملكة الجمال ، والثقافة ، والظرف ، والحنان ، والتواضع ، وعلى الرغم من تمتعها بكل تلك الصفات لا تتوانى عن اللجوء إلى السحر فتتحدث الراوية عن احد الاصدقاء . "جاءني يوماً قائلاً والقلق يعلو وجه ، وطلب ان يحادثني على انفراد ، لقد سمع من مصدر موثوق

---

[١] البجع ، مي مظفر ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، سلسلة القصة والمسرحية (٩١) ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٩، ص ٦٢ .

[٢] البجع ، ٦٣ .

[٣] نفسه ، ٦٣ .

بـه ان عاليـة استشـارت بصـارة المدينـة "[١]. ان لجـوء بطلـة القصـة إلـى السـحر والاستعانة بالبصارة محاولة منها للتقرب إلى من تحب الامر الذي يصدم اصدقاءها : " لم يبق امامنا إلا ان نذهب إلى البصارة نتوسل اليها ان تخبرنا اليقين ، لنساعدها ، نسـاعد عاليتنـا ونوقـف فضـولنا القتـال ، تمنعـت البصـارة فأسـرار المهنـة لا يمكـن افشاؤها ورأينا في عينيها رغبتين قويتين تتصارعان فهي تريد الكتمان بكل قوة وتريد البوح بكل قوة ايضاً .تغلب اخيراً طبع المدينـة الاصـلي علـى الواجـب فباحـت لنـا بالحقائق وتطلعنا إلى بعضنا في غباء ما معنى ان تستعين عالية بالسحر ليجعلها قادرة على الحب"[٢]. ان ثقافة بطلة القصة ومكانتها الاجتماعية وجمالها لم تمنعها من اللجوء إلى السحر والانسياق له والاعتقاد به .

وتناولت كثير من القصص العراقية معتقدات العامة منها قصة (ريح الجنوب) للقـاص عبـد الملـك نـوري التـي شخصـت الاعتقـاد بالكرامـات[٣]، وقصـة (جنيـة ام حنتوش) التـي رصـدت الاعتقـاد بالحسـد الـذي يجلـب الـبلاء للقـاص (كـاظم جاسـم مصطفى)[٤]. ورصد القاص (محمد خضير) المعتقدات في قصصه (الشفيع، المئذنة وغيرها)[٥].

وتمسك القاص (خضير عبد الامير) بالموروث الشعبي فجعل منـهمنبعاً ثراً متحـدثاً مـن خـلالهـا عـن المعتقـدات التـي تـدور فـي اذهـان النـاس ، وتعـد جـزءاً مـن وجودهم الحقيقي والملموس في قصة (الانشودة الاخيرة لهوميروس)[٦] وتناول القاص (ذو النون ايوب) خطورة الانسياق إلى المعتقدات الجامدة وعدم الغائها من التفكير والسلوك فتؤدي إلى التأخر والتخلف والهلاك في قصة (غريب في القطيع)[٧].

---

[١] ادباء العراق المعاصرون ، ج١ ، ٥٩ .

[٢] ادباء العراق المعاصرون ، ج١ ، ٥٩ .

[٣] ينظـر : الادب القصصـي فـي العـراق ، ج٢ ، ٢٢٩ . وينظـر : فـي الريـادة الفنيـة للقصـص العراقي ، ٣٨ و ٣٩ . وينظر القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٣٣٦ .

[٤] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٢٥٥ .

[٥] ينظر : نفسه ، ٤٨١ .

[٦] ينظر : رحلة مع القصة العراقية ، ١٣١ .

[٧] ينظر : الادب القصصي في العراق ، ج١ ، ٢١٢ .

واشـار القـاص (امجـد توفيـق) إلـى الاعتقـاد بالسـحر فـي قصـة (مملكـة الوعول)[١]. واعتقاد بطلة قصة (علي خيون) بالادعية طلباً للشفاء من مرضها في (وجه لوحته الشمس)[٢]. وغيرها كثير من القصص العراقية القصيرة التي لا مجال للبحث فيها في هذا المبحث المتواضع .

ومما تقدم يتضح ان موقف القاص العراقي من قضية المعتقدات كان يتحرك في حدود رفضها او السخرية منها او الاحتجاج عليها او النظر بحياد لها او يضمن قصته دعوة صريحة ومباشرة لازالة تلك المعتقدات السلبية ومحاولة ترسيخ معتقدات ايجابية بناءة تتماشى والتطور الحضاري والفكري الحاصل وقد شغلته هموم المجتمع ومعتقداته ،وسعى جاداً إلى طرح رؤاه وافكاره حول تلك المعتقدات التي تتجلى واضحة في قصص القاص (جعفر الخليلي) التي يعيب عليها بعض النقاد سوء الفن القصصي فيها ، ولكن الباحثة تجد في هذه القصص شعبية الانسان العراقي وواقعه فكان القاص العراقي عميق الصلة بالواقعملتصقاً بهموم الناس وقريباً من افكاره .

وان قضية المعتقدات رصدت في قصصه في محاولة منه إلى التحرر منها ولاسيما التي تقوم على الجهل والتخلف وسوء الفهم من خلال مواقف شخوصه وانه كان جاداً ومخلصاً في هذا التناول وقد تمكن منه خير تمكن ، ويظل الطموح كبيراً ان يسعى القاص العراقي إلى طرح انموذج مميز بتفتحه الذهني يسعى إلى انارة العقول وازالة حجب الظلام فيجعل منه صوتاً رافضاً للجهل والتخلف فتكون القصة اشبه بصراخ عال يعلن احتجاجه ورفضه للمعتقدات الجامدة ، فتحرير الانسان لنفسه يقتضي ان لايظل مستعبداً للموضوعات التي خلقها ، وان يظل قادراً على خلق اداب جديدة مصدرها الهام الروح التي تعبر عن نفسها بالنوازع الخلاقة وبواعث الحب والعطف "[٣]

---

[١] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٥١١ .

[٢] ينظر : رحلة الليل الاخيرة ، علي خيون ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، دار الحرية للطباعة ، ص١٦٨ .

[٣] ينظر : العزلة والمجتمع ، ص٩ .

الفصل الثالث
التحرر الاجتماعي

المبحـــــث الأول : العلاقـــــات الاجتماعية .

المبحث الثاني : القيم الاجتماعية .

المبحث الثالث : التقاليد والعادات الاجتماعية.

المبحث الاول
العلاقات الاجتماعية

حظيت العلاقات الاجتماعية والانسانية باهتمام الادباء عامة وكتاب القصة بصورة خاصة ، فظهرت في النتاج الادبي والقصصي ، ولم يكن الاهتمام بها عفوياً او فطرياًبقدر ما كان اهتماماً نابعاً من فهم ووعي لاهمية العلاقات في حياة الانسان وقدرتها على تغيير مسار حياته ومصيره باتجاه ايجابي أو سلبي من خلال مدى انسجامه وتكيفه مع تلك العلاقات او عدم قدرته على ذلك . " بدأ الادباء يفكرون متأثرين بالعلم الحديث وبالتطور الاجتماعي فرأوا ضرورة الخروج من العزلة الفردية ، وعالجوا الوجود الانساني من وجهة نظر الحضارة الحديثة الواعية ، ووجهوا اكثر اهتمامهم إلى العلاقات الاجتماعية ، وتحليل النوازع الانسانية والبحث فيما يوفر السعادة للانسان ويؤمن مستقبله "[١]فالأدب هو الذي يعكس العلاقات الاجتماعية والانتاجية لهذا او ذاك[٢] . وتكمن نزعة التحرر في ذات الانسان ، والمعيار الوجودي للوجود مع الاخرين ، ان يكون هذا الوجود اصيلاً بمعنى ان يؤكد الانسان وجوده بالحرية والمسؤولية ، فالعلاقة التي تؤدي إلى ضياع الجانب الشخصي الانساني فاشلة نوعاً ما ، ويكون الوجود فيها زائفاً ، وعليه يجب ان يتحرر الانسان ويكسر طوق الوجود المشوه مع الاخرين ويحطم علاقة الاضطهاد والاستغلال ، بالمقابل يشعر بالاستقلال والكرامة[٣] . ان مثل هذه العلاقات تنعكس في العمل القصصي ، لأن للأديب علاقات ترتبط بالأحداث والشخصيات والعصر والمجتمع وابناء جيله ، وتؤثر تلك العلاقات في تحديد اتجاهات وميول القاص اذ لا يمكنه ان يعيش منعزلاً وان يبدع من دون مؤثرات العلاقات التي تعد ضرورة لتوافر

---

[١] الواقعية في الادب ، ٧ .

[٢] ينظر : في النقد الادبي ، ١٢٢ .

[٣] ينظر : مجلة العربي ، ص٥١.

الصدق الفني والموضوعي[١] . فالوعي بمجمل العلاقات من الامور الجوهرية التي لا يمكن فصلها عن تجربة الكاتب الابداعية[٢]. "ان القصة القصيرة عندما تطرح عالمها فانها تريد تأكيد عالم الفرد المتوحد بقدر ما تريد تأكيد عالم الجماعة التي تعيش واقعاً معيناً تبحث فيه من خلال رؤيتها المكثفة نحوه عن عالم الخلاص الحق "[٣]. فكأن القصة تسعى إلى تأسيس عالم من العلاقات الاجتماعية التي تنبض بروح المشاركة والداعية إلى بناء عالم جديد بعيد عن الحيوانية والهمجية لتمنح الانسان ومن ثم قيمته الخاصة ، وحضوره الفعلي والفاعل في المجتمع من خلال العلاقات ، فالتأسيس لعلاقات اجتماعية ايجابية وبناءة يعد من ضرورات العمل الابداعي . وان دراسة التطورات الفنية في القصة تقود إلى معرفة اشكال العلاقات الحضارية السياسية والاجتماعية والسايكولوجية لكل مرحلة قصصية ، وتؤدي بالنتيجة إلى فهم وادراك تأثير هذه العلاقات في تطور الوعي القصصي فضلاً عن فهم تأثير العالم العربي والاوربي في واقع القصة[٤] . وتشكل العلاقات المباشرة البناء الاساس للقصة ، فتتاول علاقات اشخاص القصة بعضهم ببعض كالقرابة والنسب والمصاهرة في الروابط الشخصية او الروابط العاطفية كالحب والبغض ، وما ينشأ عن الافعال او السلوك المفيد ، كأفعال المروءة والشهامة او الكرم والمساعدة او الحماية او السلوك الضار كالسب والذم والايذاء والضرب والسرقة ، والاعتداء على النفس او المال والخيانة والغش او أي سلوك ينافي الخلق القويم او القانون او العرف او التقاليد او العادات السائدة[٥] .

لقد ارتبطت دراسة العلاقات الاجتماعية بدعوة بعض الكتاب العرب المتأثرين بالفكر الاوربي ، وشملت الدعوة دراسة علاقة الفرد بالمجتمع ، وتفسير السلوك

---

[١] ينظر : صور دراسات في ادب القصة ، ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ .

[٢] ينظر : قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ١٣ .

[٣] ينظر : عبد الرحمن الربيعي ، بين الرواية والقصة القصيرة ، ٤٨ .

[٤] ينظر : قصاصون من العراق ، ٦ .

[٥] ينظر : صور ودراسات في ادب القصة ، ٣٧ و ٣٨ .

البشري تفسيراً علمياً يخضع للتطور ، ويتأثر بمناهج المفكرين الغربيين[١]. وعالج قاسم امين مشكلة تحرير المرأة ، وربطها بالضرورات الاجتماعية في عصره وعد ارتفاع مستوى المرأة دليل تقدم المجتمع ، ورأى ان عبوديتها تتنافى مع طبيعته ، فالمرأة التي تمثل نصف المجتمع كانت ترزح في ظل عبودية قائمة على الاستغلال والظلم ، فضلاً عن ذلك فان دعوته قادت إلى احترام حقوق الانسان في الحرية والمساواة والاخاء ، وانتشار فكرة الديمقراطية[٢]. فأسهمت على المدى البعيد وبحكم توافر عامل الاستجابة لها في الحياة اجتماعية والثقافية إلى الالتفات إلى العلاقات الاجتماعية والنظر اليها برؤية جديدة تدعو إلى تغييرها.

وتناول التصوير القصصي في الواقعية علاقات او احداثاً بعضها مادي قد تكفي فيه الملاحظة المجردة ، وبعضها معنوي يصورها القاص للقارئ مبيناً فيها الدوافع والبواعث والعواطف النفسية والرواسب المكبوتة والتي تكمن وراء العلاقات او الاحداث ، ومن ثم فان القاص يأخذ من المجتمع ، ويعطيه في نطاق ما تستوعبه عمليتا الاخذ والعطاء ، فيعكس مشاكل المجتمع والاديب معاً "[٣]. فالادب نتاج اجتماعي ، والاديب نفسه وليد البيئة التي نشأ فيها وترعرع وان ابداع الاديب مستمد من واقع المجتمع الذي نشأ فيه[٤] .

ان العلاقة بين الشخصية الاجتماعية لا يمكن ان تكون ساكنة ابداً لأن طرفي هذه العلاقة صيرورتان دائمتا التغير . وأي تغير يطرأ على احد طرفي العلاقة يعني تغيرا فيهما ، ويعتقد كثير من الثوريين السياسيين ضرورة تغيير المجتمع كي يتم تغيير عقلية الفرد ومن جانب اخر يذهب اخرون إلى انه يجب احداث التغيير في طبائع البشر ووعيهم وقيمهم وشخصيتهم ، وبعدئذ يتم بناء مجتمع انساني حقيقي والطرفان على خطأ ، والصحيح تكون عملية التغيير ممسكة بطرفي العلاقة ،

---

[١] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٢٣ .

[٢] ينظر : نفسه ، ٢٣ و ٢٤ .

[٣] ينظر : صور ودراسات في ادب القصة ، ١٠٤ .

[٤] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٦٤ .

المجتمع والفرد معاً [١]. ونجد في الادب الرومانتيكي نمطاً من علاقات مريضة فيها كثير من الخلل الذي يسوده الحقد والانتقام والرذيلة والالم والشقاء والشذوذ ، ولا نجد علاقة ايجابية فاعلة مضيئة من الممكن ان تنقذ الشخصية من دمارها الاجتماعي فالعلاقات متشابكة ومزدحمة ومضطربة تنزع في تحررها نزوعاً تحررياً سلبياً قد يكونهداماً او فوضوياً أو هروبياً وعلى سبيل المثال نجد الزوج يقتل زوجته وصديقه انتقاماُ لشرفه في قصص (مهدي السامرائي) (نهاية قصة) ويتزوج الشاب ابنة عمه ويترك من يحب في قصة (دموع المآسي) لعباس الجابري ، ويقتل الأب الريفي ابنته لأنه رآها تكلم شاباً حضرياً تبادله الحب في قصة (ثورة في الريف) لمحمود محمد الحبيب ، ويعيش العاشق ذكرياته وهو حاقد على مجتمعه كاره له ، وتدس زوجة السم لابن زوجها حقداً عليه لأنها محرومة من الابناء ، ويموت الاب حزناً وكمداً في قصة (نبؤة تحققت) لمحمد بسيم الذويب ويغازل معاون المدير في مدرسة للفتيات طالباته في الوقت الذي يمنع فتيان المدرسة من معاكستهن في قصة (معاون المدير) لكارنيك جورج[٢] .

وشخص القاص العراقي في قصصه العلاقة الاجتماعية بين الاب والابن متناولاً اياها من مختلف الجوانب فهي في قصة تقوم على الفهم والرعاية والعطاء، وفي قصة اخرى تكون العلاقة على النقيض ، إذ يسودها التوتر والخلاف وسوء الفهم والاستغلال ومن المعروف ان سيطرة الرجل في النظام الابوي دامت نحو ستة او سبعة الاف سنة ولا تزال سائدة في المجتمعات الفقيرة غير ان هذه السيطرة تتناقض تناقضاً وئيداً في المجتمعات الاكثر رخاًوان تحرير النساء والاطفال والمراهقين يكون بقدر ما يرتفع مستوى الحياة في المجتمع[٣] .

ووقف القاص (ذو النون ايوب) عند معالجة قضايا اجتماعية وسياسية يومية بجرأة نادرة ويعد من الكتاب المميزين بالكتابة عن العلاقات الطبقية في الريف

---

[١] ينظر : الانسان بين الجوهر والمظهر ، اريك فروم ، ترجمة سعد زهران ، سلسلة عالم المعرفة (١٤٠) ، الكويت ، اب ، ١٩٨٩ ، ٧٢ .

[٢] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٦٩ .

[٣] ينظر : الانسان بين الجوهر والمظهر ، ٧٣ .

العراقي وتمكن من معالجة نماذجه القصصية بروح الباحث الاجتماعي عن اسباب التخلف[١] . فرصد القاص في مجموعة (قلوب ظمآى) تطلع ابطاله إلى علاقات اجتماعية حميمية يجدون فيها الدفء والحنان والفهم[٢] .فالشخوص تسعى إلى تأكيد ذاتها ووجودها وإلى معانقة الحياة من خلال محاولاتها الجادة لتأسيس علاقات اجتماعية تتطلع فيها إلى الحب والكلمة الطيبة والاحساس بجدوى الحياة ، وتطورت رؤية القاص إلى العلاقات الاجتماعية في مجموعته الثالثة عشرة (قصص من فينا) [٣]. ونزع القاص إلى محاولة التحرر من علاقات اجتماعية مستبدة ولاسيما علاقات الاستغلال الاقطاعي الغاشم الذي يحكم العلاقات الطبقية للمجتمع الفلاحي ابان حكم الاقطاعيين وهو واقع جائر لاراد لحكمه اذا انزل بأحد المستضعفين او العبيد ، فوجد القاص في قصص الرؤيا غايته الكبرى والبديل الذي يحقق له التوازن مادام عاجزاً عن تغيير أحواله ، فكانت العزاء له والوسيلة للتحرر من العلاقات المريضة القائمة على الظلم والاستغلال ، ورصدت قصة (طيور السماء) للقاص فهد الاسدي هذه الظاهرة[٤]. ورصد القاص (مهدي عيسى الصقر) العلاقات الاجتماعية في الريف بعد قيام الثورة في قصة (المضخة) التي صور فيها طبيعة العلاقات الجديدة التي بدأت تنشأ في الريف في نزوع الفلاحين إلى التحرر من الشيخ والبدء بالحراثة والزراعة وتعاون عامل المضخة مع الفلاحين في الخلاص من عبودية الشيخ[٥] . وحاول القاص رسم علاقات متماسكة ومتآزرة لها ثوريتها وتطلعها إلى الحياة وتمسكها بحقوقها وتصميمها على الثبات. وتناول ايضاً العلاقات الاسرية اذا اشترك القاص (موفق خضر) والقاص (خضير عبد الامير) في الاهتمام بعلاقات الطفولة والاسرة إلى جانب القاص (عبد الرحمن الربيعي)[٦] ، ورصد القاص (محمد كامل

---

[١] ينظر : قصاصون من العراق ، ١٠ .

[٢] ينظر : الادب القصصي في العراق ، ج١ ، ٢٣٢ و ٢٣٣ .

[٣] ينظر : نفسه ، ج١ ، ٢٦١ .

[٤] ينظر : بنية الرؤيا ووظيفتها في القصة العراقية ، ٤٢ .

[٥] ينظر : الادب القصصي في العراق ، ج١ ، ٧٦ و ٧٧ .

[٦] ينظر : الادب القصصي في العراق ، ج١ ، ١٠٢ .

عارف) في قصته (بنت الافغاني) العلاقات الاسرية وعالم الاطفال ورؤاهم واحلامهم العذبة التي يحطمها جبروت الكبار وتعنتهم وعدم حرصهم على فهم عوالمهم[١] . وشخص القاص العلاقات الاجتماعية والانسانية بين العمال وافراد الطبقة العاملة ، وكشف معاناة العامل من ظروف العمل وسطوة استغلال رب العمل وتأثير البطالة عليه وعلى علاقاته بالآخرين والمجتمع[٢]. ان العلاقات الاجتماعية بين افراد الطبقة العاملة سلكت دروباً مختلفة لا يمكن حصرها في مبحث واحد ، اذ رصدت علاقات قائمة على الاستغلال والفوارق الطبقية والجشع والاضطاد والقمع والظلم ، وعلاقات ايجابية عمقت روح التضامن الانساني ووحدة الموقف والكلمة والتعاطف الجماعي والتوجه إلى العمل . وتناول القاص العراقي العلاقات الاجتماعية في تطلعاتها إلى النقاء والحب والرد على الاحباط السائد كما في قصة (المراجعات) للقاص (سعد البزاز)التي يعيش فيها بطل القصة ليلة رأس السنة وحيداً مفكراً في حبيبته وفي احداث العالم ايام ايلول الاسود وفي النهاية يخرج إلى الشارع مع حبيبته مغتسلين بالمطر رمز النقاء[٣] . ورصد القاص العراقي علاقات اجتماعية وانسانية خاضعة للتذبذب والاهتزاز والطيش والاندفاع واللامبالاة والانانية كما في قصة غازي العبادي (سياحة في غابة البتولا) اذ يدين القاص بشكل ضمني محاولة بطل القصة للتحرر من علاقته بصديقته القديمة وسعيه لاقامة علاقة جديدة مع فتاة اخرى[٤] .

وشخصت قصة (كاتب واردة) للقاص (ادمون صبري) علاقات اجتماعية قائمة على الاستغلال والسخرية والاهانة ومشحونة بالخداع والرياء وغيرها من الامراض الاجتماعية التي تدل دلالة واضحة على تخلف المجتمع . فبطل القصة موظف حكومي مهزوز الشخصية عرضة للتهكم والسخرية من زملائه الذين يرصدون اخطاءه ويتندرون عليه ثم يستغل من امرأة تسلبه ماله الامر الذي يدفعه إلى اهمال عمله فيعاقب ادارياً فينهار اثر ذلك " هذه خطيبتي ، أي قدر تعس هذا

---

[١] ينظر : نفسه ، ج١ ، ١٠٢ .

[٢] ينظر : نفسه ، ج١ ، ٧٨ .

[٣] ينظر : رحلة مع القصة العراقية ، ١٨٦ .

[٤] ينظر : حكايات من رحلة السندباد الثامنة ، ٨٢ .

تسرقني ولا تكترث لشؤوني "[١]. وتنتهي القصة بانهيار السيد عزت الذي كان اسير علاقات اجتماعية مريضة لها طغيانها واستبدادها فكانت مؤشراً على الخلل الكبير الذي ينخر في المجتمع .

وفي قصة (في خضم المصائب) للقاص (أدمون صبري) يتطلع بطل القصة إلى علاقة انسانية دافئة تقوم على العطاء والتضحية وسمو الاخلاق يدفعه إلى ذلك احساسه بفقدان من احب وحرمانه وكأنه يسعى من خلال علاقته تعويض من فقدهم ، في القصة امرأة يموت ولدها الوحيد في حادث سيارة وتطلب مساعدته للعثور على محامي . " شعر ان نافذة مغلقة قد تفتحت في نفسه هي نافذة الانسانية ، فان تفتحت ذات يوم في نفس المرء فانه سيضحي بالكثير من اجل الناس الذين يرأف بهم "[٢]. ان التعاطف الذي يشعر به وسيط المحامين مع المرأة يدفعه إلى سلوك نبيل بشراء الدواء لها والتضحية من اجلها ، ومحاولة مشاركتها حزنها وانه ينساق إلى ذلك بدافع احساسه بالوحدة ومعاناته من قسوة الموت وفقدان من احب فكأنه يجد في عطائه نوعاً من التعويض لما فقده .

وفي قصة (زواج مصلحة) ، للقاص (ادمون صبري) ايضاً رصد القاص علاقات اجتماعية تستند إلى دعم المركز الشخصي والاجتماعي والنفوذ في المجتمع اذ نجد الحاكم الذي يمارس مهنته بكثير من الدأب والنشاط ولكنه في الوقت نفسه يعاني السأم والملل لأنه يعيش وحيداً منعزلاً باستثناء لقائه بأصدقائه في الاجازات وكي يتخلص من وحدته يخبر صديقه برغبته في الزواج من امرأة تعزز منصبه ومكانته في المجتمع . ان الحاكم يحاول ان يؤسس لقيام علاقة اجتماعية ويتطلع إلى الزواج دفعاً للسأم ورغبة في تعزيز منصبه ومن المؤكد ان مثل هذه العلاقة نجاحها ضعيف ، وتكون فاشلة على الصعيد الانساني ، وان بطل القصة يتطلع إلى تأسيس هذه العلاقة بدافع تعزيز المنصب الامر الذي يدل على انه يحترم منصبه اكثر مما يحترم نفسه ووجوده وعواطفه[٣] .

---

[١] أدمون صبري ، ٩٢ .

[٢] نفسه ، ١٠١ .

[٣] ينظر : أدمون صبري ، ٢٤١ .

وفي قصة (نزهة) للقاص (عبد الملك نوري) يدين القاص العلاقة بين الاب والابن التي يسودها طغيان الاب وتسلطه وانانيته اذ تروي القصة حكاية طفل صغير يذهب في نزهة مع ابيه وتراوده احلام جميلة تتحول إلى كوابيس مرعبة بسبب توتر والده الذي يقتاده إلى سباق الخيل ثم ينشغل عنه ويتركه وحيداً بين الجموع ويرعبه صياح الناس فيتذكر ضرب والده له في المقهى مرة امام الناس ثم تصدمه قصة قسوة والده عند عودته حين يطلب منه الرجوع فيصاب باحباط شديد لرفضه طلبه " لقد امسك بيد بابا ... ولكن بابا نفض يده بعنف ولم يعره أي اهتمام واحس هو بألم كان قد صفعه على وجهه ، وبقى مكتئباً طوال الوقت والخيل ركضت مراراً "[1].

وفي قصة (عمي عبرني) للقاص (غائب طعمة فرحان) تتطلع فتاة عمياء إلى علاقة اجتماعية تشعرها بالدفء والحنان وتعوضها عن قسوة الحياة وحرمانها وبؤسها . تتحدث القصة عن فتاة يتخلى عنها اخوها فتطلب مساعدة الاخرين وتحظى بها من رجل يعبر الشارع مع صديقه " دفأت كفها ، وتجرأت على ان تضغط قليلاً على الكف الغريبة مستشعرة حناناً وأمناً "[2]. تنساق الفتاة إلى حلم عذب من احلام اليقظة تغرسه تلك اللمسة الدافئة من يد الرجل الذي يساعدها على العبور تحقق وجود اشياء أمور ربما ينعدم وجودها في ارض الواقع ولكن في الخيال وعندما تفتح ابواب الطموح والامل والرغبة كل شيء جائز وممكن وموجود ، ان الانسياق لأحلام اليقظة يزيل احياناً بعض مرارة الواقع وقسوته والانسان بحاجة لأن يتأمل ويحلم ويخلق من عالم احلامه عالم يفتقده على ان لا يغرق فيه فيضيع عن واقعه ويفقد توازنه النفسي والفكري ، وفي حلم الفتاة العمياء مع الرجل تعويض عن حنان وامن تفتقدهما في واقعها . ان الاحساس المفاجئ بالحب ايقظ وعي الفتاة واشعرها بمدى بؤسها ومرارة واقعها وحجم المعاناة التي تعانيها وعلى الرغم من ان الاحساس اشعرها بالتعاسة فانه في الوقت نفسه كان له عذوبته ، وفي نفس الفتاة تطلع إلى علاقة انسانية دافئة وحميمية تعوض عن حرمان مقيت عانت منه الفتاة ونزوع للخلاص من مرارة واقع بائس من خلال الحلم بهذه

---

[1] ذيول الخريف ، ٥١ .

[2] في القصص العراقي المعاصر ، ١٠٢ .

العلاقة ، ومن الممكن ان تكون الاحلام الجميلة زاد الانسان في حياة كالحة مليئة بالقسوة .

وفي قصة (همس مبهم) للقاص (فؤاد التكرلي) ، ادانة ورفض لعلاقات اجتماعية مريضة يشوبها العنف وسوء الفهم وعدم الاحترام السائد بين الزوجين فتترك اثارها السيئة في الابن الذي يعيش في كنف والديه . فالأب والأم يعيشان علاقة محطمة ويسيران نحو الهاوية ويقضيان وقتهما بالشجار ويندفع كل منهما في السكر ولعب القمار والسهر فينعكس الامر على ولدهما الذي اخفق في دراسته. ان الطالب يترك نفسه فريسة للعلاقة الخائبة بين ابويه ويسمح لها ان تتحكم بحياته وتحطم مستقبله وتتركه يجتر آلامه ويردد باستمرار مفردات العذاب والحسرة والتأسي ورثاء النفس والانقياد للألم ، إذ يحدث نفسه تاركاً هامشاً على الكتاب الذي يدرس فيه " ستسير الحياة بي هكذا إلى اخر العمر ، انقباض نفسي ، افعال مملة وعدم انفساح الامل ، خيبة في العلاقات النسوية واخيراً الدروس "[١].

انه لم يحاول ان يجد نفسه وسط الفوضى وضجيج العلاقات العائلية الفاشلة، ولم يحاول البحث عن نقطة ضوء يسترشد بها ولبث واقفاً في مكانه تاركاً عواصف المشاكل تعصف به ولم يمنح نفسه فرصة البحث عن شيء جميل ينقذه مما هو فيه ربما لقلة خبرته بالحياة جعلته يستسلم بهذا القدر الكبير من الاستسلام.

ورصد القاص(شاكر خصباك) في قصة (حياة قاسية) انموذجاً لعلاقات اجتماعية تقع ضحية الاستغلال على الصعيد الاجتماعي والعاطفي والانساني ، اذ تتحدث القصة عن فتاة اسمها حليمة تتحمل الاعباء المنزلية منذ السنة الثالثة عشرة، وتربية اخيها الصغير الذي يكبر فيما بعد ليؤذيها ويضربها ويكرهها كذلك والأم التي تؤجج الكراهية ، والاب الذي يدمن الافيون ومن المؤكد ان القاص يدين العلاقات العائلية القائمة على الاضطهاد والعنف ولاسيما العلاقات التي تطال المرأة وتؤدي إلى ضياعها وانهيارها ، فالفتاة تسعى إلى التحرر من علاقتها العائلية غير السليمة ولكنها تسلك الطريق الخاطئ وتوقع نفسها في علاقة اسوأ[٢].

---

[١] الوجه الاخر ، ٣٣٥ .

[٢] ينظر : في القصص العراقي المعاصر ، ٦٣ .

وشخصت قصة "العمق" للقاص "محمود الظاهر" علاقة بين الأب والابن قائمة على الاضطهاد وسوء الفهم الامر الذي أدى إلى هروب الابن لأن الظلم والطغيان الذي يلاقيه الابن من أبيه دفعه إلى الحكم عليه بانه أب أناني ، متغطرس ومنافق كبير .

ان احساس الطفل بفقدان الحنان وكراهيته وحقده على أبيه يدفعانه إلى الهرب بعيداً عن جحيم أبيه وزوجته محاولاً للتحرر من سطوتهما ومن المؤكد تكون ردود فعله طائشة "طلبت من امرأة أبي اعطائي العشاء فرفضت وعنفتني وبعدها هجمت علي فجأة وأخذت تضربني ، طاش صوابي وأخذت يداي تضربان بقوة بطنها المنتفخة .

أخذت تصرخ : يمة ابني مات ، ارتعدت أوصالي وبعدها وجدت نفسي خارج القرية"[1] .

ان مثل هذه العلاقة التي تقوم على الظلم والقسوة تسير في طريق مظلم وسلبي من الممكن ان يؤدي إلى انحراف الطفل وضياعه وهربه .

يدين القاص في هذه القصة مثل هذه العلاقة اللاإنسانية القائمة على الاستبداد والغطرسة الأبوية .

ورصد القاص (شاكر خصباك) في قصة (الصديقان) أنانية أب وطغيانه وعلاقته المتوتر بعائلته من خلال ضربه زوجته وربط القاص شراسة الأب بالواقع الاقتصادي والفقر الذي يعاني منه الأب وكذلك شخص الفوارق الطبقية من خلال صداقة الطفلين في القصة ، فالطفل الغني يحمل الطعام لصديقه الفقير ويدهشه هجوم الأب عليه واستئثاره به ورفضه طلب الام بتركه :

"في غمضة عين مديده إلى الموقد ، والتقط منه حجارة قذفها في وجه أم حسين ، فانبثق الدم من جبهتها وتساقط على ثوبها الأسود وعلى صحن الرز"[2] .

ان القاص يدين الواقع الاقتصادي ويربط بينه وبين الواقع الاجتماعي ، فأنانية الأب وقسوته ناجمة من خلل كبير في المجتمع ، فلأب يترك العائلة دون

---

[1] نفسه ، ١٢٠

[2] في القصص العراقي المعاصر ، ٧١ .

اعالة ويلوذ بالفرار ويترك الصغير اللعب مع أقرانه محاولاً العمل وتوفير الغذاء لنفسه ولوالدته .

ان العلاقات العائلية والاجتماعية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالواقع الاقتصادي والاجتماعي ، فكلما تقدم الواقع الاقتصادي تطور معه الاجتماعي وسارت العلاقات باتجاه المرونة والتعامل الانساني الايجابي والفاعل ، ويؤكد القاص الفكرة في نهاية القصة إذ يعود الأب إلى البيت بعد ان يجد عملاً وتسير الأمور في مجراها الطبيعي .

وفي قصة (نهاية غير ممتعة لرجل يبحث عن بداية) للقاص (لطيف ناصر حسين) رصد لعلاقة ابوية متوترة تظل قائمة على مدار الزمن وتتحكم بحياة بطل القصة الذي لا يذكر من أبيه سوى الغضب والقسوة والسكر وخوف والدته منه واحساسها بالذلة وبكائها المستمر . وشكوكه وارتيابه به حول زيارة النسوة له بعد وفاة والدته .

وعلى ما يبدو ان العلاقة السيئة مع والده تؤدي به إلى حياة اسوأ تبدأ بمحاولة إحدى زائرات أبيه بالتقرب منه والتحرش به حين تتبعه إلى غرفته وتعبث بشعر رأسه وتضغط بصدرها على كتفه :

كنت أقف أمامها عارياً تماماً ، حين تناهت إلي حركة خفيفة عند باب الحجرة كان والدي يقف جاحظ العينين يرتسم فوق وجهه تعبير قاس يختلط فيه الغضب والألم والحزن ، وقد شعرت آنذاك انني أرتعش اسقط ، أتلاشى"[1] .

ان العلاقة الخاطئة بدأت مع الأب وانتقلت إلى الابن الذي يكبر فيما بعد يستسلم لعلاقة حب تسحق كرامته وتتركه فريسة الذل والاحباط ن فالزائر الذي يزور زوجته ويغدق عليها الابتسامات والنقود وهو يقف أمامه صامتا مستلب الإرادة خاضعاً لمشيئة الزائر ورغبته انه يعيش عبودية علاقات آثمة مع صديقة والده وزوجته التي تخونه ويسكت على خيانتها وعلاقة مع ابيه قائمة على الرفض

---

[1] وجوه معتمة فوق زجاج صقيل ، لطيف ناصر حسين ، منشورات وزارة الاعلام ، سلسلة كتابات جديدة (٢٤) ، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٧ ، ص١١ .

والاستنكار وعلى الرغم من ذلك يستسلم خاضعاً مطيعاً وبخنوع كبير دون ان يبد رأيا أو يتخذ موقفا يصحح مسار علاقاته وحياته .

وفي قصة (تداعيات جار الله) يرصد القاص (لطيف ناصر) خضوع بطل القصة لعلاقة اجتماعية تربطه بزوجته وابنه وانسحاقه وعدم قدرته على تجاوز الالم والحزن والاحساس بالخيبة ومرارة الخسارة وفقدانه لهما .

وتبدأ القصة بمراقبة الشخصية فيها (جار الله) لصبية امامه فيطلق حسرة مع نفسه ويقول : "آه لو بقي حسن على قيد الحياة لكان الآن بعمر قاسم أو أكبر قليلاً "[1] . لقد فقد ولده ومن ثم زوجته لعدم قدرتها على الاحتمال : " احسست بأن صبرية لا محالة ستلحق بحسن ، فقد كانت الصدمة قاسية وشديدة ولا طاقة لها على الاحتمال ، واريتها الحفرة الثانية التي كنت قد حفرتها لنفسي ايضاً "[2]. وهو اذ يستسلم لعلاقة تربطه بالاموات فيها كثير من الألم والحزن حتى يجدوه ميتاً ذات يوم منكفئا على وجهه ، انه كان خاضعاً لتلك العلاقة وتمسك بجانبها السلبي دون ان يسعى إلى البحث عن كل ما هو دافئ وجميل من ذكريات مع زوجته وابنه ، ولم يتمكن في الوقت نفسه من القاء عبودية علاقة كان الموت حكماً فيها فسار في ظلها حتى النهاية .

في قصة (هناك تحت المطر الازرق) للقاص (احمد خلف) نزوع إلى علاقات اجتماعية وانسانية دافئة لها حميميتها التي تمنحها الخلود فلا تنطمر بمرور الايام ، على الرغم من الاحساس الذي تثيره القصة بوهج العلاقة فيها وتألقها في لقاء الحبيبين بعد فراق وذكرياتهما عن عالم الطفولة العذب والالفة والدفء في حديثهما مع بعضهما فانها تغرس في الوقت نفسه الحزن لفراقهما مرة اخرى وكأن القاص يخبرنا ان لا شيء يدوم في الحياة وليس للانسان إلا الذكريات الجميلة الدافئة . فبطل القصة يلتقي صديقته التي احبها وافترق عنها ذات يوم ، فتثير في ذهنه ذكريات الطفولة واحاديث الجد عن طفولة والدته وولادتها وعلاقة الجد بها وزواجها من ابيه وذكريات طفولته مع المرأة . " لاح لي انها تقفز الآن فوق هذه

---

[1] وجوه معتمة فوق زجاج صقيل ، ٦٣ .

[2] نفسه ، ٦٤ .

اللحظة نحو الخلف ، لتغدو طفلة او صبية في الرابعة عشرة من عمرها تجري وسط حقول شاسعة ، وكذلك اجري وراءها انها لا تكف عن الركض وسط الحقول الخضراء ، تركض وصوت ضحكتها العنيفة تمتزج مع المطر الغزير المتساقط "[١]. يشعرنا القاص ان العلاقة الصميمية تظل رابضة في الذهن والروح وان تفاصيلها الصغيرة والدقيقة لها خلودها وديمومتها في النفس على مدى الايام .

وترصد قصة (ورقة الاحتجاج العاشرة) للقاص (خضير عبد الامير) علاقات انسانية نبيلة من خلال ربط ذكي للقاص بين حزن فردي لبطل بسبب فقدان الابن وحزن جماعي من اجل قضية استشهاد الحسين (عليه السلام) واصحابه في كربلاء . اذ يتمكن بطل القصة من الخروج والخلاص من دائرة حزنه الشخصي ومن ثم مشاركة الاخرين في حزن انساني جماعي ويتحول حزنه بالنتيجة إلى أمل من خلال توحد همومه الشخصية مع الهموم الجماعية فيكون هذا التوحد فرح وتطلع للمستقبل وتجاوز الحزن المحبط[٢] . ومن هنا تتبع قيمة العلاقات الاجتماعية النبيلة في قدرتها على النهوض بانسانية الانسان إلى اعلى مستويات الاحساس والنبل والقيمة الانسانية ومشاركة الاخرين همومهم واحزانهم . " كانت رؤيا ولدك امامك لم تبرح وتذكرت الدموع الكثيرة التي سالت وارتفع نحيب رجل اخر بقربك ، رجل سحقته الايام وجردت منه حتى حيوية الاهاب ، ودق رجل كهل صدره بقبضة يده وقلت مع نفسك انه مثلي فقد ولده ومع ذلك سأدق انا على صدري "[٣].

ان صميمية العلاقة الروحية التي يعيشها الرجل واحساسه بهموم الاخرين واحزانهم تدفعه إلى استصغار حزنه وماساته " تكلمت مع نفسك هذه هي المأساة – اين منها ماساتي انا "[٤]. ان احساسه بالهم الجماعي يحرره من همه الفردي ويغسل احزانه ، فتتضاءل في نفسه مصيبته وفقده لولده ويجد في حزن الاخرين متنفساً له الامر الذي يخلق في نفسه الامل والتطلع إلى مستقبل جديد . " ايام عشرة مرت

---

[١] قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ٤١ .

[٢] ينظر : قصص عراقية معاصرة ، ٤٣ و ٤٤ .

[٣] نفسه ، ٩١ .

[٤] قصص عراقية معاصرة ، ٩٣ .

وانت تفتش عن مكامن السلوى وحينما رميت بورقتك الاخيرة كان الحزن العميق امامك ولكنك كنت اقوى من الحزن هذه المرة ، تستطيع ان تمسح فوق الجراح بأصابعك الالم ، ذلك ما بدأت تفكر به وكانت عشرة ايام نسيت فيها حتى نفسك ، قال لك البعض ماذا تفعل في هذه الايام .اجبتهم راضياً كنت ارمي ورقتي العاشرة ولقد نذرت الكثير من السكاير الاعلام وعندما سأعود في السنة التالية وانا احمل طفلي سأفي بنذري وضحكت "[1]. ان اجمل ما يحدث للانسان ان يجد نفسه في محبة الاخرين وعلاقته بهم ومحبتهم له التي تمكنه من تجاوز احزانه وآلامه .

ورصد القاص (موفق خضر) في قصة (الشاعر وقصيدة المساء) علاقات اجتماعية غامضة ومريضة فيها كثير من الاستهانة والسخرية بالانسان ويدين القاص فيها الشاعر الذي يستصغر موهبته ويحط من قيمة نفسه في علاقات اجتماعية مريضة ينساق لها فتحط من كرامته دون ان يفكر بالانسلاخ عنها او تجاوزها على الرغم من الاحباط الذي تسببه له ، فالشاعر يتطلع إلى الحصول على الثناء والاطراء من اب وابنته فيلقى منهما الضجر والملل فيتألم لذلك " عندما احتواه الشارع الفرعي النظيف الذي جاء منه وامسى بعيداً عن القصر الذي بدأت أضواؤه تخفت في عينيه جعل يبكي وحده ، ويجهش بالبكاء ويغرغر مثل الاطفال وفي اعماقه يئن انسان طيب"[2]. وكأن القاص يؤكد ان الطيبة في غير مكانها المناسب ولمن لا يستحقها تقود إلى البلاهة والسذاجة والاستغلال في العلاقات الاجتماعية .

وفي قصة (لعبة المدينة) للقاص (عبد الرحمن الربيعي) ادانة لعلاقات اجتماعية ظالمة ومستبدة تقوم على الاستهانة والسخرية من الانسان ، والقاص يضع بطل القصة منها موقف المتفرج . اذ يسيطر الحزن على بطل القصة عباس علي ، وحزنه نابع من احساسه بظلم اهل المدينة لانسان يضعونه في موضع السخرية فيلقب بلقب يمقته يثيرون به غضبه وسخطه فيطلق العنان للسانه بلغتهم بالضحك عليه والاستهزاء به فصار الامر لديهم لعبة يمارسها اهل المدينة ويستمتعون بها . ان اهل المدينة جميعهم يضحكون من الرجل الا عباس علي الذي يغمره الحزن

---

[1] نفسه ، ٩٣ .

[2] الانتظار والمطر ، ٦٩ .

واخيراً يصدر قرار من السلطات بترحيل الرجل من المدينة رغبة باعادة الهدوء اليها ، ولا يملك بطل القصة الا الحزن والصمت يواجه بهما مجتمعاً قاسياَ وظالماً يجعل من الانسان اضحوكة والعوبة ، وبطل القصة اذ يتعاطف مع الرجل ويعطف عليه ويرثي له فلا يشارك الاخرين ضحكهم فان موقفه لا يخلو من السلبية لانه يقف موقف الصامت المتفرج الذي يأكله الحزن فحين يصدر قرار الترحيل ويقتاد الشرطيان الرجل الذي لا يتوقف عن شتم الاخرين والناس من حوله يضحكون نجد ان بطل القصة يلوذ بالصمت وهو يعلن من خلال صمته عن تعاطفه الانساني مع الرجل ويظل الحزن ملازماً له حتى بعد ترحيل الرجل وخلو المدينة منه وعودة الهدوء إلى اجوائها : "ظل عباس علي في ظلامه ، يغوص في الوجوم والنفي وعندما حاول جعفر الناصري ان يعيده إلى واقعه طالعه تلألؤ الدمعتين في عينيه ، فتلاشى نعيم كل القهقهات التي غرد بها صدره قبل قليل "[1].

وفي قصة (احزان سعدون الصغيرة) للقاص (عبد الرحمن الربيعي) يختار بطل القصة الذي يحلم بالشهرة والمجد ويدفعه طموحه للهجرة إلى المدينة التي تحبطه وتكسر اماله فيرفض المدينة واناسها ويقرف من وجوده بينهم فيحاول الانسحاب منهم والعزوف عنهم ، ولكن القاص يدفعه للتطلع إلى التمسك بعلاقته بأولئك الناس الذين يحاول الابتعاد عنهم فلا يجد مسوغاً لعزوفه عنهم فيكبر احباطه وانكساره وخذلانه ويتطلع اليهم في المقهى " اخذ يتامل باعجاب افواههم التي تطلق كلمات الترحيب ، وايديهم التي تتحرك بلا تكلف او معاناة ، وانغماسهم الرائع في يم الصداقة والاحاديث الدافئة وكره وجوده المتردد بينهم فهتف من قلبه. "ليسقط المسرح والتمثيل ولتعش طيبة هذه الوجوه "وعاد وانضم اليهم مشاركاً من كل جوارحه ، عائداً إلى حديث طيبة اهله واصحابه[2] . ان عبد الرحمن الربيعي يؤسس لعلاقة اجتماعية تكبر على عوامل الانكسار والانهزام والاحباط وتتمسك بالاواصر الانسانية ملغية بذلك الانطواء والانعزال والتقوقع على الذات فكأنه ينشد من خلال ذلك مجتمعاً انسانياً متكاتفاً ومتآزراً على الرغم من كل عوامل الاخفاق.

---

[1] الظل في الرأس ، ٥٨ .

[2] ينظر : الربيعي بين الرواية والقصة القصيرة ، ٤٣ .

في قصة (الدائرة لا باب لها) للقاص (عبد الرحمن الربيعي) ، يقدم القاص نموذجاً انسانياً غريباً ونادراً يعلن عن انفصامه عن العالم الخارجي وعجزه عن التواصل مع الاخرين . فبطل القصة مثقف غريب الاطوار يبدو انه يمتلك تجارب عاطفية وشخصية ضخمة يحاول ان يحتفظ بها لنفسه كسر ويمنع الاخرين من محاولة اقتحام عالمه الخاص . وتنتهي القصة بهجرة البطل بعد ان سئم حياة المدينة الراكدة راحلاً إلى مكان مجهول[١] . تضج القصة بالعلاقات الانسانية في المقهى والشارع والبيت ومحور هذه العلاقات علاقة الراوي بالرجل الغريب وتأثره به اذ يصدم بقرار الغريب بالرحيل والراوي يتطلع إلى استمرار العلاقة بالمقابل يحاول الغريب الانسلاخ من جميع العلاقات الاجتماعية السائدة حوله اذ يقول " لقد ضجرت ، هذا كل ما في الامر ، اوامر ، عقوبات ، دوام مسائل مضجرة ، لا اطيق الصمود امامها دائماً ، لم تتغير صرخة اعماقي سواء كنت موظفاً في مصرف الرهون هنا ، او بائع حلويات متنقل عبر الطرقات والشوارع الطويلة في مدينة اخرى "[٢]. ان الغريب يهرب من مواجهة المجتمع ومن الناس ويعجز عن التكيف مع الاخرين وربما لا يتمكن من تحقيق ذلك في أي مكان يلجأ اليه ، ان التأسيس لعلاقات اجتماعية ناجحة سمة من سمات الانسان الايجابي ومن الضروري ان لا يسمح الانسان للضجر والسأم التحكم بحياته وعلاقاته ، بل هو الذي يتحكم بها ويسيرهما بالاتجاه الذي يريد .

وتخضع بطلة قصة (العجوزان) للقاص (عبد الاله عبد الرزاق) لعلاقة اجتماعية تقوم على الاستغلال والخديعة ، ويحاول فيها رجل غريب يسكن دار امرأة مسنة استغلال وحدتها وان يخلق لديها نوعاً من التطلع إلى حياة جديدة اوسع اذ يقول لها : "يظل شيء ينقصك لذة الاقدام ، نشوة الكشف والتحدي والخروج الى الدنيا ألديك منها شيء "[٣]. يفلح الرجل الغريب في اقناعها بالعمل معه وسرقة طفلة

---

[١] ينظر : قصص عراقية معاصرة ، ٤٨ .

[٢] نفسه ، ١٦١ و ١٦٢ .

[٣] السفر داخل الاشياء ، عبد الاله عبد الرزاق ، منشورات دار الكلمة ، مطبعة الغرى الحديثة ، النجف ، ط١ ، مايس ١٩٧١ ، ٨٥.

صغيرة فيكتشف الناس امرها وتتعرض للاهانة والضرب "كانت ام صابر منكفئة على الارض وقد سحبت عباءتها والدم ينبجس من شروخ وخدوش في وجهها ورقبتها ويديها واستطاع خليل او هكذا خيل اليه ان يرى شبح ابتسامة تنزلق بهدوء على وجهها "[١].

وفي قصة (التسول في غابات منسية) يشخص القاص (عبد الاله عبد الرزاق) ممارسات الاب الخاطئة بحق اولاده وعلاقته المتوترة معهم اذ يخضع بطل القصة للعلاقة التي يشوبها كثير من الغموض تتحدث القصة عن اخت مجنونة سجنها الاب بالاتفاق مع الام ومحاولات الاخ لرؤيتها طيلة عشرين عاماً . وحين يكبر الصبي ويمرض الاب فيحدثه عن اشياء قديمة يبدو انه نسيها يحدثه عن الغرفة العلوية حيث اخته مسجونة وعن امه التي اشتركت معه في اداء المهمة ، فيتخذ الشاب قراره بالتحرر من ارادة ابيه ويتطلع إلى الافراج عن اخته التي سجنها والداه ذات يوم حين قال له : " انها مجنونة ٠٠٠ والمجانين يجب ان يحتجزوا . وقالت امي بصوت واهن " لقد قاسينا منها الشيء الكثير ومن اجل مصلحتها ومصلحتنا حجزناها في الغرفة العلوية "[٢]. يقرر الشاب اخراج الفتاة بعد مرور عشرين سنة على سجنها ، والتحرر من سلطة ابيه وارادته بحثاً عن حياة جديدة لأخته " اتحرك بسرعة ارتقي السلم ، التفت وارى عينيه تنظران اليَّ بحزن وقهر ، ارتقي السلم اصل إلى غرفة اختي اعالج قفله ادفع الباب بقوة ، ينفتح اتراجع بسرعة ، تتقذف في وجهي روائح الماضي المشبعة بالعفن ، اهبط درجات السلم ، اسند رأسي إلى الجدار وعيناي على السلم ، اراها لأول مرة تخرج من الباب ، انظر إلى عيني ابي فأبصرها مغمضتين "[٣].

في قصة (الصورة) للقاص (غانم الدباغ) يدين القاص العلاقات الاجتماعية والاسرية التي تؤدي بالنتيجة إلى الضياع والانحراف ويكشف القاص من خلال ذلك عن موقف اخلاقي وفكري واضح . فبطل القصة طفل صغير يحلم بالحصول على

---

[١] نفسه ، ١٨٩ .

[٢] نفسه ، ١٣٨ .

[٣] السفر داخل الاشياء ، ١٤٨ .

صورته الفوتوغرافية ولكنه يصطدم بسلوك جاف ولا مبال من لدن الاب الذي يرفض تلبية رغباته . فتلتقي عوامل البؤس والحرمان واللاحنان جميعها لتترك الصغير يعيش في دوامة رهيبة من تزعزع القيم الاخلاقية والاسرية التي تدفعه في النهاية إلى السقوط الأخلاقي "[١]. تبدا القصة بصراخ الاب على ولده وتعنيفه وشتمه " سأذبحك ... ابوه قال سأذبحك وترك البيت واثر الصفعة ما زال في خده"[٢]

ويرصد القاص في جانب اخر من القصة عنف الاب وقسوته " حذرته امه حين كانت تقطف رؤوس البامية بأنه سيطرده من البيت اذا اصر على طلبه ، وفتح عينيه بذعر وضربها على كتفها

–انت تكذبين !

لكنها لم تكن تكذب ، فقد التقط السكين من يدها واوشك ان يمسك به وكانت هي تصرخ وتدفعه ثم هربت به إلى السطح لأنه كان قد اغلق باب الدار فقبع في المرحاض وكان اخر صوت يسمعه من قبل ان ينام ويصل اليه مدوياً من قعر الدار – يعني قابل ما راح ينزل"[٣]

ان مثل هذه العلاقات الاجتماعية القائمة على العنف والقسوة وعدم الفهم قادت الطفل إلى ترك المدرسة والى محاولة الحصول على الصورة التي يريدها وتجواله وسط المدينة وحده ووقوعه في ايدي قذرة . يدين القاص العلاقة الابوية الجافة التي تؤدي بالنتيجة إلى حدوث خلل كبير في المجتمع والانسان وانه من الضروري فهم رغبات الاطفال وتفهم طلباتهم ومحاولة الاستجابة لهم .

وفي قصة (الرجل) للقاص (خالد حبيب الراوي) خضوع مطلق لعلاقة اجتماعية فاشلة ، رجل غادرته امرأته هاربة منه بسبب سفره المستمر لأجل العمل يعاني من مرارة الوحدة التي تفترسه ويظل اسيراً لذكرياته مع المرأة التي هربت منه ولا يحاول تغيير نمط حياته ، والتخلص من احساسه بالوحدة ونسيان علاقته الفاشلة والتحرر منها ويظل تفكيره منحصراً في العثور على المرأة التي هربت منه ويحلم

---

[١] ينظر : قصص عراقية معاصرة ، ٤٢ .

[٢] نفسه ، ١٠٩ .

[٣] قصص عراقية معاصرة ، ١١٠ .

بعثوره عليها في يوم ما :" انه يحدق إلى الشواطئ ، في النسوة الكثيرات ، لعلها تكون احداهن ، لكنه يهجس انها ليست مع نسوة الشواطئ انما في المدينة في مكان ماضيها ، ويتأمل بحزن فكرته : البيت الذي فيه امرأة يشع منه دفء خاص وساحر "[١]. ان التطلع إلى عودة علاقة منتهية يعد ضرباً من الوهم والسراب ، ان بطل القصة بقي وفياً لامرأة غدرت به وتركته هاربة وعاش وحيداً حالماً بعودتها ولم يبذل جهداً في محاولة نسيانها والتحرر من تأثيرها والتخلص من وحدته من المؤكد ان مسألة تجاوز هذه العلاقة الفاشلة والتخلص منها امر ضروري كي يعيش الانسان بصورة صحيحة يجب ان يطرد من حياته جميع العلاقات الفاشلة والمزيفة والمؤلمة التي تكون مصدر الم له .

ورصد القاص العراقي علاقات اجتماعية وانسانية تؤدي إلى الدمار والانهيار بسبب عوامل الشك وسوء الفهم الذي يتحكم في كثير منها ، وعلى سبيل المثال ما ورد في قصة (رجل الممرات) للقاص (خالد حبيب الراوي) إذ يتحدث القاص عن حكاية رجل مشلول يشك في زوجته التي دأبت على رعايته بأنها بدأت تشعر بالملل منه وعندما يفاتحها بالامر تنفجر في وجهه وتتركه[٢]. ان بطل القصة يغذي علاقته بزوجته بالقلق والتفكير السلبي القائم على التشاؤم والشك، ان شكوكه واوهامه تؤدي إلى انهيار علاقته بزوجته فتقول له : " لم تعد محتملاً ألا تدرك ذلك ، انني افني حياتي من اجل ميت ثم ترميني بلؤمك ووساختك "[٣]. ان خيبته في التحرر من اوهامه وشكوكه وعدم قدرته على تأسيس علاقة اجتماعية قائمة على احترام تضحيات زوجته ودأبها عليه قاده إلى البقاء وحيداً وإلى الاسوأ " زحف فوق سريره مستديراً ، واتكأ على مسند كرسيه المتحرك واستطاع ان يحرك عجلاته وتقدم في ممرات المنزل إلى الباب الخارجي وعندما فتح الباب واطل في الشارع كانت زوجته قد اختفت "[٤].

---

[١] العيون ، خالد حبيب الراوي ، ٢٠ .

[٢] ينظر : البناء الفني للقصة القصيرة ، ثائري المجيد العذاري ، ١٦٦ – ١٦٧ .

[٣] العيون ، خالد حبيب الراوي ، ٣٧ .

[٤] نفسه ، ٣٨ .

وفي قصة (لحن جديد لاغنية قديمة) للقاص (امجد توفيق) يسعى بطل القصة إلى الخلاص من عبودية زوجة ابنه التي يكره فيها الزيف والكذب ويرفض الخضوع لها ويكره الضوضاء التي تسببها في البيت ويبني موقداً خارج الدار فتهدمه وتدعي هدم الحفيد له . ان الجد لا يحتمل استبدادها وطغيانها فيودع حفيده ذات يوم ويغادر الدار كي يجد حريته : "انتابت العجوز احاسيس عذبة جعلته يقفز بين الاشجار ويطلق اصواتاً وحشية وهو يضحك ويلوح بالفأس – شعر بأنه قد عاد إلى ايام مجده ، وما هذه التجاعيد التي يحملها وجهه إلا كذبة كبيرة الصقها به االاخرون فصدقها دون تكبر "[١]. ويصدمنا القاص في نهاية القصة بسقوطه في ترعة لعدم قدرته على اجتيازها بسبب ضعف رجليه فيستعين بالفأس الذي يحمله لسحب نفسه من وحل الترعة واذا ما فشل مرة اعاد المحاولة كرة اخرى ، لقد بدا العجوز شامخاً كالجبال لحظة ارتعاش يده وسقوط الفأس من فوق رأسه[٢]. ان النهاية المأساوية للجد تثير في النفس النقمة والاشمئزاز من اولئك الذين يمارسون ابشع انواع الاستغلال والطغيان والجبروت مستغلين مراكزهم .

ورصد القاص (عبد الاله عبد الرزاق) في قصة (المحاولة) علاقة اجتماعية تبعث الامل في نفس بطل القصة وتمنحه الشجاعة في زمنه الصعب فهو يعاني من اليأس والخذلان والفشل والاحباط وتتحكم به المخاوف ويرفض وجوده ووجود العالم من حوله ويسعى إلى الانتحار فيخرجه من همومه ويبعده عن ذلك جميعه شيخ محني الظهر يتوكأ على عصا ، يطلب منه نسيان الماضي وهمومه والتطلع إلى العالم الذي يريد الهرب منه ويصر على اخذه إلى الجهة الثانية من الجسر : "تحررت يده من السياج وقد اغرورقت عيناه بالدموع وهو يتبع الشيخ عابرين إلى الجهة الثانية "[٣].

---

[١] قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ٥٨ .

[٢] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٤٩٥ . وينظر : قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ٥٩ .

[٣] السفر داخل الاشياء ، ١٩٩ .

وخلاصة ما ورد ان القاص العراقي تناول العلاقات الاجتماعية في مختلف المسارات ، فتباين تناوله لها ، اذ رصد عبودية علاقات تخضع للظلم الاجتماعي والاضطهاد الطبقي والفوارق الاجتماعية والعنف والقسوة ، وكانت مواقفه واضحة من هذه العلاقات التي اتخذت طابع السخرية والتهكموالنقد والاستهجان والادانة فضلاً عن ذلك كانت بعض القصص تعبر عن المرارة والاستياء وفي قصص اخرى الرفض .

وتطلع القاص في بعض القصص إلى تأسيس علاقات اجتماعية ناجحة ودافئة وصميمية لها ديمومتها وخلودها في النفس ورصد علاقات تنشد العدالة والحرية والكرامة ، وادان علاقات تحط من كرامة وقيم الانسان ، وشخص علاقات تسوء بفعل عوامل الشك والوهم والاحباط والانكسار ، ورصد علاقات يتحكم فيها الهرب والانهزام ، وعلاقات تسحق الانسان وتحطم آماله واخرى تنشد الكلمة الطيبة والموقف النبيل وعلاقات تسير في فلك الماضي فتجمد وتتحنط في شرنقته ، وعلاقات ايجابية بناءه تحاول التحرر من الالم ومن قسوة المحنة فتصير اقوى واشد تماسكاً ، ورصد علاقات سلبية تقوم على السخرية والاستغلال والاستهانة ، وشخص علاقات تسير في درب الوهم .

اما القصص التي رصدت علاقة الاب بالابن فأكثرها كانت ترصد العلاقة من زاوية ضيقة يحاصرها التوتر والقلق وسوء فهم الاب للابن وانانية الاب واستبداده وطغيانه الذي يدفع إلى انحراف الابن وقد يكون في ذلك شيء من الصواب .

والعلاقات الاجتماعية بصورة عامة التي رصدها القاص كانت تسير في فلك عبودية المجتمع والاستغلال والاستهانة والظلم والاستبداد والخيانة والخديعة والهزيمة والوحدة والعزلة والرتابة . مفردات شكلت وصاغت معظم القصص التي بحثت فيها الباحثة ، وقد تكون موجودة في الواقع ، ولكن هل يصل الواقع إلى حد الاختناق من كل ما هو سلبي ورديء .

فالمجتمع لا يخلو من دأب الابوة وحرصها ورعايتها ومن علاقات الحب الجميلة التي حتى لو اخفقت كان لذكراها الصدى العذب في النفس وكذلك علاقات الصداقة الحميمة القائمة على الموقف الانساني النبيل والكلمة الطيبة .

ان مبحث العلاقات الاجتماعية له اهميته وخطورته ولا يمكن ان تصدر الباحثة الحكم بصدده من خلال مجموعة قصص اذ لابد لدراسة اوسع واشمل تأخذ مداها في دراسة العلاقة الابوية والعلاقة بالمرأة وبالمجتمع وعلاقة الفرد بنفسه بالآخرين وكل علاقة تأخذ انماطاً مختلفة .

والاهم من كل هذا انه يتعين على القاص العراقي ان يتمسك بعلاقات حقيقية يكون لها وقعها واثرها في النفس والفكر علاقات تلغي عوامل الانكسار والحزن والخوف وكل ما هو سلبي وتنشد معانقة الحياة وتتطلع إلى ما هو جميل ونقي وحر في الوقت نفسه .

ويظل الطموح كبيراً ان يكتب القاص عن علاقات اجتماعية موجودة في الواقع ، وان يؤسس لعلاقات ناضجة وواعية قائمة على الفهم ، تعطي حياة الانسان قيمة عليا ومعنى حقيقياً لوجوده ، وتحقق كذلك اهدافاً نبيلة .

المبحث الثاني

القيم الاجتماعية

لا يمكن للانسان ان يعيش من دون قيم ، لانها المقياس الحقيقي لوجوده الانسلني وترتبط ارتباطاً جوهرياً بوجوده وعاطفته وفكره ، وتعطي مؤشراً حقيقياً لتمدنه وتحضره وبعده عن حياة الغابة والبدائية والهمجية ، فمواقفه وسلوكه وتعامله مع الحياة والطبيعة والمجتمع من حوله تتبع من نظام القيم الذي يعتنقه ويؤمن به والقيم ليست جامدة انما تخضع للتجدد والتطور وتتنامى مع الوعي الانساني ، وليست كل القيم صحيحة وبناءة ، لذلك يجب ان يتأمل الانسان ويراقب النتائج التي تتمخض عن القيم التي يعتنقها ، ولا بد ان يسعى إلى تغيير قيمه واخلاقه فيحدد التي تنسجم وصيغ التضامن والتكافل الانساني المشروع الذي تسيره قيم انسانية نبيلة نابعة من العقل والتفكير السليم بعيداً عن الانغلاق والتزمت والتعصب والجمود ، وان يلتزم تلك القيم بجدية بعيداً عن التذبذب والاستخفاف واللامبالاة والاهم من كل ذلك ان لا تكون قيمه غريبة عنه يسعى من خلالها إلى ارضاء الاخرين فقط وانما تكون نابعة عن فهم حقيقي ووعي بها فيشعر الانسان بالتآلف معها والرضى عن ذاته وفي الوقت نفسه تحقيق المنفعة الحقيقية والصادقة للاخرين ولذاته .

نشأت القيم مع نشوء الانسان وهي نابعة من سلوكه الانساني ونمت وتطورت معه وتكون القيم خاضعة للتجدد والتطور والتغيير . ومن الممكن ان يكون هذا التغيير والتجدد اغناءًلها كي نحس بانسانيتنا اكثر[١] .

فالقيم الانسانية تكمن في ابسط العلاقات الانسانية وفي اكثرها تعقيداً وتكون في الكوخ كما تكون في القصر[٢] . وهي عميقة اذ تقوم بعملين في آن واحد فتربط الناس ببعضهم وتمنحهم الحرية التي تجعلهم افراداً ايضاً[٣] . وتؤثر في احكام الفرد بالنسبة للاخرين ، وللاشياء التي يراها وتحدد بالتالي السلوك الذي يتخذه ، وبالمقابل

---

[١] ينظر : العلم والقيم الانسانية ، ج برونسكي ، ترجمة عدنان خالد ، دار المأمون للترجمة والنشر ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص٨٥ .

[٢] ينظر : النقد الادبي ، ق٢ ، ٤٦ .

[٣] ينظر : العلم والقيم الانسانية ، ٩٠ .

فان القواعد السلوكية تعتمد على القيم ، وقيم المجتمع تؤثر بدرجة كبيرة في اظهار مجموعة القواعد وتشكيلها بطريقة تتماشى مع تلك القيم[١].

وتعد القيم جزءاً من شخصية الانسان فالشخصية ليست السلوك الظاهري للفرد ولكنها استعداد للسلوك في المواقف المختلفة وهذا الاستعداد يكون ما يسمى بالعادات والخصائص والقيم والعواطف والدوافع[٢] . وكلما ارتفع مستوى القيم لدى الانسان كان له حضوره ومكانته وسيادته في المجتمع وارتفع في مستوى انسانيته وتحضره ، والقيم النبيلة تجل الانسان وتكسبه شأناً بين ابناء المجتمع . " اتجاهات الافراد نحو القيم هي اتجاهاتهم نحو موضوعات قد تتدرج من اشياء مادية بحتة إلى اشياء مجردة ، والموقف السياسي والتعبير عنه كرأي فردي ينطلق من خلال هذه القيم ويعبر عنها إلى جعلها مرتكزاً لمواقف ايديولوجية "[٣].

فالقيم هي :

" الصفات الشخصية التي يفضلها او يرغب فيها الناس في ثقافة معينة ، فالشجاعة والقوة ، والاحتمال والايثار والمهارة الفنية وضبط النفس يمكن اعتبارها كلا على حدة او في مجموعها الصفات المرغوبة في كل ثقافة "[٤]

ان اساس المجتمع السليم ان لا يرتكب افراده ما يتنافى مع الاخلاق والضمير الذي يبحث عن المعرفة كي تتلاءم معه وتحكم قوته[٥] . وعليه فان دور العالم والفنان والشاعر والقاص وكل مبدع ان يعلم المجتمع بقيم عمله ، اذ ان زعزعة القيم والاعتبارات الانسانية من الامور الخطيرة التي تهدد الوجود البشري فسيطرة جنون القوة وشهوة الاستحواذ على مصادر الطاقة اطلق النزعات الشريرة إلى ابعد المسافات

---

[١] ينظر : السلوك الانساني ، ابراهيم الغمري ، دار الجامعات المصرية ، الاسكندرية ، مطبعة الوادي ، ١٩٧٩ ، ص٤٩ و ١٤٤ .

[٢] ينظر : السلوك الانساني ٥٠ و ٥١ .

[٣] الرأي العام ، د. حميدة سميسم ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد،١٩٩٢ ، ص١١٩.

[٤] مفاهيم في الفلسفة والاجتماع ٢٠٨ .

[٥] ينظر : العلم والقيم الانسانية ، ١٠٩ .

، فتراجعت المبادئ الانسانية والقيم الروحية الامر الذي نجم عنه وضع البشرية معها وجهاً لوجه امام كوارث مصيرية[١] .

ومن الممكن القول ان استفحال هيمنة الدول القوية ومحاولة فرض سيطرتها او كثرة الحروب والنزاعات الداخلية ، والتصفيات الجسدية ، وضعف المجتمع الدولي وعدم القدرة على التصدي بحزم نتج عنه كوارث بشرية مأساوية في ظل غياب القيم الانسانية فكأنه عالم مريض يدمر نفسه بنفسه . لذلك لابد من ان نعمق القيم الانسانية ويتم ذلك من خلال ضمان حقوق الانسان لانها التعبير الوحيد الذي يستند اليه الانسان نفسه كضمير حر ، وهذه الحقوق اذا انتهكت اتجهت البشرية نحو الهمجية واصبحت الحضارة اداة لهمجية حديثة[٢] .

وتنحط القيم الروحية إلى جانب انحطاط العلم والثقافة بسبب تفاقم وسطوة قيم المال والسلطة في البلدان النامية بوجود مشكلة التفاوت الطبقي في بروز فئات اجتماعية ثرية وانسحاق فئات اجتماعية عريضة فيتحول التحضر فيها إلى نزوع استهلاكي شره وجشع مالي وترف غير معقول[٣] .

ان الأدب القصصي في العراق شأنه شأن الأدب القصصي العربي والعالمي أراد أن يعزز وجود القيم الإنسانية الإيجابية ، وكانت الرواسب المتخلفة عن العهد البائد تعيقه وتصطدم به ولكنه على الرغم من ذلك ظل يمارس طرحه الثوري مصوراً الصراع بين القيم الإيجابية والقيم السلبية : "ان الرسالة العظمى للأدب العربي الثوري في الوقت الحاضر هو تصوير الصراع بين القيم الإيجابية

---

[١] ينظر : تأملات في الحضارة والاغتراب ، عزيز السيد جاسم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ط١ ، ١٩٨٦ ، ص ٢١٣ .

[٢] ينظر : نفسه ، ١٨٤ .

[٣] ينظر : نفسه ، ١٩٢ .

والقيم السلبية التي تصطرع الآن في حياتنا ، إذ تجاهد الأولى كي تخلق وتكتمل ، وتحاول الثانية أن تعوقها بل هي تتغلب عليها في بعض الزوايا المعتمة ، ومهمة الأدب ان يسلط الضوء على هذه الزوايا ، ويكشف ما يجري فيها"[١] .وارتبط ظهور القيم الفكرية والأدبية والإنسانية ارتباطاً وثيقاً بالحياة الإجتماعية المتغيرة والتطور الحضاري الحاصل والنهضة الثقافية والفكرية . التي حدثت أوائل الثلاثينات وبعد الحرب العالمية الثانية الأمر الذي نتج عنه اتضاح القيم الفكرية المؤثرة في المجتمع والذي قاد إليه واقع التطور الاجتماعي وكان من معالمه البارزة وجود فئة من الطلائع المثقفة من ابناء البرجوازية الصغيرة الناشئة تنزع في تفكيرها نزعة تقدمية واضحة ، كان لهذه الفئة دورها الفاعل في الحياة الفكرية والسياسية في العراق ، فارتبطت القصة العراقية الحديثة إلى حد كبير بنشاطها وتطلعاتها[٢].

وانقلب المجتمع العراقي نتيجة التأثر بالمدنية الأوربية وتقليدها في اساليب الحكم والإدارة والتربية والسياسة والاجتماع وعلى الرغم من ان نتائج هذا التأثر لم تظهر بوضوح إلا بعد مضي فترة على الاحتلال البريطاني للعراق . إلا ان المجتمع تحول إلى مجتمع معقد مضطرب تصارعت فيه القيم واختل التوازن بين حاجات العقل وحاجات الجسد ، ويكمن السبب في ذلك إلى ان عناصر المدنية التي دخلت العراق لم تكن مصحوبة بتطور ثقافي أصيل يعين على مؤالفة الحياة الجديدة[٣].

وفي رأي الباحثة ان عملية تصارع القيم واختلال التوازن بين الجسد والعقل واضطراب الأفكار كانت ترتبط بعملية التحرر والتطور الحضاري ارتباطاً وثيقاً وكانت أشبه بالمخاض العسير وعملية ولادة لرؤى جديدة وتطلعات إنسانية نبيلة ، وهي دلالة على حياة فكرية أكثر تجدداً وثقة واملاً بالحياة الجديدة . والخروج من شرنقة القيم القديمة المتوارثة ومحاولة استخلاص القيم الايجابية البناءة منها وتعزيز وجودها في المجتمع العراقي وطرح وإزالة القيم السلبية البالية والقضاء عليها .

---

[١] الواقعية في الأدب ، ٣١ .

[٢] ينظر الأدب القصصي في العراق م ح ع ٢ ، ج١ ، ٢٢ .

[٣] ينظر القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٤٥ .

فتغيرت النظرة إلى التعليم واعتبر قيمة أساسية وجوهرية في حياة الإنسان كما سيتضح لنا في كثير من القصص العراقية ونبذ القاص الجهل والتخلف كما ورد في كثير من قصص جعفر الخليلي (أولاد الخليلي) و (هؤلاء الناس) ومجموعات ذو النون أيوب (رسل الثقافة) و(صديقي) و(برج بابل) و (العقل في محنته) وصلاح الدين الناهي في مجموعتيه (أقاصيص شتى) و (تثنية الأقاصيص) . فضلاً عن ذلك انتشار المدارس والاقبال على القراءة وشراء الكتب والمؤلفات العربية واتساع سوق القصة العراقية بين المتعلمين وترقب صدور المجلات والصحف العربية واصدار مجلات وصحف عراقية واهتمامها بالقصة[١] .

مما يؤكد ظهور قيم جديدة فيها نوع من الرغبة بالحياة واليقظة الفكرية والسعي لتغيير نمط الحياة نحو الأفضل وتوق وانشداد للفهم والمعرفة والادراك فضلاً عن ذلك حدوث تغير جوهري في القيم المتوارثة جيلاً عن جيل والانسلاخ عن التعصب والجمود والتخلف والنزوع نحو التغيير الايجابي البناء لا سيما حقوق المرأة ومنحها حق العمل والاختيار .

وحدث تطور في الرؤية القصصية وفي مواضيع القصص فلم تعد تقتصر على الوعظ والارشاد واعطاء العبر والدوروس ، إنما تطرقت إلى موضوعات أشمل وأعمق متناولة من خلالها جوانب الحياة الاجتماعية كالاقطاع والفقر والاستعمار والتقاليد والعادات والقيم القديمة والمرض[٢] .

الأمر الذي يتضح من خلاله ظهور قيم إنسانية إيجابية ترصد واقع الإنسان وهمومه ومشكلاته وتعنى باهداف المجتمع وطموحاته . فضلاً عن ذلك زيادة الاتصال بالتيارات العالمية المختلفة والتي عبرت عن نزعات إنسانية جديدة فصار للقاص تمكنه من فنه القصصي واتساع أفقه بحيث يشمل الإنسانية عامة ، وأصبحت القصة أشد لصوقاً بالحياة وصار للقاص قدرته على تحديد موقفه منها[٣].

---

[١] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٥١ .

[٢] نفسه ، ١٥١ .

[٣] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٥٩ .

وان بعض النماذج القصصية عكست مسائل مهمة جداً وانها كانت تهدف إلى تحقيق التطابق بالفعل مع القيم والأهداف والمبادئ التي تستند إليها التحولات وعملت على إرسائها وتجذيرها . واتفقت هذه النماذج على اختلافها انها كانت ذات توجه مبدئي نحو تجاوز الهموم الذاتية والاندماج بالواقع الجماعي الثوري[١].

فقصص محمود أحمد السيد وذو النون ايوب وجعفر الخليلي وعبد المجيد لطفي ويوسف متي وأنور شاؤول وعبد الحق فاضل وغيرهم كانت تدافع عن قيم التغير الاجتماعي ، وتدين جميع مظاهر التخلف والجمود[٢] .

وركز القاص على الانسان باعتباره قيمة عليا في الوجود اذ تتبع القيم من السلوك الانساني الذي يعد مصدرها في حياتنا البشرية ، ويعد ايضاً مصدر كل النشاط المنتج المحقق للغايات والاهداف الانسانية التي تعم اثار السلوك الانساني في مختلف مجالات الحياة ، اذ تنعكس القيم ونلمس ونشعر بآثارها من حولنا في صور شتى في العلاقات الاجتماعية والعلوم والفنون والاداب ، والثقافات جميعها هي محصلة العمل الانساني[٣] .

وحاول القاص ان يتجه نحو قضايا جوهرية لها طابعها الإنساني العميق مؤكداً على خروجه من ذاتيته وعمق اتصاله بالمجتمع ومحاولة إيجاد قيم فاعلة في الحياة الجديدة وان القصص التي طرحها القاص : "لا تبشر بشيء ولا تدعو إلى سلوك خاص في الحياة وانما همها فهم واقع الحياة وتفسيره وهو فهم وتفسير قد ينتج عنهما الخير وقد ينتج عنهما الشر فالخير يأتي من التبصير بالواقع حتى لا يقع الأخيار فريسة للأشرار ، والتغيير من قبح هذا الواقع ودفع إلى إصلاحه ، وأما الشر فقد يأتي بعد التشكيك في القيم المثالية والأخلاقية وهي قيم ان لم تكن حقائق واقعة فهي ضرورات خيرة لابد منها لكي تستقيم حياة الفرد وحياة المجموع ولكي لا ترتد الإنسانية إلى الهمجية الأولى"[٤] .

---

[١] ينظر الشخصية العمالية في القصة العراقية ، ١٨٦ .

[٢] ينظر ملتقى القصة الأول ، ٢٨٩ .

[٣] ينظر : تحليل النظم السلوكية ، د. علي السلمي ، دار غريب للطباعة ، الناشر مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص٤٥ .

[٤] ينظر القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٦٢ .

وعالجت بعض القصص الواقع الاجتماعي وبينت مدى تداخله مع الواقع النفسي والسياسي لافراد أو طبقات اجتماعية ظلت تعاني قهراً طبقياً وإحباطاً وخيبة وأدى ذلك الاحساس بالخيبة والاحباط والمعاناة من القهر الطبقي إلى عدم القدرة على تحقيق التوازن أو تحقيق الحلم بالخلاص من الضعف والتعسف وضغوط الأوضاع السياسية والاجتماعية وسوء الأوضاع الناجمة عن التخلف الاجتماعي وما أفرزته من قيم وتقاليد بالية أثرت في الحياة الاجتماعية[١] .

وكان للاتجاهات الجديدة في القصة العراقية القصيرة بعد الحرب العالمية الثانية نزعة تحرر من القيم القديمة والدعوة إلى غرس قيم فكرية وثقافية جديدة .

واتخذت هذه المحاولات طابع المشاركة في شتى المجالات الأدبية والفنية والفكرية ومحاولة انتاج أدب جديد والخضوع للتيارات العقائدية ومحاولة بناء أدب جديد يستمد قوته من الحياة نفسها ومن الواقع ومن أعماق النفس القلقة والشعور الممزق . والدفاع عن الالتزام في الأدب والفن وأيضاً عن حرية الأديب والفنان فيما يكتب ويبدع . وبيان دور الأديب الذي يجسد الضمير الحي للمجتمع ، وأبدى بعض الكتاب تعصباً في الدعوة إلى الالتزام والدفاع عن الأفكار والمبادئ وناصر كتاب آخرون الحرية في الأدب واهتم الكتاب بالأكثرية لا الأقلية[٢].

وارتبط ظهور القيم الإنسانية الجديدة المتطلعة إلى نصرة الإنسان وتغيير واقعه نحو الأفضل وإلى بناء علاقات إنسانية نبيلة بظهور الواقعية الجديدة التي تبناها اتحاد الأدباء عام ١٩٥٨ ودعم اتجاهها من طبع ونشر النتاج القصصي الذي يتضمنها . وكان لهذا الاتجاه موقفه المميز من الحياة والذي له ارتباط قوى بمشاركة الأديب في الأحداث التي تجري والخوض فيها ومساهمة كتاب الواقعية الجديدة مساهمة فعالة في مشكلات الشعوب ومعاركها[٣].

وظهرت معه قيم الحياة البسيطة والإيمان القوي بقدرة الإنسان على التطور وزخرت القصص بالحب للإنسان والعطف عليه وتقصي مشاكله . كما في قصة

---

[١] ينظر قصص مختارة من أدبنا القومي الاشتراكي ، ٢٣ .

[٢] ينظر القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٢٧١ و ٢٧٢ .

[٣] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٦٤ .

(عباس افندي) لعبد الرزاق الشيخ علي الذي يفكر بالزواج بعد زواج أخته العانس التي يخشى اغضابها من زوجته[١] .

لقد تمكن القاص من طرح القيم الإنسانية التي كانت تشغله من خلال بطله الذي كان ابن الواقع العربي وسليل قيمه وبناه ، وقد حاول القاص تتبع خطاه ليدل بها على اخلاقية العصر أو الطبقة فرسم نماذج حية تنبثق من الداخل وتنبعث من جديد لتقاوم أو تعيد إلى ذاتها ما فقدته أمام التحدي والخيبة والضياع ، تحدي القوى الخارجية وخيبة التخلف ، واختلال المعايير والقيم بسبب ما يحفل به الواقع من صراع للانبعاث[٢] .

لقد جسد القاص العراقي في قصصه قيماً حاول ترسيخها فأدان البؤس في العالم ، والموروث المتخلف للفكر البرجوازي ، وحاول التقاط معاناة الشعب ، ورصد تجاربه واحباطاته وأفراحه وتقدمه وانكساراته الداخلية ، وتقبله للفكر الجديد مع فكرة الانتقال إلى حياة جديدة خالية من البؤس والاستغلال والجريمة والخوف[٣].

ورصد القاص المشاعر الإنسانية ملتقطاً إياها بحرارة ومصوراً الرغبات المحبطة والآمال والآلام لعدد كبير من الشخوص التي استنزفت بفعل عوامل القهر والعوز والاستلاب .

وحاول القاص من خلال كتاباته البحث عن السعادة والحب والأصالة والحرية ، وان يكشف في الوقت ذاته عن رغبته في الدخول إلى اعماق هذه الطبقات لمعرفة تناقضاتها المختلفة ومشكلاتها الأساسية ضمن اوضاع سياسية واجتماعية معينة[٤] .

ومن المؤكد ان القاص العراقي سعى إلى نبذ قيم قديمة متوارثة كانت تعرقل مسيرة المجتمع العراقي في التطور والنمو والتجدد ، وعمد إلى ترسيخ قيم إنسانية نبيلة وبناءة لها ايجابياتها كانت موجودة بالأصل في المجتمع العراقي ، وحاول أيضاً بناء قيم جديدة لها تطلعاتها الإنسانية السامية كقيم العمل والحب والنضال والحرية

---

[١] ينظر : نفسه ، ١٦٥ .

[٢] ينظر : قصص مختارة من أدبنا القومي الاشتراكي ، ١٤ .

[٣] نفسه ، ٩ .

[٤] ينظر: قصص مختارة من أدبنا القومي الاشتراكي ، ١٠ .

والتضامن الإنساني والتجدد الحياتي والسلوكي في العلاقات الإنسانية بعيداً عن الزيف والرياء والتمسك بالحياة والدعوة إلى العلم والمعرفة فضلاً عن ذلك دعوته إلى بناء الوطن وخدمة قضيته ومساندة الشعب والسعي الإيجابي لتغيير واقع المجتمع وغرس روح التحدي لمواجهة صعاب الحياة ، ونبذ تذبذب القيم واختلاف المقاييس ، ورصد قيم إنسانية لها عمقها وحضورها الإنساني كقيم الحق ونصرة المظلوم والتضحية والإيثار قيم لها تأثيرها الايجابي الفاعل في تعميق الروابط الإنسانية وتقوية أواصر المجتمع العراقي . فضلاً عن ذلك ان القاص العراقي نبذ حالة التراجع والإنكسار عن الالتزام بالقيم وعدم التشبث بهاكما تطرق إلى قيم اخرى كثيرة يمكن معرفتها من خلال القصص التي سنبحث فيها .

ففي قصة (ابن البناء ينشد العلم) للقاص "ذو النون أيوب" يستنكر القاص انهيار بعض القيم بسبب الحرب إذ يستعرض المراحل الدراسية التي مر بها أحد أبناء العمال ، وعدم تمكنه من اكمال دراسته بسبب ظروف الحرب التي اضطرت الحكومة إلى تقليص الانفاق على المدارس[١] .

ويدين القاص قيم سائدة بسبب علاقات اجتماعية غير عادلة قائمة على الجاه والنفوذ قيم تدخر لأبناء الذوات الاهتمام والقبول في كل مكان وترفض البسطاء والفقراء أمثال ابن البناء الذي يرفض طلبه ويقبل بدلاً منه طالباً مكملاً نجح أخيراً لأنه ابن ذوات[٢] .

ولكن القاص في الوقت نفسه يعمق روح التحرر والنزوع إلى طلب العلم في نفس الطالب واصراره على تحدي الضغوط ومواجهتها وعلى الرغم من غضبه واحتجاجه فأنه يرفض معالم الاحتكار في كل شيء حتى في العلم فيقول لأبيه :" ليس العلم كبقية الأشياء يمنح بالاحتكار سأتعلم على رغم من لا يريد أن يراني متعلماً ، فسأدرس لوحدي وسأهيئ نفسي لمقاومة الطغيان في المستقبل"[٣].

---

[١] ينظر الشخصية العمالية في القصة العراقية ، ٣٣ .

[٢] المجموعة الكاملة لذنون ايوب ، ٨٥ .

[٣] نفسه ، ٨٥ .

واستنكر القاص "فؤاد التكرلي" في قصته (سيمباثي) تنكر الجيل الجديد للقيم الأصيلة من خلال تصرفهم العابث القائم على اللهو وتخليهم عن التمسك بالالتزام السلوكي النبيل وموجة الانبهار بالشكل الخارجي للحياة الغربية .

إذ "يصور القاص في القصة مجموعة من الشباب العابث وهم يعيشون أزماتهم الخاصة وخروجهم بعد حفلة ما مع مجموعة من الفتيات يلاحقون بسيارتهم سيارة رجال آخرين ويضايقونها فينزل الرجال من السيارة ليؤدبوا هذه النماذج ، فيفر الجميع إلا رعد الذي يتلقى ضرباً موجعاً "[١].

وكأن القاص يدين ويرفض الجيل الجديد الذي يبدو أنه تخلى عن قيمه الأصلية وتحرر بالاتجاه الخاطئ التحرر الفوضوي العابث الذي يقود إلى الضياع والهلاك من خلال نهاية القصة التي تعلن ان بطل القصة ينجو من الموت بعد تعرضه وأصدقائه لاعتداء الرجال الآخرين كان القاص يعلن ان أمثال هؤلاء فاقدوا القيم معرضون للانكسار والانهزام : "كان يركض في الظلام لاهثاً ، دون ان يستدير خلفه ، بدت له أضواء المدينة خافتة بعيدة ، ليس هناك من يستطيع نجدتهم (....) كانت اصداء أنفاسه الثقيلة فقط تتردد في رأسه وأذنيه . مر بيده على جبهته ووجهه المبللتين ثم رفع ببطء نظره إلى السماء السوداء"[٢] .

وشخص القاص (عبد الرحمن الربيعي) في قصة (صفحات منكسرة من تاريخ المدن التي انتصرت) حالة تغير القيم وتباينها بين القرية والمدينة ، فبطل القصة (طاهر عبد الله)يعاني انكساراً كبيراً بسبب تغير القيم إذ يجدها في مدينة بغداد غريبة عنه فهو شاب يهاجر من قريته لأسباب سياسية ، فيجد نفسه ضائعاً وغريباً بعيداً عن كل ما يربطه بها ، فمدينة بغداد تقضي على الصمت بصخبها وتقتل البرم بحاناتها ، وتعيش الذلة والرشوة[٣] .

---

[١] رحلة مع القصة العراقية ، ١٨٣ .

[٢] البناء الفني للقصة القصيرة ، ٥٩ . وينظر الوجه الاخر ، ٢٣٤ .

[٣] ينظر الربيعي بين الرواية والقصة القصيرة ، ٤٠ و ٤١ .

أنه يجد في القيم التي عرفها ، فيكتشف في مدينة بغداد الزيف والصخب الملوث بدلاً من السكينة والفرح في قريته والحياة في المدينة مستهجنة في كل شيء فبدلاً من الفطرة السليمة والطبيعة الطيبة في قريته يجد الصخب والضجيج والعزلة .

ان التذمر والشكوى والاحساس بالخيبة من قيم المدينة الزائفة تؤدي إلى الضياع وتفقد القدرة على مواصلة العيش فيها . وما نبحثه ونحاول أن نؤسس له هو الإنسان الايجابي الفاعل الذي يعتمد منهج التغيير صيغة حياتية ان لا يهرب من قيم المدينة التي يجد فيها الزيف وانما يسعى إلى ترسيخ قيم ايجابية بدلها ، وان يتكيف في حياة المدينة كي يثبت مقدرته على التواصل الإنساني ، إذ ان القيم كلما تطورت ووصلت إلى مرحلة النضوج والكمال صار الانسان أكثر ثراء في انسانيته ، وكلما نضج وعي الإنسان ووصل إلى مستوى من نكران الذات والتضحية صار للقيم قوتها ورسوخها في الفرد والمجتمع .

يطالعنا القاص "محمد خضير" في قصة (الآرجوحة) بقيم نبيلة وجميلة تسمو بالحياة وتكسبها طعم الاستمرارية والتواصل من خلال علاقات جميلة تنشأ بين جندي وعائلة فقدت أبنها .

ويتطرق القاص إلى الموت في القصة ناظراً إليه ومتناولاً إياه من جانب آخر مغاير ومناقض لما عرفناه عنه من حزن ووجع وألم إذ يحاول القاص ان يعطي قيمة ايجابية وان كان الموت يخلو من الإيجابية فأنه يحاول أن يمنحه معنى للبدء من جديد والولادة والعيش بنمط جديد محاولاً ان يحرر العائلة من قسوة فقدان الأب .

فالجندي يأتي إلى العائلة حاملاً معه حقيبة ولدهم الذي استشهد في المعركة ولكنه في الوقت نفسه يخفي حقيقة استشهاده وينشئ صداقة حميمة مع طفلة الشهيد وأمه وزوجته " نجد هنا محاولة لتجاوز الموت والارتباط بقضية الحياة والمستقبل والأمل الإنساني فبدلاً من تحويل موت الجندي – الأب – إلى مجرد مأساة تثير الحزن والبكاء استطاع القاص ان يكسب القضية وجهاً جديداً عبر امتداد الحياة باشكال وصور متجددة ، وهكذا يستغرق الجندي – الرسول – والفتاة في نهر الحياة المستمر بعيداً عن شبح الموت القابع في الحقيبة السوداء ، ان محمد خضر لا

يسقط في حزن أخرس أمام الموت بل يكسب وجهاً آخر : الحياة المتجددة ، الدائمة التفجر "[١].

ويستعرض القاص التطلع إلى الحياة من خلال صداقة الجندي مع الطفلة ولعبهما سوية وسباحته في النهر وخبز الأم للرغيف وتواصل تعليقات الجدة.

وأكد القاص (موفق خضر) في قصته (الفرس المحتضرة) على ضرورة الخلاص من القيم القديمة البالية من خلال رمزه للفرس المحتضرة التي تمثل الواقع الطبقي القديم الذي تحول إلى أنقاض لعدم صلاحيته للبقاء والاستمرار[٢] .

ويعمق القاص في قصته النزوع إلى التحرر من مظاهر التخلف القديمة والتوجه إلى إيجاد قيم بناءة هادفة ، إذ تروي القصة حكاية عاملين يعملان في رفع الأنقاض وهما ينظران إلى فرس تحتضر وحيدة طوال يومين متتاليين[٣].

فالرجلان يرثيان الفرس وفي الوقت نفسه يكنان الرثاء لنفسيهما فالشيخوخة واقتراب النهاية والخوف من العجز تثير في النفس الخوف والقلق ولكنهما على الرغم من إحساسهما بالحزن والرثاء فأنهما يتطلعان إلى مستقبل الأطفال وحياتهم الجديدة فيقول الأول للآخر : أنا دائماً اصلي إلى الله وأحمده .... أقول في ذات نفسي لك الحمد يا رب ..... إذ أستطيع الآن أن أعمل وأجلب اللقمة إلى أولادي الكثار وأقول أحياناً متى يكبر هؤلاء الأولاد ليسابقوا أحسن مما كنت أسابق به الحياة .... ربما ستكون الحياة أروع بالنسبة إليهم"[٤] .

ورصدت القاصة بثينة الناصري في قصتها (قصة قصيرة جداً) اختلاف القيم الإنسانية نتيجة التطور الحاصل في وضع المرأة الاجتماعي وفي نظرة المجتمع لها .

فثمة حوار يدور في القصة بين صبية من الجيل الجديد وأبيها الذي هو رجل في متوسط العمر ، ومن خلال الحوار نقف على الفارق بين نظرة جيلين إلى الزواج

---

[١] قصص عراقية معاصرة ، ٥٢ .

[٢] ينظر : الشخصية العمالية في القصة العراقية ، ١٦٠ .

[٣] ينظر : في أدبنا القصصي المعاصر ، ١٧٨ .

[٤] قصص مختارة من أدبنا القومي الاشتراكي ، ٤٠٩ .

. ونقف على نظرة كل منهما إلى الحب فالفتاة مأخوذة بكلمات إطراء صدرت من شاب نعت عينيها بالجمال وتحاول التأكد من كلامه ، والأب غاضب ومنفعل من جرأة الشاب[١].

ويظهر جلياً في القصة نزوع الجيل الجديد لرفض القيم الموروثة في الحب والزواج إذ يدور الحوار بين الأب والأبنة فيخبرها عن الكيفية التي تزوج بها :

- لم أرها في الواقع ، وصفتها لي أمي

قالت شفنا لك عروساً قمراً . عيناها مثل الساعة" .

وطرحت القاصة (ديزي الأمير) في قصة (البيت العربي السعيد) قيماً ذات أفق محدود النظرة إذ تعيب على الرجل التقدمي ان تكون زوجته محجبة . إذ تتساءل بطلة القصة مع نفسها حين تستقبل ضيوفاً في بيتها "زوجة صديقنا ؟ صديقنا التقدمي محجبة ؟"

ان القاصة تدين ظاهرة الازدواجية في سلوك الرجل الشرقي وحالة الانقسام بين الفكر والسلوك ، بين النظرية والتطبيق ظاهرة تاريخية قائمة في المجتمع العربي[٢].

ان مشكلة الازدواجية في السلوك أعمق بكثير من ان تقتصر على الحجاب، وعلى المظهر الخارجي فهي تكمن في التعامل الإنساني وفي اتخاذ الموقف وصنع القرار وفي جوهر الحياة لقد اقتصر موقف القاصة على إبداء الدهشة فقط.

وفي قصة (الملح) للقاص (لطيف ناصر حسين) فلاح يغادر أرضه إلى المدينة باحثاً عن العمل ليجده أخيراً حارساً في إحدى البنايات ، تصيبه حياة المدينة بالذهول والدهشة. وتصدمه الفتاة سعاد التي تحاول اثارة رغبته فيسأل نفسه كيف لا تمنعها امها ولا يحاسبها احد عندما تعود منتصف الليل ويشم فيها عطراً غير العطر الذي تضعه : " تتقصد الملعونة الاحتكاك بك حين تجتازك وهي تهز ردفيها ، فتشعل في دمك رماد الرغبات الخرس ، وتناهي اليك صرير الباب، ووقع حذائها

---

[١] ينظر : في أدبنا القصصي المعاصر ، ٦٤ .

[٢] نفسه ، ٦٥ .

يتلقفه الشارع "[١]. يتمسك بطل القصة بقيمة وماضيه ونزوعه للخلاص من زيف علاقات المدينة التي هاجر اليها ومن اباطيلها . اذ يطلب منه الجميع بيع مسحاته ولكنه يرفض لأنه لا يستطيع الاستغناء عنها فيحدث نفسه قائلاً " هي تاريخ حياتك يا زاير ، هويتك ، وماضيك كله ، هي الارض وعمشة وساحة الطيران وكل شيء يا زاير "[٢].

ويغادر فيما بعد زاير راحلاً بصمت تاركاً كل شيء خلفه العلاقات المزيفة والرغبات المريضة والاتهامات الرديئة لأنه لم يتمكن من الانسجام معها ، تركها عائداً إلى حياته الحقيقية واخذ مسحاته معه فقط . ويتمسك القاص علي خيون بقيمة الصداقة التي لا تندثر بعد مرور الايام في قصة (لقاء) ، اذ يبدو بطل القصة مشدوداً إلى مراقبة انسان يسير في الجانب الاخر من الشارع ويحاول اللحاق به ، ومن خلال افكاره ندرك انهما كانا صديقان وبينهما اواصر محبة وتكبر التساؤلات في ذهنه ان كان صديقه تزوج ورزق بأطفال وصار له بيتاً ويتذكر حب جارته له وسؤالها عنه باستمرار اثناء غيابه ، ويتذكر طباع صديقه في شراء الاشياء الخاصة به وتنتهي القصة حين يتخذ البطل قراره باللحاق به . "لم اعد احتمل الانتظار ، لن اطيق الوقوف كالابله ، لماذا لا تلتفت سأعبر الشارع بنفسي ، وسأقف ازاء الواجهة الزجاجية حيث كنت تقف لاكون غريباً ، فقد يكون للمحل باب اخر ، وافقدك مرة اخرى "[٣]. ويؤكد القاص على ضرورة التمسك بقيم ايجابية تستند إلى الوفاء واحترام الصداقة والعلاقات الانسانية التي لا تنطمر تحت ركام السنين ومشاغل الحياة .

ورصدت قصة (الانشوطة) للقاص هشام توفيق الركابي قيم مواصلة النضال في الحياة رافضة العجز والاستسلام . في القصة رجل وابنه يتيهان في البحر وينتاب الرجل اليأس من الوصول ويصيبه الجزع والتخاذل . " بتلقائية ينظر الرجل حوله صدم عينيه الضوء النابض من جديد كان عن يمينه الان تماماً، وبدأ اقل توهجاً واكثر بعداً ، وفي يأس مقيت احس بالفزع القاتل يغمر جسده ، ووجد نفسه ينظر إلى

---

[١] وجوه معتمة فوق زجاج صقيل ، ٥٥ .

[٢] نفسه ، ٥٨ .

[٣] رحلة الليل الاخيرة ، ١٧٣ .

الطفل والقارب والبحر كمجرد اشباح فقدت الحقيقة دفعة واحدة ، وود ازاءها لو يرتمي في قعر القارب في نوم ابدي – غير انه ما لبث ان ادار المقدمة باتجاه معاكس للضوء الذي اخذ يلمع بقوة وهمس بصوت خفيض ،

–لقد فات الاوان "[1]. ولكن الطفل يرفض اليأس والاستسلام وكأن القاص يرمز من خلال ذلك إلى الجيل الجديد الذي يتطلع بثقة وامل إلى تحقيق الخلاص وامكانية الاكتشاف فيقرر الطفل ان يجذف بقوة والامل يتقد في عينه "صوب الطفل نظرات فاحصة إلى الرجل للمرة الاولى وتوالت الانفاس في صدره وهو يجيب سأجذف انا الان يا ابي :

عاد القارب إلى الانزلاق على الامواج الثائرة بعد دورته إلى الوراء ، نهض الطفل وإلى جوار ابيه جلس والأمل توقد في عينيه امسك بالمجذافين يلطم بهما الموج بينما كان والده يتطلع إلى الضوء الذي كان يخفت من جديد "[2].

وفي قصة (السيف) للقاص (نزار عباس) رصد لقيم البادية الاصيلة ، اذ يلتقي بدوي ملثم برجل آت من المدينة فيسأله عن هويته ويجيبه الاخر بأنه فقدها في حانة . القصة تؤشر لضياع ابن المدينة وعذابه وفقدانه اصالته الامر الذي يجعله يموت ببطء مثل ذئب مريض وعاجز مشلول لا يستطيع السير[3] . يمثل البدوي القيم الاصيلة القائمة على رفض الضعف والعجز والاستسلام الذي يستنكر دفن السيف في الرمال اذ يسأل الرجل

" –هل رأيت سيفاً مدفوناً في الرمل ؟

–هل رأيت رجلاً مدفوناً في الرمال ؟

–الكلمات سلاحك ايها الجبان ؟ سأتركك .

–وداعاً "[4] .

---

[1] قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ٤٥٤ .

[2] نفسه ، ٤٥٤ .

[3] قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ١٨ .

[4] نفسه ، ٤٣٦ .

ان البدوي يستنكر على ابن المدينة خذلانه وانكساره وجبنه وتصدع قيمه وزيفه ويطالبه بفعل حقيقي وجاد ثم يتركه ليموت وحيداً وكأن القاص يدين بعض ابناء المدن الذين تخلوا عن القيم الاصيلة والنبيلة فسقطوا في خانة الضعف والعجز والاستسلام والضياع .

ورصد القاص حسب الله يحيى في قصة (النفير) قيم التضحية وتقرير المصير والانتماء وتلبية نداء الارض والتاريخ والايمان بالقضية ، مؤكداً من خلال قصته ان في الانسان قدرة على العطاء والتضحية لا تقدر بثمن وان عمله حي خالد ، وفي القصة اصرار على رفض الهزيمة والانكسار . "قال له صحفي اجنبي وعلى سيمائه علامات تعجب :

-كيف امكن لهزال جسدك ان تقطع به (٦٠) كم بين الادغال والصخور ان هذا جهد صعب ؟ يبتسم مع انه يخش الاجابة فذلك سر يرفض ان يبوح به إلى صحفي لا يثق بهويته اصلاً بينما اصرار الوجوه كان يمنح قلبه الود ٠٠٠فيقول:

-ليس في الامر نادرة ، كلنا نفعل هذا ٠٠٠ الانسان يموت ولكنه لا ينهزم "[١].

وفي القصة ايضاً تمسك بقيم الانتماء للارض والقضية " الارض تمنحني كل شيء ، تجعلني احب واكره ، اطور افكاري وازرع نبل القضية هنا في كل مكان ، وتمضي به الذكرى افاقاً بعيدة "[٢]. وفي القصة رصد لقيم التواصل والعطاء والامل والتطلع إلى المستقبل " النجوم تتوهج في الاعالي ، الارض تعطي الخضرة دائماً ٠٠٠ يمضي في سيره قاتلاً الاحساس بأي شيء ٠٠٠سوى الاطمئنان . المهم ان تنفيذه تكامل والنتيجة تحققت كما رسم لها ان تكون ، وعندما يموت ستستمر خطوات الرجال إلى الامام "[٣].في مقطع يغادر قائلاً : " احصد من الارض الخبز والحب والشمس ، حياتي نفير دائم حتى النهاية "[٤].

---

[١] نفسه ، ١٠٢ .

[٢] قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، ١٠٣ .

[٣] نفسه ، ١٠٤ .

[٤] نفسه ، ١١٢ .

ورصد القاص (ادمون صبري) في قصة (حكاية عن السلطان) اندثار القيم واضمحلالها في عالم الطموح والنجاح والشهرة من خلال بطل القصة المغني الذي يشتريه السلطان ويربيه ويدرسه فيغني للسلطان في الافراح والاحزان ويباغت السلطان من قبل اعدائه ويسجن ويذل ويهان ويحمل في قفص إلى قاعة السلطان الجديد الذي يرسل في طلب المغني فيكتشف الاخير خيانته له وحين يسأله عن سبب خيانته يقول له : "انك افسدتني ، وقتلت ضميري وخنقت احاسيسي الانسانية وجلعت مني بوقاً وطبلاً وصناجة ، جعلت مني لساناً عريضاً لأمجدك وارفعك واغطي عيوبك ومخازيك واتستر على ظلمك وتفاهتك ولقد فعلت ما فعلت وانا اكبح شعوري بالاحتقار لشخصك التافه"[1]. ويدرك المغني ان السلطان الجديد ليس خيراً من السلطان المخلوع لانه ايضاً يريد طبلاً وبوقاً وصناجة وحين يسأله السلطان المخلوع

-متى تموت مثل ميتتي ؟ يجيب قائلاً

سأموت مثل ميتتك وابشع منها وافظع عندما يأتي سلطان صادق عادل وانذاك لن احس لحياتي قيمة بل اكون مسروراً لان عهد الطبالين والبواقين والصناجين الذين يستخدمون لدى السلاطين قد ولى "[2]. ان المغني يرفض افساده له وقتله لضميره واحاسيسه

– ويحاول العودة إلى نفسه واسترجاع كرامته ولكنه يفشل ويدور في نفس الدائرة التي رسمها له السلطان المخلوع .

وتعكس قصة (العنكبوت) للقاص (لطيف ناصر حسين) انهيار القيم وفقدانها لدى بطل القصة الذي يتحكم فيه الماضي وتطارده ذكرياته المريرة وتدفعه إلى ارتكاب الجريمة ويحدث نفسه اثناء شرب الخمر : " تعودت ان اقبع خلف القضبان ،اجتر همومي بصمت ، كنت طفلاً صغيراً حينما فارقني ابي ، ولم اسأل عن الجهة التي ذهب اليها لأن امي التي كانت تحتفظ بشبابها وبثياب نومها الشفافة لم تهتم هي الاخرى لغيابه ، كانت تغدق علي اللعب والاشياء الجميلة التي سرعان ما

---

[1] ادمون صبري ، ٢٩٦ .

[2] ادمون صبري ، ٢٩٦ .

نبذتها والتصقت بنافذة الغرفة اراقب بزوغ الفجر وعودتها "[1]. ان انكسار القيم في عائلته وفي مرحلة طفولته ادى إلى انكسارها في نفسه ونجم عنه ارتكابه الجريمة . " كيف نسيت ان تغلق الباب علي تلك الليلة ، وعلى رؤوس الاصابع تقدمت من غرفتها فارتعش نصل السكين في يدي لوهلة شعرت انني غريب عنها تماماً ... انا الذي شهقت حين غار نصل السكين شهقت حين بللت وجهي الدماء وتوالت الطعنات وكان ظلي يرتسم فوق الجدران والسكين تعلو وتهبط "[2]. وتمتد الجريمة التي ارتكبها في الماضي بحق والدته ليقتل بنفس الطريقة جاره في الفندق لتعطي نهاية القصة مؤشراً واضحاً على انهيار القيم في نفسه وكأن الموت يسكن روحه وهو حي .

في قصة (اصداء) يحاول بطل القصة التمسك بقيم الوفاء والوفاء الابوية. فاحساسه بالذنب وتأنيب الضمير يطارده ويلقي بظله على تفكيره اذ يشعر في قرارة نفسه انه اهمل والده ووالدته وانشغل عنهما متعمداً وانه وصل إلى درجة العصيان واللامبالاة ويعيد إلى ذهنه صوت امه الذي يسمعه عند وصوله الباب فيتذكر لومها له وعتابها لانه تخلى عنها وعن والده واهملها ويتذكر موت ابيه في قطار ركبه لأجل رؤيته ، لأجل ذلك يقرر اعادة ترتيب حياته وصياغة علاقته بوالدته وان يجمع اثاثه واولاده ويرحل اليها ولا يتركها وحيدة

–سأحسم الامر اذن واجمع اثاثي القليل واولادي وارحل اليها ، اقبل يديها ورأسها وعينها واقول لها ، لقد عدت يا امي لن اتركك وحيدة تفترسك الذكريات[3] .

ورصد القاص (لطيف ناصر حسين) في قصة (الغضب) طغيان الانانية وحب الذات وفقدان القيم النبيلة لدى بطل القصة الذي يحاول قتل انسان اخر بدافع الاثرة ومحاولة امتلاك الطرف الاخر ، فبطل القصة يعاني من الاعاقة في ساقه تدفعه للاستعانة بعكازه ولا يتوانى عن الاعجاب بفتاة تستأثر بمشاعره ويحاول قتل من يحبها او يتقرب اليها "

---

[1] وجوه معتمة فوق زجاج صقيل ، ٨٤ .

[2] نفسه ، ٨٦ .

[3] رحلة الليل الاخيرة ، ١٠ .

قالت النسوة الملفعات بالعباءات سعيد الاعرج مخبول

قالت الفتاة الحلوة سعيد الاعرج مجرم

قال مفوض الشرطة لسعيد ، كدت تقتله بعكازك ٠٠٠ لماذا ؟

لم يقل سعيد شيئاً ولم يلتفت لاحد ، وكان يحاول اخفاء شيء ما يجول في عينيه"[١].

وشخص القاص (فؤاد التكرلي) في قصة (الدملة) ظاهرة فقدان القيم لدى بطل قصته التي تودي به إلى الهلاك اذ تتأجج في نفسه رغبة وشهوة محرمة لابنة زوجته لا يتمكن من السيطرة عليها فتغير مجرى حياته وتنقله من حالة الطمأنينة والاستقرار إلى القلق والضياع والتمزق . " انبثقت في ذهنه فكرة زيارتها الليلية ، بدت اول الامر فكرة جنونية حمقاء لا جدوى منها ، ثم نمت وتفرعت في ذهنه وقلبه كالسرطان الخبيث ، وانتهت مع الايام بأن تملكته والتهمته مثل وحش جائع٠٠٠ احس عن يقين انه سيموت لو لم ينفذها "[٢]. نهاية القصة تؤكد ان فقدان القيم وانعدامها لدى الانسان تقود إلى الهلاك فابنة زوجته التي تعرف رغبته غير المشروعة فيها تكشف امره وتدفع به إلى الاضطراب اثناء قيادة سيارته ثم غرقه في النهر .

وترفض بطلة قصة (الشعر المستعار) للقاصة (ديزي الامير) القيم الاجتماعية المتوارثة التي تعادي تحرر المرأة وتعدها كائناً ضعيف فالمرأة في القصة متعلمة ومبدعة تقول لمديرها : " لم اعد احس انني فتاة انا اعمل اكثر من الرجال واقوم بواجبات تضاهي او تفوق وظائفهم ولكنها سكتت فطالما وردت هذه العبارات امام الاصدقاء والصديقات واعتبر حديثها نكتة "[٣].

وحين تصدمها سيارة في الطريق يدعوها الرجال والنسوة إلى طلب المساعدة " هنا تلفون اتصلي بأبيك او اخيك او زوجك ليأت ويسكت هذه الاصوات٠٠٠ انت

---

[١] وجوه معتمة فوق زجاج صقيل ، ١٨ .

[٢] الوجه الاخر ، ٢٩٦ .

[٣] في ادبنا القصصي المعاصر ، ٦٦ .

فتاة ولن تستطيعي اقناعهم "[١]. وكأن القاصة تؤكد ان القيم المتوارثة في المجتمع تمارس ضغطها على المرأة وتقمع حريتها وانها تبقى في نظر تلك القيم كائن ضعيف بحاجة إلى المساعدة مهما بذلت من جهد .

ويتمسك بطل قصة (في الحانة) للقاص (ادمون صبري) بقيم الشهامة والدفاع عن ابنة شحاذة تتعرض للاذى من رواد الحانة فيندفع لحمايتها ويتعرض للضرب والاهانة ثم تقتاده الشرطة تاركاً خلفه الطفلة الشحاذة صارخة[٢] .

وشخصت قصة (الالهة الصغرى) للقاص ذو النون ايوب انكسار القيم وفقدانها بسبب السطوة والتسلط والطمع ، اذ يروي القاص حكاية فلاح يستولي على ارث اخيه ويحرم اولاده منه فلا يعطيهم الا القليل منه ، ويسعى ابن الاخ الى قتل عمه غدراً لاجل استرجاع املاكه وينجح في ذلك بمعاونة احد اعوانه . ان شخوص القصة تستسلم لاهوائها واطماعها وتسعى لتحقيق مآربها واهدافها٠٠٠ فيتحدث الراوي في القصة قائلاً " لقد قتل ابن الاخ عمه ، وما اكثر ما يقتل الاخ اخاه والابن اباه فتمتد بيد العقاب إلى الضعفاء والاغبياء فقط أما الاقوياء تلك الالهة الصغرى فهي تقتل كما قتل قابيل هابيل ، وكما تفتك الالهة بعضها ببعض ، كما جاء في اساطير اجدادهم الاولين"[٣]. وكأن القاص يعلن انعدام القيم واندثارها في ظل سطوة المال وتسلط الجشع والطمع .

وجسد القاص (غازي العبادي) في قصته (اغنية يموت لها الانسان) قيم الانتماء وحب الوطن اذ يحتمل بطل القصة في بلده الذلة والاهانة والفقر فهو عائد إلى العراق من بلاد الغربة ويحاول العثور على عمل وكل من يلتقي به يسأله لماذا عدت إلى العراق ؟ ويدور في ذهنه " ان كل شيء ينبع من تربة الوطن . الوطن هو الحقيقة الكبرى والموت فيه خير من الحياة خارجه "[٤]. ويتذكر انه في بلاد الغربة كان يبكي بلده وكان الحنين اليه يرهقه فيرمي بنفسه على الثلج ويبكي ويهزه سماع

---

[١] نفسه ، ٦٧ .

[٢] ينظر : ادمون صبري ، ٢٠٩ .

[٣] المجموعة الكاملة لذنون ايوب ، ١٥٧ .

[٤] حكايات من رحلة السندباد الثامنة ، ٨٥ .

اغنية ويحدث نفسه قائلاً : " هذا هو العراق الذي يسأله الذين هم في داخله ، ويبكيه من في خارجه "[1]. وعلى الرغم من بقاء قضية عمله معلقة وحزنه واساه وضيقه من تأخر حصوله على العمل فانه يفضل البقاء في الوطن والاحساس بالانتماء اليه رافضاً في الوقت نفسه عبودية الغربة .

يتضح مما تقدم ان القاص العراقي كان انساناً قبل كل شيء ، اهتم بقضايا الانسان ومشكلاته إلى جانب الاهتمام بفنية القصة وحاول تفسير الاشياء ووضع المقاييس من الناحية الانسانية .

وحاول القاص ان يكون حراً في تفكيره وان يعطي الحلول للمشكلات التي تواجه المجتمع وان يزرع قيماً جديدة للعلم والعمل والنضال والروح الجماعية المتعاونة ، وان يطرح اسس علاقة جديدة بين الرجل والمرأة في قصصه تستند إلى الفهم والمشاركة والمعاونة ويرسخ مفاهيم جديدة لوظيفة المرأة في العمل والابداع والتعلم والزواج .

وقد يفطن قارئ القصص إلى وجود ثورة خفية وغير معلنة ولكن لها احتجاجها ورفضها للاستسلام ودعوتها المبدئية لنبذ القيم القديمة واستحداث قيم جديدة للحياة وتوجيهها لكل ما هو صحيح .

لقد تمكن القاص من معايشة التغيير والانقلاب الحاصل في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وتمكن في قصصه من التخلص من ملامح المجتمع القديم ، وحاول ان يصنع شخوصاً جديدة لها فهمها للحياة وقدرتها على التعامل معها ، وتوجه بأفكاره ليعمق قيم العمل والحب والصداقة والتضامن والنضال والاهتمام بالجماعة وتوجيه التفكير والشعور والوعي الوجهة الصحيحة وان يرفض التعصب والجمود ، ويدعو إلى التماسك والتضحية والايثار .

لقد تمكن القاص العراقي من خلق انسان جديد في قصصه يحمل رؤيا ثورية تسعى لتغيير نمط الحياة السائد ، ويحاول التخلي عن القيم السلبية القديمة ويعمل جاداً على بناء عالم جديد من القيم الزاخرة بمعان الحياة النبيلة .

---

[1] نفسه ، ٩٧ .

وتعلم الباحثة يقيناً ان القصص التي تناولتها تؤكد ما توصلت اليه من نتائج وان القاص العراقي شغلته القيم الانسانية وسعى جاداً للتحرر من قيم قديمة سائدة من خلال شخوصه وطرح قيم جديدة بناءة تواكب حركة التطور الحضاري .

المبحث الثالث

التقاليد والعادات الاجتماعية

يعد التحرر الاجتماعي من أهم تطورات العصر الحديث ، فرضوخ المجتمعات للتقاليد والعادات والقيم التي تؤخرها ، والعلاقات التي يشوبها الزيف والنفاق والرياء من عوائق التقدم والتطور الحضاري . ومما لا ريب فيه ان هناك مفاهيم اجتماعية ايجابية بناءة تساعد على ترسيخ وتماسك اواصر المجتمع الانساني.

ان ما يشغل ذهن الباحثة وتحاول الكشف عنه في هذا المبحث هو هل كان للتقاليد والعادات استبداديتها بالانسان العراقي وسيطرتها عليه وتحكمها به ؟ او انه تمكن من فرز ما هو بناء وايجابي ومفيد للمجتمع ، وكذلك رفض ما هو سيء وردئ وضار للمجتمع ؟ وهل كان القاص العراقي قريباً من الواقع شديد الصلة به داعياً إلى تحريره؟ او انه كان ذاتياً مشغولاً بهمومه الفكرية والنفسية . وهل كان القاص رافضاً مهاجماً داعياً للتغيير او كان حيادياً او مستسلماً راضياً بها ؟ هذا المبحث محاولة للكشف عن أفكار القاص ومواقفه وآرائه حول قضية التقاليد والعادات الاجتماعية وهي ليست إلا محاولة اولية لا يمكن ان تكون شاملة بأي شكل من الاشكال لأن قضية التحرر من التقاليد والعادات لها سعتها وتشعبها وتشابكها .

ويتبادر إلى الذهن تساؤل مفاده هل يستطيع الانسان ان يستقل بفكره وحياته بعيداً عن مؤثرات المجتمع ، وان يحصن نفسه من كل ما يحيط به من عادات وتقاليد تسود في المجتمع وان يكون هو ذاته؟ ان مثل هذا التساؤل لا يتناسب مع رأي علماء الاجتماع الذين وجدوا : " ان الانسان هو نتاج طبقته وطائفته ونظمه وعاداته وتقاليده وان البشر يتوافر لديهم استعداد يكاد يكون دون حدود التشكل ومن ثم فالانسان هو اساس انتاج المجتمع الذي يعيش فيه وشخصية اجتماعية اكثر منها بيولوجية"[١] .

---

[١] الانسان بين الجوهر المظهر ، ٩ .

ان تغيير نمط تفكير الانسان في بعض الاحيان يحدث نتيجة ضغوط معينة او مستجدات جديدة او قضايا حيوية او مشاكل طارئة ، تدفع الذهن إلى التفكير الجدي لايجاد حلول حقيقية لها وهذا بالنتيجة يؤدي إلى تحسين طرق التفكير ، وللاساليب العلمية دورها في انارة الفكر وتوجيهه الوجهة الصحيحة وهي لا تقتصر على التفكير الشخصي وانما تتطرق إلى الجانب العملي والسلوكي في الحياة ولما كان التحرر الاجتماعي من جوهر حياة الانسان ووجوده فكان التوجه اليه من اولويات القضايا الفكرية التي رافقت التحرر والتطور الحضاري " لأن الأساليب العلمية قد انارت سبيلنا ، وهدتنا إلى معرفة ما نقوم به من عمل وما نأتيه من تفكير واحساس ، فساعدتنا على تحرير انفسنا من قيود التعصب والخرافات"[١].

وعليه فان المثقفين يميلون إلى التفكير المعقد في الاشياء وتمتلئ نفوسهم بألوان متعددة من الطموح وهم يصارعون رغباتهم النفسية المختلفة فضلاً عن ذلك هناك عقبات كثيرة في المجتمع والحياة قد تكون تلك العقبات واضحة ومنظورة وبالعكس .

اذ تزداد ازمات المثقفين في مراحل التطور الاجتماعي أكثر منها في أي وقت اخر لعل ابرز المراحل الاجتماعية التي تنمو فيها ازمات المثقفين هي المراحل التي تتحدد فيها اهداف عامة للمجتمع تفرضها ظروف معينة بحيث تتاح للافراد حريات مطلقة في التفكير والنظر إلى الامور[٢] . وثمة رأي يؤكد ان القصة العراقية اجتماعية تتحدث عن اناس عراقيين يعيشون على الارض ، واكثر هؤلاء الناس من العامة تلتقي بهم في الشارع والسوق والحقل والمصنع ، وهم فقراء وكادحون يبذلون من الجهد كثيراً ولا ينالون من الخبز ما يسد حاجتهم ، وعلى الرغم من بؤسهم هم

---

[١] علم النفس في حياتنا العملية ، د. برنهارت ، ت ابراهيم عبد الله محيي ، مكتبة اسعد، بغداد ، ط٤ ، ١٩٨٤ ، ص١٧ .

[٢] ينظر : تأملات في الانسان ، رجاء النقاش ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت، ط٥ ، توزيع المكتبة العالمية ، ١٩٨٨ ، ص١٤٠ .

طيبون[١] . ويرى الدكتور سهيل ادريس ان القصة العراقية تقف في طليعة الانتاج القصصي العربي المعاصر من حيث انعكاس الاوضاع الاجتماعية في مرآة الادب[٢] . ويمكننا ان نعد التقاليد مرآة تعكس ثقافة المجتمع وترتبط هذه التقاليد بالتعبير الاجتماعي والفعل الاجتماعي ارتباطاً وثيقاً . ويؤكد بعضهم ان هناك روحاً متميزة لكل ثقافة أو حضارة لاية امة من الامم فالامة اية امة لها صورة ، وعمق هذه الصورة هو الذي يحدد وعي الامة بذاتها أي ملامحها التاريخية وتقاليدها ورموزها[٣] .

ولعل الصراع الذي يدور بين النمط التقليدي والنمط الثوري الجديد هو الذي يولد الازمات ويخلق العنف ويسبب البلبلة والفوضى في المجتمعات ، وهذا الصراع ليس باليسير والهين ، فالتناقض القائم بين النمطين كبير والهوة سحيقة ومن الصعب جداً التقائهما او انسجامهما مع بعضهما . ومن الممكن السيطرة على التقاليد وزحزحتها وايضاً ازاحة التقاليد القديمة واستحداث تقاليد جديدة مناسبة ، وهذه نتيجة حتمية لعميلة التحرر والتطور الحضاري والاتصال الفكري والثقافي والانساني بين الشعوب المتحضرة " ان الامة لا تقلد إلا ما ترغب فيه وما يوافق عقائدها ، ولا تقف موقف المقلد إلا من امة تفوقها في الثراء الفكري ، والتقليد ينتج في زحزحة التقاليد الثابتة بما يستخرجه من تيارات الجدة والاستحداث ، وهذه تعمل عملها في بطء ومثابرة متخذة سلاح الاقناع وحرية الاختيار "[٤].

ويدل هذا على ان للتقاليد سطوتها وتحكمها بابناء المجتمع ، وان كثيراً من الناس ولاسيما ضعاف الشخصية والبسطاء منهم الذين يتصفون بالجمود الفكري

---

[١] ينظر : في القصص العراقي المعاصر ، ١٤٨ . وينظر : النقد الادبي الحديث في العراق، د. احمد مطلوب ، معهد البحوث والدراسات العربية ، مطبعة الجيلاوي ، ١٩٦٨ ، ص٣٠٣ . وينظر : ادباء العراق المعاصرون ، ١١١ .

[٢] ينظر : النقد الادبي الحديث في العراق ، ٢٩٨ .

[٣] مطارحات ثقافية ، محيي الدين اسماعيل ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٣ ، ص١١٣ .

[٤] تاريخ الادب المقارن ، ٤٧ .

الفكري ينساقون للتقاليد انسياقاً اعمى ، ولكن المثقف يكون على العكس من ذلك لان " المثقف صاحب معرفة وقضية وموقف انساني عام ولديه وعي بذاته وبما حوله "[١]. فانه من الصعب عليه جداً الرضوخ لتلك التقاليد او تقبلها او الانسجام معها ، وهو ما يؤدي إلى خلق المعاناة لديه وتزايد حالة الصراع الفكري واحياناً الاضطراب النفسي وعدم القدرة على التكيف مع الواقع .الامر الذي يدفعه إلى اتخاذ موقفين فهو اما ينهار مستسلماً خاضعاً واما يندفع للابداع اكثر ، وكثير من الاعمال الابداعية ابدعت من هذا المنطلق " ان الاديب عندما يعجز عن التصالح مع مجتمعه ، ويفشل في التوافق مع تقاليده وقيمه يتولد بداخله الصراع وتحتدم باعماقه عوامل التوتر والقلق التي تأخذ اتجاهات شتى للتعبير عن نفسها "[٢].

اما العادات فهي جزء جوهري في شخصية الانسان ومن خلالها يمكن تميزه ."فالشخصية : مجموع العادات والاتجاهات العقلية وميول السلوك الثابت للفرد ويمكن وصف بعض تلك العادات كما يمكن قياس بعضها الاخر بدرجة ما من التحديد والاتقان ، وعلى الرغم من ظهور بداية حقيقية لقياس الشخصية فان كثيراً مازال ينتظر قبل ان تعد مقاييس مميزات الشخصية قد اكتسبت صفتها كطريقة عملية يمكن الاستفادة منها"[٣]. لذلك لا بد ان تتميز الشخوص القصصية ببعض العادات الاجتماعية وتؤثر في حضورها ومدى تفاعلها مع المجتمع .

ويمكن تعريف العادات بأنها " مجموعة الاحوال الحركية والانفعالية والذهنية التي تكيف الانسان إلى احوال العالم المادي والوسط الاجتماعي المحيطين به"[٤]والعادات ايضاً "صيغة مكتسبة في السلوك كمهارة حركية او نظرية او طريقة في العمل او التفكير وتذكر العادة حتى يتصرف الانسان بطريقة الية مع السرعة

---

[١] شخصية المثقف في الرواية العراقية ، ٨ .

[٢] من حديث القصة والمسرحية ، ٢٨٢ .

[٣] علم النفس في حياتنا العملية ، ١٥٣ .

[٤] المدخل إلى علم النفس ، د. صالح الشماع ، جامعة بغداد ، ص٦١ .

والدقة والاقتصاد في المجهود"[١].اذ ان العادات تكتسب بمرور الزمن ومن خلال الاعتياد على عمل شيء معين بصورة الية "يقصد بالاعتياد صيرورة الفرد متكيفاً مع مثير معين او وضع خاص او بيئة معينة ، وفي علم النفس هي استعداداً وميل للعمل في احوال خاصة بطريقة منتظمة بسيطة "[٢].

ومن العادات الجائرة التي اساءت إلى المرأة كثيراً عادة الزواج المتبادل او ما يسمى (الكصة بكصة) فهذه العادة الرجعية المتخلفة كانت دوافعها غالباً المنفعة الذاتية على حساب انسانية المرآة . وفيها يزوج الرجل اخته او ابنته او قريبته مقابل تزوجه باخت او قريبة رجل اخر وهذا الزواج كانت تصاحبه مشاكل الطلاق ، اذا اختلف احد الزوجين مع زوجته ، ترتب على الطرف الثاني ارسال زوجته إلى اهلها ريثما تعود زوجة الطرف الاول إلى زوجها[٣] . وكذلك اخذ المرأة تعويضاً في قضايا (الحشم) ويعني التعويض عن الاعتداء على كرامة الاخرين بالكلام او المعاكسة او الاهانة او ما يمس الشرف ، اذ تتفق على سبيل المثال قبيلتان متعاديتان على صلح يتضمن تقديم عدد من النساء او الحيوانات او المال تعويضاً على الخسائر في الارواح والاموال التي منيت بها احدى القبيلتين[٤].

ومن العادات الاجتماعية الجائرة التي كانت تنتشر في المجتمع العراقي ما ترتب على نظام (الفصل العشائري) وهو الذي يقصد به (زواج الفصلية) وفيه يجحف حق المرأة اذ تدفع كتعويض او فصل لذوي المجني عليهم حيث تساء معاملتها وتحدد حريتها الانسانية ويغدر حقها في الاختيار[٥]. وكذلك عادة قتل الفتاة (غسلاً للعار) التي تعد من المظاهر الشائعة في الريف وغالباً ما تكون وسيلة للظلم

---

[١] مفاهيم في الفلسفة والاجتماع ، ١٧٥ . ينظر : مبادئ علم النفس ، د. مصطفى غالب ، منشورات مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص٥٩ – ٦٠ .

[٢] مفاهيم في الفلسفة والاجتماع ، ١٧٥ .

[٣] ينظر : الرواية العراقية وقضية الريف ، ٢٨٧ .

[٤] ينظر : نفسه ، ٢٩١ .

[٥] ينظر : الرواية العراقية وقضية الريف ، ٢٩١ .

والعهر فالرجل يسارع إلى قتل المرأة فوراً لمجرد ريبة تثار حولها صدقاً او كذباً ، وهو يقتلها ليغسل بدمها عاره وعار عشيرته[١] .

وقد عانت المرأة العراقية من مشاكل اجتماعية خطيرة ناجمة عن التقاليد السائدة في المجتمع ، ومن المشاكل الحرمان من الحب ومن اختيار شريك الحياة بحرية ، وكذلك الزواج بالاكراه والاغتصاب والقتل غسلاً للعار والتغرير بالفتاة وتركها للمصير التعس بعد النيل منها واللجوء إلى بيع الجسد والمتاجرة به فضلاً عن ذلك انزلاقها في مهاوي الرذيلة بسبب الفقر والحاجة المعاشية[٢] . وكان وضع المرأة في العراق يتمثل بكونها الة انتاج قابلة للبيع والشراء ولا يقتصر انتاجها على الاطفال ، بل يتعداه للعمل لحساب مالكها الزوج ولهذا المالك حق اتلاف هذه الالة (قتلها) كأي الة اخرى في حالة عدم صلاحيتها للاستعمال واستبدالها بأخرى وطلاقها وزواج غيرها او الحصول على اخريات مثلها في ان واحد (تعدد الزوجات) ان ساعدته الظروف على ذلك [٣]. ولم يكن للمرأة سابقاً حق العلم بقرار الرجل اذا تزوج عليها ، وكذلك لم يكن لها حق الاعتراض عليه ، وقد تجبر على القبول به على الرغم من الالم الكبير الذي تعانيه من جراء ذلك ، وقد تنحدر إلى مستوى التنافس من اجل انتزاع اكبر حصة ممكنة من الرجل المشترك، تنافس غير منطقي وغير عادل يرفضه الوعي الانساني[٤] . وكان الاجبار على الزواج من التقاليد والعادات البائسة التي الغت وجود المرأة وكيانها الانساني فالزواج في سن مبكرة والتفاصيل المهينة في الحياة الزوجية واقتران ذلك برفضها او تطليقها اذا انجبت اناثاً ، والامر يعد مسبة لها وعار ، وادانتها وتجريمها واحتقارها بسبب ذلك واجبارها على انجاب الصبيان واخذها إلى بيت الطاعة ونشوزها ان هي امتنعت وطردها من بيت الزوجية ومصادرة

---

[١] ينظر : الرواية العراقية وقضية الريف ، ٢٩٤ .

[٢] ينظر : ملتقى القصة الاول / ٢٠٤

[٣] القصة النسائية القصيرة / ٦ .

[٤] ينظر : نفسه / ٥ .

اطفالها وهجرها دون تطليقها لمنعها من منح جسدها لرجل اخر ، او تطليقها برمي يمين الطلاق غيابياً [١].

كيف يكون للمرأة ان تتحرر من تاريخ طويل من العبودية والاكراه والاذلال والامتهان . وكي تتحرر المرأة فانها دفعت الثمن غالياً من عمرها وجهدها وتفكيرها وعلى الرغم من ذلك لم تصل إلى مستوى التحرر الفعلي والجوهري. والان وبعد ان كانت تقمع بالتقييد والحرق وحزام العفة صارت تقمع بوهم المساواة الذي حولها إلى مخلوق (ملتبس للجنس) بعضها رجل وبعضها امرأة[٢]. لقد احتل موضوع تحرير المرأة مكانة متميزة في الكتابات القصصية التي وقفت إلى جانب قضيتها متعاطفة معها ومنحازة لها باعتبارها كانت تضطهد مرتين من الرجل الذي يفرض سطوته عليها ومن النظام الاجتماعي السائد الذي كان يظلم الاثنين معاً [٣]. لذلك رافق موضوع تحريرها نشوء القصة ، وكانت موضوعات حريتها ووضعها الاجتماعي محور اعمال القصاصين العراقيين[٤] . فضلاً عن ذلك فان التقاليد العشائرية كانت تمارس تأثيرها باستمرار في حياة المدينة وكانت الاحداث والوقائع المجسدة لهذه التأثيرات موضع اهتمام ومتابعة القصة العراقية "[٥] "يحتوي المكان على بنى مشتركة في اعرافها وتقاليدها من حيث توسل المجتمع لهذه الاعراف والتقاليد التي تؤلف الشفرات ٠٠٠وتخلق عالماً ثقافياً ٠٠٠ يجسم الطريقة التي يفكر بها المجتمع ويتكلم "[٦].

ان القصة العراقية شخصت التقاليد السائدة ومنذ البداية نشوئها فالتفت المترجمون إلى القصة التركية الحديثة لما حملته من نزعة حرة واتجاه نحو الاصلاح الاجتماعي ، والسخرية من كثير من القيم والعادات والتقاليد التي كانت تكبل

---

[١] القصة النسائية القصيرة ، ٤ .

[٢] نفسه ، ٤ .

[٣] ينظر : ملتقى القصة الاول ، ٢٠٢ .

[٤] ينظر : في ادبنا القصصي المعاصر ، ٨١ .

[٥] ينظر : المدينة في الرواية العراقية ، ١٢٨ .

[٦] الفن القصصي والروائي في ادب موسى كريدي ، ١٧٩ .

المجتمع التركي وتعوق تقدمه[١]. وطالب كثير من الادباء العراقيين والمفكرين بمعالجة تلك التقاليد والغاء سيطرتها على المجتمع واتاحة الفرصة للمواطن العراقي للتصرف بحرية وخارج ضغط القيود الاجتماعية المفروضة ولاسيما ما يتعلق بشؤون المجتمع والمشاكل الحياتية المختلفة . ولجأ القصاصون العراقيون إلى انتقاد المجتمع انتقاداً لاذعاً لاحساسه بان الحواجز التي تعيق نهضة المجتمع والفرد تبدو صعبة جداً ومن غير الممكن تجاوزها ، وتمكن من ذلك من خلال شخصية البطل المصلح في القصة . ويمتزج في بعض الاحيان الانتقاد المر للاوضاع بسخط ممزوج باليأس ، الامر الذي يدفعه إلى نقد كل ما يحيط به من اوضاع وظواهر اجتماعية وقيم وافكار ، فيدفعه ذلك إلى رفض كل قديم ظناً منه ان هذا القديم المرتبط بالبيئة الشعبية بالتراث والقيم هو سبب التخلف في المجتمع .

واذا تمكن المجتمع من ازالة هذا القديم استطاع تحقيق النهضة والتطور وازالة العوائق والحواجز ومن هنا فانه هذا البطل يظل ينشد التغيير وراغباً بالاصلاح وراسماً صورة المستقبل المنشود[٢]. " ان نموذج الاديب في العصر الحديث هو نموذج الفرد الثائر على جمود التقاليد الذي يحاول ان يعيش عصره ، وان يخلق رؤيته الخاصة ومن ثم لابد ان يكون قدر من اصالته اثباتاً لذاتيته في مواجهة مجتمعه "[٣].

وهاجم كتاب القصة العادات والتقاليد السائدة ورصدوا جوانبها السلبية فضلاً عن ذلك فانهم طعنوا النظام الذي عمل على تغذيتها . وانطلقوا في هجومهم بدافع رغبة قوية لتغيير الاوضاع السياسية والاجتماعية السيئة التي كان لها الاثر الكبير في زيادة وحدة تمسك الفلاحين بتلك الاعراف المتوارثة ورسوخها [٤]. واتخذ القصاصون من احداث قصصهم منفذاً لعرض التقاليد الاجتماعية البالية ، وهاجموا

---

[١] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٨ .

[٢] ينظر : البطل المصلح في الرواية العراقية ، ١٨ و ١٩ .

[٣] النقد الادبي الحديث ، ٥٧ .

[٤] ينظر : الرواية العراقية وقضية الريف ، ٧٦ .

جمود المجتمع ورجعيته الفكرية داعين إلى تقاليد جديدة ونابذين في الوقت نفسه التقاليد القديمة . وتطرق القصاصون إلى الزواج بالاكراه وزواج الكصة بكصة ، والزواج من ابنة العم او تعدد الزوجات وغيرها من انواع الزيجات فضلاً عن ذلك تناول القصاصون التقاليد السائدة في القتل غسلاً للعار ووأد البنات والثأر ووضع الحواجز امام الحب وخنقه والتعتيم عليه وغيرها من التقاليد القديمة[١] .

وبذل القاص العراقي جهداً كبيراً لتشخيص تلك التقاليد والوقوف بوجهها وادانة من يلتزم بها منطلقاً من فكرة " ان التمسك بالموروث الرجعي من التقاليد والاعراف والايمان بالخرافات وانتشار الشعوذة وتضليل الناس البسطاء تحت ستار الدين جميعها من مظاهر التخلف الحضاري[٢] . وانتقدت القصص الاجتماعية امراضاً كانت تفتك بالمجتمع العراقي وتفتخر به كالثأر والقتل غسلاً للعار ، وسخر بعض القصاصين من الحجاب ودعوا الى تعليم المرأة وخروجها إلى الحياة العملية وقد شغلتهم هموم المرأة ودعوا إلى تحريرها[٣] .

ونقد القاص (عبد الرزاق الشيخ علي) في قصصه قيود التقاليد ، ومنها تقاليد الزواج غير المتكافئ في قصة (رماد) ، اذ تزوج الفتاة من شيخ فانٍ الامر الذي ينجم عنه ضياع الاسرة والزواج غير المتكافئ احد الامراض الاجتماعية السائدة في المجتمعات المتخلفة ، وكذلك قصة (بيض الله وجهك) اذ تهرب الفتاة مع حبيبها لأن والدها يريد تزويجها من رجل لا تحبه فيبحث عنها اخوها ثم يقتلها بغرس الخنجر في صدرها وقصة (صورة عارية) التي يرد فيها الاب الخطاب عن ابنته فيزوجها من شيخ غني يموت بعد ان تبددت ثروته الامر الذي ينجم عنه ضياع الفتاة [٤].

وتناول القاص (يوسف يعقوب حداد)التقاليد التي تؤثر في المرأة تأثيراً سلبياً ، فشخص في قصصه المرأة التي تفشل في حبها جراء ما يحيط بها من تقاليد ، والمرأة التي تخشى الضياع والقسوة ، ورصد قضية المرأة التي تزف إلى غير من

---

[١] قصاصون من العراق ، ٢٦ .

[٢] ينظر : رحلة مع القصة العراقية ، ٩٨ .

[٣] ينظر : نشأة القصة وتطورها في العراق ، ١٥١ .

[٤] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٢٨١ .

تهوى . ان طرح القضايا لم يكن يخلو من توجه انساني يقترن بالاول ليبحث عن العدالة واعادة تنظيم الحياة بالشكل الصحيح ففي قلمه " انسانية حانية ، وعطف بالغ على اشخاص قصصه ، وايحاء بالرغبة في صنع المستحيل في سبيل خلاصهم والاقتراب بهم مما يبقون او يريدون "[١].

ومن العادات الاجتماعية التي كانت سائدة في معظم مدن العراق ومنها مدينة البصرة التي رصدها القاص (جعفر الخليلي) زواج البنت الكبرى قبل التي تليها في السن ، وبمرور الزمن وبفعل التطور الحضاري تضاءلت هذه العادة واندثرت وهي عادة انطوت على نظرة ضيقة للامور ومحدودية التفكير وضيق الافق ، وكان القاص قد وقف منها موقفاً نابذاً ورافضاً وعالجها في كلمات على لسان متسائل شاك يقول فيها : " انت بائعة لحم اذاً ، يا ام احمد تحتفظين بخير جزء للعرض امام المشاهدين ، وتبيعين الجزء الرديء المحشور في ثنايا الجيد"[٢].

وعالج القاص (جعفر الخليلي) ظاهرة العادات الاجتماعية مؤيداً الايجابية منها ورافضاً السلبية ، مسجلاً ومصوراً العادات الايجابية وطالب بالتمسك بها منطلقاً من فكرة ان التمسك بها يعد نوعاً من احلال البركة ، وهذه العادة تتم في معيشة الاسرة في بيت واحد فيقول : " ان مثل هذه العادة تجعل الاسرة (امة)شعباً كاملاً حتى لو امتلأ البيت بالاطفال إلى درجة الفيضان وخلق من صخبهم وعجيجهم جحيماً "[٣]. ونقد في قصته (الزواج بالاكراه) تقاليد الزواج وقيوده في العراق من خلال اجبار الاهل على زواج الرجل من فتاة لا يحبها ثم تطليقها . وفي قصة (ابن وام) صور القاص مآسي الطلاق ودور الحماة في احداث الشقاق بين الزوج وزوجته . وفي قصة (ايهما احق بالزواج) عرض القاص مشكلة تزويج الاخت الكبرى قبل الاخت الصغرى مما يولد العداء بين الاختين وينغص حياتهما[٤] .

---

[١] ينظر : دفاتر ثقافية ، ١٠٢ .

[٢] ينظر : جعفر الخليلي ، ٢٠٢ .

[٣] ينظر : نفسه ، ٢٠٢ .

[٤] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٨٩ .

ورصد القاص جعفر الخليلي في قصة (لقمة سائغة للحوض) نمطاً من التقاليد والعادات الاجتماعية السائدة التي يسخر منها ضمنياً في القصة . اذ صور القاص الشيخ احمد المنحدر من اصل قفقاسي ، وهو والد ثماني بنات توفيت ثلاث منهن خلال بضعة ايام من ولادتهن . يصاب بلوثة عقلية بسبب انجابه المستمر للاناث ، فعندما تضع زوجته للمرة التاسعة ابنتين توأمين يصل الشيخ إلى درجة الانهيار فيحمل كلتا التوأمين المولودتين حديثاً ويقذف بهما في الحوض . فالقاص ينتقد ويسخر من الشيخ الذي يخاصم زوجته لانها تنجب له البنات والذي لا يتورع عن قتل ابنتيه التوأمين باغراقهما في حوض الماء ، وعلى الرغم من بساطة تصوير القاص للقصة ولكن السخرية الكامنة في مضمون القصة تصدمنا لضيق تفكير بعض الناس ولرداءة التقاليد والعادات السائدة[١] . ورصد القاص عادة اجتماعية اخرى تناول فيها اتباع النسوة احدى العادات وفيها تقوم المرأة عند طبخ الرز بالصفير ، كالطيور حين تسقسق منذرة الجن لئلا يسعفوا بالماء المغلي (الفوح) عندما يصب في البالوعة وإلا فان الجن قد تثأر نفسها من اهل البيت[٢] . وربما هذه العادات تضاءلت بعض الشيء وحل محلها الاعتقاد ان لا تسقط ربة البيت حبوب الرز في البالوعة لأن سقوطها ذهاب البركة من البيت ، وانعدامها .

وتناول القاص عادة قرع الطبول من قبل أفراد يجوبون الشوارع معلنين أوقات الصيام والإفطار وقبل إطلاق المدفع للغرض ذاته[٣] .

وهي عادة مازالت مستمرة وعلى نطاق واسع في الوطن العربي ، تضيف لشهر رمضان الكريم خصوصية متميزة .

وثمة عادة اجتماعية اخرى رصدها القاص في قصصه وفيها "يتناول العريس شمعة من يد العروس ، ويقبل جبينها ، ويخر راكعاً على ركبتيه ويبتهل إلى الله ان

---

[١] ينظر : جعفر الخليلي ، ١٧٨ . وينظر القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ص٨٨ .

[٢] ينظر : نفسه ، ٢٠٢ .

[٣] ينظر : نفسه ، ٢٠١ .

يسبغ عليها وعلى الاسرة بركته ، وقد تضطلع سيدة جليلة القدر جداً بغسل قدمي ويدي العروس والعريس"[١].

ومن العادات الاجتماعية التي رصدها القاص (موسى كريدي) في قصة (غرفة نصف مضاءة) مسألة تسلم فنجان القهوة باليمين وليس بالشمال ، وشغلت هذه المسألة بال بطل القصة فبعد ان قدم البدوي القهوة لنافع ، مد نافع يده اليسرى عندها "حدق البدوي في وجهه بغضب :

- يمينك

لقد ضحك مرتين إلا انه سرعان ما انتبه إلى هذا الامر حيث مد نافع يده اليمنى ، سمع صيحته :

- أي نعم ... هلا"[٢] .

وفي قصة (حلاق اللحى البيض) شخص القاص (أدمون صبري) جمود بعض الناس في ممارسة عادات معينة "إذ ينصرف الشباب عن دكان الشيخ عبد الغفور الحلاق لانه قديم ولم يتطور مع متطلبات الحياة الجديدة في عمله"[٣] .

فالحلاق عبد الغفور يمارس عاداته بدأب وتواصل فكأنها جزء من حياته ووجوده وكيانه وأبرز عاداته تمسكه بما هو قديم وعدم تخليه عنه مهما تقدم وتطور المجتمع "ان الشيخ عبد الغفور ظل مخلصاً لمصباحه الزيتي مفضلاً اياه على الكهرباء ، وظل مخلصاً ايضاً لمروحته التي تدار بعد ان شاعت المروحة الكهربائية في دكان بائع الكباب"[٤] .

وهو يعتاد الأساليب القديمة في الحلاقة رافضاً الأساليب الجديدة مستنكراً لها ومحتقراً اياها فيضيق الشباب به ويتهربون منه ، ويظهر في الحي فجأة حلاق شاب جديد يتبع الأساليب الحديثة المتطورة يلفت انظار الجميع ويتحمس الشباب لقدومه ولكن الشيخ عبد الغفور يجابهه بالرفض والاستنكار ، وينهي القاص القصة بموت

---

[١] جعفر الخليلي ، ٢٠٢ .

[٢] الفن القصصي والروائي في أدب موسى كريدي ، ١٤٤ .

[٣] ينظر القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ١٨٣ .

[٤] أدمون صبري ، ١١٩ .

الشيخ عبد الغفور ويقول : ان عهداً مغرقاً بالقدم قد مات مع موت عبد الغفور كما ان حياة جديدة صارت تشع من كل مكان"[١].

وكأن القاص يؤكد ان العادات البالية والتعصب والجمود في الحياة لابد ان تندثر وتضمحل ويقضي عليها بفعل التطور والتقدم ، وكل شيء يخضع للتغيير والتجدد .

ورصد القاص (ذو النون أيوب) في قصة (زهرة في الرغام) عادة اجتماعية متبعة في أكثر اجزاء الوطن العربي تدل على انعدام العدالة الاجتماعية وسيادة الظلم الاجتماعي وهذه العادة تكمن في مؤاخذة الفتاة على سمعة وأخلاقية أهلها السيئة .

تتحدث القصة عن فتاة ولدت في وسط عائلي رديء يرغب فيها لجمالها أحد الاغنياء ، فتأبى عليه لطهارتها فيضطر إلى الزواج منها ثم يلفظها بعد ان يشبع شهوته[٢].

سجل القاص في هذه القصة صورة اجتماعية من المجتمع العراقي[٣] . وكأن القاص يؤكد ان العادات والتقاليد والأعراف تسحق الإنسان وتغتال وجوده فالشاب الذي تزوج الفتاة يقرر تركها على حين غفلة : لم يجد الشاب مفراً من ان يعقد عليها بعقد مسجل وبصداق مقدم ومؤجل ، فلما خفت حدة الغرام بعد الزواج بعدة اشهر رجع الشاب إلى صوابه ، ووجد ان صوابه لا يقر له ان يصبح مضغة في الأفواه لأنه تزوج من صبية يقضي العرف بان تحاسب على سلوك جدتها وعمتها وخالتها وأم أم أبيها وكل أقاربها من النساء دون الرجال"[٤]. ويؤكد القاص في نهاية القصة النهاية الحتمية للفتاة من حلال حديث الصديقين عن الفتاة فأثناء سيرهما يرى احدهما وردة جميلة تداس من قبل عابر سبيل وكان القاص يشير إلى ان هذه العادة المتبعة هي التي تؤدي إلى ضياع الفتاة وسقوطها .

---

[١] ادمون صبري ، ص١١٩ .

[٢] ينظر الأدب القصصي في العراق ، ج١ ، ٢٣٣ و ٢٣٤ .

[٣] ينظر القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٢١٤ .

[٤] الآثار الكاملة للقاص ذو النون أيوب ، ١٨٥ .

وسجل القاص ذو النون ايوب في قصة (دماء) صورة اجتماعية من المجتمع العراقي[١] . وهي عادة القتل غسلاً للعار وفي القصة رصد لمن يرتكب الجريمة خفية والتي يسمع بها الناس ولا يعرفون مرتكبيها[٢] . وكأن القاص يشير الى بشاعة وقسوة من يرتكب جرائم القتل واقترابه من الهمجية والوحشية والبدائية. يتحدث القاص عن طبيب يقتاده بعض الاشخاص مكمماً ومعصوب العينين إلى مكان مجهول ، ويحيط به رجال ريفيون اشداء تبدو الشراسة في حركاتهم وسكناتهم ويطلب منه كبيرهم ان يخبره نتيجة فحصه لفتاة لديهم ان كانت حاملاً أم لا ." قام الطبيب بمهمته والرعب يكاد يقتله ، وقرر بأنها حامل ، وما كاد ينطق بحكمه حتى رأى الخناجر تفري بطن الفتاة واخرج من بطنها جنين قرر بان عمره ثلاثة اشهر "[٣]. يدين القاص اولئك الذين يصدرون الاحكام وينفذونها نابذاً عادة القتل غسلاً للعار .

في قصة (ملاريا) للقاص (ذو النون ايوب) يتمسك اهل القرية بتقاليدهم القديمة ولا يتنازلون عنها في جميع الاحوال ومختلف الظروف اذ تتعرض القرية للاصابة بمرض الملاريا وينسى او يحاول الاهالي تناسي واقعهم فيتمسكوا بجماعة الاطباء التي قدمت إلى القرية لمعالجة المرضى . "لما انتهينا من تلك المهمة التي تفطر القلب وتفيض النفس حتى قصدنا سيارتنا لنهرب من ذلك الجو الذي يخيم عليه السقام ولكن كبير القوم وهو أنظفهم جسماً واحسنهم بزة اعترض طريقنا بعد ان اعتذر لغياب شيخ القرية او القبيلة اخبرنا بأنه يستحيل ان نغادرهم قبل ان يقوموا لنا بواجب الضيافة ، أي ان يتحتم علينا ان نتناول الغداء عندهم ، فجادلناه بالحسنى للتخلص من هذه الورطة ولما وجدناه يعد امتناعنا عن تلبية طلبه اهانة لتقاليد العشيرة ، فرضخنا لمشيئته"[٤]. ويتكرر التمسك بالتقاليد حين يستضيف اهل القرية اعرابياً غريباً فيلاحظ احد افراد البعثة الطبية اهتمام اهل القرية بالاعرابي ومحاولة اكرامه على الرغم من الظرف المرضي العصيب الذي يصيب اهل القرية " رأيته

---

[١] ينظر : القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ٢١٤ .

[٢] ينظر : الادب القصصي في العراق ، ٢٣١ .

[٣] الاثار الكاملة ، ذو النون ايوب ، ١٨٩ .

[٤] الاثار الكاملة ، ذو النون ايوب ، ١٢ .

ينهض فيتناول بقية الاكل ويضعها امام اعرابي لا يختلف عن غيره سحنة وبزة حتى ظنناه احدهم . ولكن ذلك الايثار دلنا على انه ضيف مثلنا ، فمن واجب القرية ان تطعمه احسن ما تأكل وتأويه في احسن مكان لديها حتى يطيب له الرحيل "[١]. هناك وجه ناصع ومضيء للتقاليد يقوي ويشد من اواصر المجتمع والعلاقات الانسانية واكرام الضيف خصلة عربية اصيلة وتقليد متعارف عليه منذ سنين طويلة وهو من انبل واجمل التقاليد العربية .

وشخص القاص (موفق خضر) في قصة (الماء العذب) تحكم التقاليد بالمجتمع إذ تختنق حريات الافراد وتسلبهم الاحساس بالامان . فيرصد القاص تحركات بطله الذي يقع اسيراً لشكوكه من ان هناك من يراقبه ويحصى حركاته وهو خارج من السجن الذي قضى فيه سبع سنوات فيخشى الانتقام منه طلباً للثأر. وعلى الرغم من ذلك يجازف بالخروج من البيت ، ويحدث نفسه في المقهى . " سيخرج من المقهى وليكن ما يكون اتراهم يترصدونه الان خارج المقهى ام يقفون الان على الجسر فربما وجدوه هناك "[٢]. ويمضي خارج المقهى صاعداً الممر المؤدي إلى ساحة الشهداء ومنعطفاً إلى رصيف الجسر ناظراً إلى الباعة الصغار ومفكراً في الوقت نفسه بالتمتع بمنظر اسراب طيور النوارس التي تهبط وتحلق على نهر دجلة ورميه لها فتات الصمونة التي يحملها في جيبه ويتذكر مدة سجنه .وسبع سنوات بأكملها تحمل منها الكثير من العذاب والآلام والمشاق والاهانات المستمرة ، ومع ذلك فحينما كادت مدة السجن ان تنتهي سمع بأنهم هناك يدبرون خطة للانتقام وانهم لن يسكتوا إلا عند الانتقام ولن تبرد الدماء إلا حينما تهلهل القلوب بالثأر "[٣] . وعلى الرغم من مخاوفه وهواجسه فأنه يستمر مراقباً الطيور ويفاجئه احد اصدقائه محذراً اياه من تعريض نفسه لخطر الانتقام والقتل ولكنه يتجاوز تحذير صديقه

---

[١] نفسه ، ١٣ .

[٢] مرح في فردوس صغير ، موفق خضر ، مطبعة الغري الحديثة ، النجف الاشرف ، ط١ ، ١٩٦٨ .

[٣] مرح في فردوس صغير ، ٨٥ .

متخلصاً من خوفه وقلقه . " عاد يفكر في حياته ثانية وردد مع نفسه ، هذا هو ميهمني هية حياة واحدة لو حياتين ، قالها في لا مبالاة "[١].

وشخص القاص (موفق خضر) في قصة (التنويمة) عادة التسول التي يتخذها بطل القصة مهنة له لكسب رزقه فيقترض من المشردين والمتسولين أطفالهم ليخدرهم ويستدر عطف الناس عليهم .

يدين القاص هذه العادة التي لا يتوانى القائم بها عن ارتكاب الجريمة لتحقيق أهدافه ، فبطل قصته يأخذ طفله صغيرة من متسولة ويسقيها مشروب الترياق لتنام تحت وطأة المخدر فيجوب بها الشوارع مستدراً عطف الناس . وهو يشعر بثقل وطأة العمل الذي يقوم به وفي أعماقه يدرك ان ما يفعله ويعمله محزن ومؤلم وعلى الرغم من ذلك يواصل ارتكابه الخطأ . فيعود إلى البيت ليكتشف ان الطفلة بين يديه غدا جسدها بارداً ."حينما قابل رضية العجمية في نهاية العصر كانت الشمس تغيب ، وكان جسد الطفلة مرمى على ارض الحجرة المتعفنة المليئة بالرثاثة ، وقد سرت البرودة الطاغية فيه وتوقف كل شيء"[٢].

نهاية القصة تبين حجم الجريمة التي يرتكبها بعض الناس بحق الطفولة في استغلالها وامتهان كرامتها ومصادرة حقوقها لأجل عادة منبوذة .

ورصد القاص (محمد عبد المجيد) في قصة "الهجرة في الأيام المؤجلة من زمن السخط" العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة التي تتكون بفعل صراع طبقي واجتماعي إذ يقرر بطل القصة الانتقام بوسائله الخاصة من الإقطاعي وفي القصة ربط بين العلاقات الإنسانية والقيم العرفية السائدة في الريف . ان احساس بطل القصة بالمهانة والاضطهاد والعبودية والتعسف يقوده إلى سلوك طريق الثورة والتمرد .

فبطل القصة الذي يتوهم هروب زوجته منه ويفكر بغسل العار يكتشف أمر اختطافها من قبل المأمور وحين تعود إليه بوجه مشوه تقسم ببرائتها يختار الجنون حلاً لمواجهة تلك العلاقات البائسة والمهينة حوله "اخترت الجنون ، لأجل ان

---

[١] نفسه ، ٨٩ .

[٢] نفسه ، ٩٦ .

تكسب حياتك المهددة تحت ظل المأمور وأتباعه لانك تترك جيداً عبث المواجهة هنا ، وبشكل أعزل يجعلك في وضع سيء ويحتم بالضرورة ان تقبل هذا التخلي الوقتي عن وجودك الان ، وجودك خارج هذه المساومة يعني ان تخسر كل شيء"[١].

ولكنه يتمكن في النهاية من المواجهة منتقماً من المأمور الذي خطف زوجته وحطم حياته فيخرج معه ذات يوم لينتقم منه بطريقته الخاصة منهياً بذلك ظلمه واضطهاده : "حركت المشحوف ... واختل توازنه فجأة ، ورفعت الفالة وغرستها في صدره ، وقبلت قلبه المرتعش ، وتصلبت عيناه وكنت تتصور كيفية دخول الفالة في جسد السمكة وصوت انفجار قلبها ، سقطت البندقية في الهور محدثة طرطشة خفيفة واتكأ جسمه جانباً و (الفالة) غائرة في صدره ثابتة كلوح مكتوب"[٢].

لقد حاول بطل القصة تصحيح مسار الأمور بطريقته الخاصة والانتقام لشرفه وإحساسه بالظلم والتحرر من سطوة الاقطاعي والمهانة التي ألحقها به .

ورصدت القاصة (ديزي الأمير) في أحد محاور قصتها (البيت العربي السعيد) جانباً من التقاليد والعادات التي سادت في السنوات الماضية . وهي الزواج من ابنة العم ، وتكشف القاصة في حوارها عن امرأة ذات ذهنية هي نتاج مجتمع زراعي بدائي تؤمن بانجاب الأطفال والاكثار منهم بدعوى حاجة الأهل لهم عند الشيخوخة ، كما انها تحصل على رضا أم زوجها بوسائل غير مشروعة تستند إلى الكذب والالتواء والأساليب الحريمية البالية[٣].

وفي قصة (التسريح) للقاص "نعمان مجيد" يرفض بطل القصة الخضوع لعادة اجتماعية دأب الناس على ممارستها في المناسبات وهي عادة اطلاق الرصاص .

فبطل القصة جندي يسرح من الخدمة العسكرية وفي طريق العودة تتثال في ذهنه الذكريات وجه الأم الباسم ، ووعودها بعرس كبير تقيمه له ووجه أبيه وصمته وحزنه ومحاولات أخته لتخفيف ألم فراقهم وبطل القصة يحاول ان يوصد الأبواب

---

[١] ينظر: قصص عراقية معاصرة ، ٥٠ .

[٢] نفسه ، ٢١٠ .

[٣] ينظر في أدبنا القصصي المعاصر ، ٦٥ و ٦٦ .

على ذكرى الحرب وينساها فيحدث نفسه : "أليس من الأفضل ان نوصد أبواباً حديدية على كل شيء مضى ... ينبغي ان نفكر بما نحن فيه الآن"[١] .

ويحلم بتحقيق أحلامه بالزواج من ابنة عمه وعرس كبير تفرح به القرية وأرض زراعية يعمل فيها وفي غمرة أحلامه يرفض عادة اجتماعية سرت في قريته ، تغمره بالخوف وتتركه فريسة القلق "انه شعور الخوف يهزك فجأة ، لماذا ؟ يكاد الفرح الطافح على وجوههم ان يسحب بصرك تماماً مثل ما حدث لأخيك (جابر) في ليلة عرسه"[٢] .

انه يرفض عادة اجتماعية سلبية اغتالت أخاه يوم عرسه بسبب رصاص أطلق وانهمر كالمطر وضاع بسببه أخوه في لحظة فرح بليدة ويقرر ان لا يتكرر الأمر كما حدث لأخيه وهو يرفض ان يسمح لتلك العادات الاجتماعية ان تغتال حياته.

وشخص القاص (لطيف ناصرحسين) في قصة (هجرة النوارس) محاولة بطلة القصة للتحرر من العادات والتقاليد السائدة مشيراً إلى عادة اجتماعية كانت سائدة ومنتشرة وهي عادة القتل غسلاً للعار .

فبطلة القصة امرأة أحبت رجلاً وهربت معه لتتزوج منه بعيداً عن أهلها ، فيثير انتباهها أحد الأيام وأثناء تسوقها مراقبة أحد الأشخاص لها فتحاول الهرب ولكنها تفشل إذ اصطدمت بشقيقها الأكبر : "حين حاولت المرور خلال الفسحة المتبقية بين الجدار والسيارة ، فتح الباب الخلفي وأطل شقيقها الأكبر ، حاولت أن تصرخ مستنجدة ، إلا ان يداً أخرى امتدت لتطبق على فمها بعنف ، كان الزقاق لايزال خالياً ، بينما الصمت المشحون بآلاف الكلمات يطغي بثقله على ركاب السيارة الصغيرة التي توارت مبتعدة"[٣].

ان الفتاة حاولت التحرر من واقعها وتحقيق إرادتها بالهرب والزواج ممن تحب وتجاوز التقاليد والعادات والفرار من مطاردة اخوتها ولكن محاولتها باءت بالاخفاق .

---

[١] رائحة الأرض ، ص٢٦ .

[٢] نفسه ، ٢٦ .

[٣] وجوه معتمة فوق زجاج صقيل ، ٧٩ .

وفي قصة "الغضب" يستعرض القاص (لطيف ناصر حسين) عادة جلوس النسوة أمام أبواب الدور عصراً ، وتبادلهن الأحاديث بينهن ومراقبة من يمر من الناس وما يجري من أحداث والتعليق عليها والتدخل فيها أحياناً .

ومثل هذه العادة تنتشر وتسود في الأزقة الشعبية في أغلب الأحوال ومازالت سائدة في بعضها فيقول القاص في بعض مقاطع القصة : "تتكوم النسوة أمام أبواب الدور كأكياس سود ملفعات بعباءاتهن وغبش المساء المتسرب يلف الزقاق بوحشة حزينة ، كانت على الصفيح القذرة مسرحاً للبعوض المتقافز فوق الفضلات الراقدة في اعماقها وهي تنتصب أيضاً بمحاذاة الجدران قريباً من الأبواب ، تلتحم في دائرة النسوة اللواتي يمضغن أحاديثهن المتكررة"[١]

وتكون هذه العادة سليمة وضرورية من جانب انها تؤدي إلى تقوية العلاقات الاجتماعية والتقارب الإنساني ، ولكنها من جانب آخر قد تغدو في بعض الأحيان عادة مضرة بالمجتمع إذا تجاوزت حدها الطبيعي وصارت أقرب إلى الفضول والتدخل في شؤون الآخرين والبحث عن مساوئهم .

وترصد القاصة (بثينة الناصري) التقاليد السائدة في الأرياف وبعض المدن العراقية ، والتي سببت كثير من المشاكل الاجتماعية الخطرة إذ تتطرق قصة (الرجل الذي بدل ثوره) إلى ظاهرة تعدد الزوجات رغبة في انجاب الذكور .

إذ تلاحق الكاتبة (حياة الزاير مرعد) وتطرح الهموم التي تشغله ان امرأته لا تلد إلا انثاً ، وهرباً من قدره الذي يحكم عليه بالاناث يقرر الزواج من امرأة اخرى[٢]. وتنهي الكاتبة قصتها وكأنها تسخر من هموم وافكار استحوذت على بطلها كان لها ضيقها ومحدوديتها ومن التقاليد التي تحكمت مدة طويلة بالمجتمع .

إذ تنتهي القصة بزغرودة انتصار تطلقها زوجة زاير مرعد الأولى من غريمتها الجديدة التي أنجبت بنتاً أيضاً ، وهكذا لم تأخذ مكانها في قلب زوجها وعليه ان يتقبل قدره ويذعن له[٣] .

---

[١] نفسه ، ١٦ .

[٢] ينظر الشاطئ الجديد ، ٩٦ .

[٣] ينظر نفسه ، ٩٦ .

وفي قصة (سر الماء) يدين القاص " عبد الرحمن الربيعي " التقاليد المحنطة القائمة على الجهل والتخلف والانانية والاثرة ، وهي إدانة صارخة وان كانت مشحونة بالحزن وتدفعنا إلى الاحساس بالتعاطف والشفقة على بطل القصة ولكنها في الوقت نفسه تثير في النفس دعوة خفية إلى التحرر والثورة على التقاليد البائسة التي تغدر حق ابناء المجتمع في نيل حقوقهم المشروعة في العيش السعيد .

فبطل القصة حاتم يحب فتاة تبادله الشعور نفسه ويرفض والدها تزويجها له إلا بمقابل فتاة لابنه ، ولما كان حاتم لا أخت له فقد جاء من يعطي أخته ليأخذها بدلاً عنه[١] .

وهذا ما كان يطلق عليه في السابق الزواج (كصة بكصة) من التقاليد المتخلفة التي سيطرت على المجتمع العراقي فترات زمنية طويلة وتحكمت به ، فنجم عن هذا الزواج الذي يقوم على الجهل كثير من المشاكل الاجتماعية ، فضلاً عن ذلك انه سبب الدمار لعوائل بكاملها وبسببه تحدث كثير من حالات الطلاق ، وقد تضاءل هذا الزواج بفعل عامل التطور الحضاري وزيادة وعي الناس بخطورته ومساوئه وسلبياته ، فانحصر في نطاق محدود جداً من مناطق الأرياف.

ان القاص يتوق إلى تحرير بطله من نتائج هذه التقاليد القاسية فيدفعه للغناء احتجاجاً وإدانة ونبذاً لها ، فينتج عن غنائه حزن يدمي القلب ويدمع العين ، ويدفعه أيضاً للزواج من امرأة أخرى كي ينسى وهو وان يفشل في زواجه ولكنه يصير أكثر وعياً بما حدث . وربما يثار في الذهن تساؤل فحواه لماذا لا يعمد القاص إلى دفع بطله إلى المواجهة أو الثورة على التقاليد ، وندرك ان تلك التقاليد كانت أقوى من القوة ، وكانت لها سيطرتها على الأذهان والعقول ، وقدرتها على التحكم بالمجتمع لعراقي فكان من الصعب الخروج عليها أو محاولة رفضها والتنديد بها علناً ، وان المجتمع بصورة عامة كان بحاجة إلى نهضة حضارية وفكرية كي يتمكن من نبذها وإلغاء وجودها .

---

[١] ينظر عبد الرحمن الربيعي بين الرواية والقصة القصيرة ،٦٧ .وينظر ذاكرة المدينة ، ٧ .

وفي قصة (الجوع) للقاص (عبد الرحمن الربيعي) يشعر بطل القصة بحنين جارف إلى تقليد تمارسه نسوة بلده وتنبثق من ذهنه الذكريات حوله في اثناء وقوفه على شاطئ البحر في بلد غريب ، فتأخذه الرهبة حين يبصر امتداد البحر وتلاطم أمواجه وقأقات الطيور البيضاء فوق رأسه وزرقة الماء ويأخذه خشوع غريب فيتذكر نهر بلاده "في بلدي ذاك ، كان النسوة يقدمن الشموع للنهر في جريانه الصامت المجهول يضعنها بعد ان يشعلنها في طوافات صغيرة ليحملها التيار وكن يسلمن ويشعلن البخور ، ويضعن الحناء على بقايا الحجارة والسفن المهجورة على شاطئه ، ثم ينسحبن صامتات مهمومات يتلفعن جيداً بعباءاتهن السوداء ، ثم تبتلعهن الأزقة السرية القريبة . آه كم للعمق من أسرار وكم له من رهبة ومهابة"[١].

ولا يمكن نكران ان مثل هذه التقاليد تضفي مسحة شعبية واصالة تراثية على المجتمع وهي تمتزج بالمعتقدات والطقوس الدينية لتشكل ملامح الإنسان العراقي وفيها شيء من التقرب للروح الإلهية والالتصاق بمكونات الطبيعة وهي تعطي الإنسان الأمل والرضا والقناعة .

وفي قصة (الطريق) للقاص (لطيف ناصر حسين) ثمة امرأة تختار طريقها في الحياة وأسلوب عيشها متحدية تقاليد سائدة ومتبعة ، ان تتزوج وتركن في البيت كقطعة أثاث . تبدأ القصة برحيلها إلى إحدى القرى كي تعمل هناك وتتداعى في ذهنها الافكار والذكريات ، انها بذلت جهداً كي تجد استقلاليتها وتثبت وجودها وحقها في اختيار مصيرها رافضة الوصاية والرعاية كطفلة صغيرة وتتذكر كلمات والدها " احترسي ابنتي لقد كبرت ، وها انت موظفة ، أصر أخوك على اصطحابك إلى القرية ليطمئنوا عليك ولكنك رفضت ويعاملونك كطفلة صغيرة لا تعرف شيئاً يحيطونك دائماً بعيون التوجس والترقب "[٢].

انها بذلت جهداً كي تحاول الاعتماد على نفسها والتحرر من ربقة الضغوط التي حاول اهلها فرضها عليها بالعمل على تزويجها ومنع تعيينها ، ولكنها لم تستسلم ورفضت وحاولوا معرفة نمط تفكيرها وقرارها ولكنها لم تقل شيئاً سوى " كل

---

[١] الخيول ، ١٠٦ .

[٢] وجوه معتمة فوق زجاج صقيل ، ٤١ .

مـــا ارغـــب فيـــه هـــو ان احـــس بوجـــودي ، ان اشـــعر بـــه ، ان اعمل "[1]. واستطاعت باصرارها وتمسكها برأيها ان تقرر مصيرها وتختار طريقها وتعمل محققة رغبتها بالعمل . انها مفاهيم اجتماعية جديدة والقاص يسعى إلى ترسيخها وتأييدها في قصته راسماً للمرأة شخصية قوية وحازمة وواثقة من نفسها .

ورصدت القاصة (مي مظفر) في قصتها (الباب المغلق) التقاليد القائمة التي تحيط بالانسان العراقي ، وتتحكم بحياته ومصير علاقاته وتسبب له الاحباط والاختناق ، فبطل القصة مسور بالتقاليد التي تخنقه ولا يتمكن من البوح بمشاعره للانسانة التي يحبها ، الامر الذي يشعره بأنه سجيناً " فاقتراب البطل والتصاقه بالنافذة واحساسه الذي ينقله لنا الراوي بالاسوار المحيطة بالبيت بأنها عالية وبكتائب النافذة بانها حواجز بل حتى الهواء يراه ساكناً كلها تؤكد ذلك لانها تفصله عن الفتاة التي يحب وهي جارته وهو لا يتمكن من البوح بهذا الحب بسبب قيود المجتمع وتقاليده وما يزرعه الاهل من رعب وقلق في نفس كل من الفتاة والفتى "[2].

وتخرج المرأة في قصة (لخطة تتلون) للقاصة (مي مظفر) من دائرة التقاليد والعادات التي تفرض عليها هيمنة الرجل وسطوته والتي تحاول سلبها الوجود الحقيقي وتهميشه فتقول : " ولما كلما المسك اجد الفناء كامناً تحت جلدك وتفزعني الحقيقة ، فأنا ادرك معنى السراب وما يعني لهاث الانسان في صحراء عطشه . ولأني اشم فيك رائحة موت مبكر فانني اود ان اغتال مصيري في هذه اللحظة "[3]. لذلك تقرر الخروج من دائرة الاحساس بالظلم ومن السير في فلك التبعية والاذعان والخضوع وتعلن رغبتها قائلة :"اريد ان امارس حريتي واختار مآساتي ما دامت امراً محتماً ، انك الصدفة التي ليست لي ، وانت الزمان الذي لا مكان لي في دقات ساعته اني اريد وجوداً ثابتاً ولا اريد ان تكون زمناً عابراً على صحة الرزنامة ، انني

---

[1] نفسه ، ٤٣ .

[2] القصة النسائية القصيرة ، ٢١٢ .

[3] البجع ، مي مظفر ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، سلسلة القصة والمسرحية (٩١) ، ١٩٧٩ ، ص٧٣ .

ملك زمن لا ينتهي "[١]. وتشخص القاصة قدرة بطلة قصتها على اتخاذ الموقف والاصرار عليه والسعي الجاد إلى محاولة التغيير فتقول في نهاية القصة : " اوقف السيارة هبطت .كنت احس الارض صلبة تحت قدمي كان واقفاً ينتظر اشاراتي . احسست وانا اخرج من عالمه انني اتنفس ريحاً طيبة ، هل تراني اتواجه مع الحرية ؟ ربما كانت الحرية لحظة اختيار مصير وامتناعي عنه المجد الذي اكسبه الان ولانني الحرية فاني انتصار على لحظة ضعف حين التفت إلى الخلف وجدت اني قد تجاوزته مسافة كبيرة ، لقد اصبح جزءاً من الماضي والطريق مفتوح كالشمس "[٢]. وتدين القاصة (مي مظفر) في قصة (اوراق خاصة) التقاليد والعادات القاسية التي تحاصر الفتاة وتصادر حريتها وتسلبها حقوقها ومنها محاولة اجبار الفتاة على الزواج فتكتب في دفتر مذكراتها " جاءوا يطلبون الفتاة الباقية من مجموع ثلاث اخوات تزوجن الواحدة بعد الاخرى دون جدال او عناد ، اعتصمت في الغرفة ارفض مقابلتهم واخذت امي تمارس طقوسها التقليدية معي توسل في البدء وحدة ثم صراخ ينتهي بالضرب على راسها وصدرها وخديها . غير انها لا تترك غرفتي الا وقد طوت اشتات نفسها واسترجعت هدؤها كي لا تثير ثائرة اخي "[٣].

وترصد القاصة كذلك التقاليد والعادات الجائرة التي تمنح الاخ حق التسلط والتدخل في مصير اخته فتكتب بطلة القصة في دفتر مذكراتها " لا شيء يهدئ من حدة اخي انه يريد تزويجي بأي ثمن ليتخلص من مسؤوليته كما يقول . لقد ثارت ثائرته وراح يضرب الباب بكفه ويصرخ ويشتم "[٤]. ولقسوة التقاليد وسطوة العادات تلجأ الفتاة إلى ممارسة حقوقها بسرية تامة وتحاول ان تعيش حياتها بعيداً عن الانظار فتحب وتقرا الكتب وتربي القطة سراً ولكن ذلك لا يمنع تعرضها للعنف عند كشف سرها فتكتب في مذكراتها : " صفعني اخي حين عثر صدفة بين كتبي على رواية لكاتب عربي ، وراح يهددني في الحبس داخل البيت وحرماني من الاستمرار

---

[١] نفسه ، ٧٤ .

[٢] نفسه ، ٧٤ .

[٣] نفسه ، ٢١ .

[٤] البجع ، ٢١ .

في الدراسة ان وجد لدي كتاب من هذا النوع (فقراءة الروايات مفسدة للاخلاق كما يقول "[١].

وعلى الرغم من تعرض الفتاة للحصار والاضطهاد والظلم بسبب التقاليد والعادات فانها تتمسك بحقها في العيش الطبيعي وتصر على تحقيق احلامها وتجاوز بؤس التقاليد والعادات التي تحاصرها فتكتب " انا لا اريد ان اذبح كالشاة او اصلب كذبابة . اريد ان اعيش وامتلك بعض الحق في ان اعرف نفسي من غير رقابة "[٢]، ولكن قسوة التقاليد وعنفها تغتال حياتها ووجودها واحلامها في ثانية من الزمن على يد اخيها . " اسرع الرجل وتقلصت المسافة بينهما حتى باتت على امتداد مترين او اقل ، عندها انطلق صوت رصاصة ، اثنين وثلاث سقطت الفتاة فوق الارض وتناثرت كتبها على الرصيف "[٣]. ان الفتاة حاولت التحرر من ربقة وسطوة التقاليد والعادات ولكنها جوبهت بالاغتيال ومصادرة حياتها بعد اضطهادها وسوء معاملتها .

وتتبذ بطلة قصة (الصدى) للقاصة (مي مظفر) مظاهر التخلف والفساد والتقاليد والعادات التي تهين المرأة وتحاول مواجهتها والخلاص منها وتبدأ القصة بالصوت الذي يترامى إلى اسماع البطلة " الصوت يترامى من بعيد .

–اركض نحوه لعلني ادركه ، بل لا بد ان ادركه الهث في الشارع قدماي لا تعيان ما تطآن ، قلبي يدق وراء الصوت المنسرح في الهواء الهث امامي نقطة واحدة اصلها لا اعرف ماذا بعدها ؟ ماذا فيها فالدوران في هذه اللحظة ليس اكثر من لهاثي في شارع طويل"[٤]. وترصد القاصة احساس بطلتها بالقرف من معالم المدينة المزدحمة ورجل المرور الذي يحاول منعها من العبور فتقول " يد رجل يمنع المرور تكاثفنا اسراباً عبرنا – انطلقت من جديد شارع عريض ، شارع مزدحم سيارات رؤوس اقدام

---

[١] نفسه ، ٢٢ .

[٢] نفسه ، ٢٣ .

[٣] نفسه ، ٢٦ .

[٤] البجع ، ٨٥ .

صراخ باعة وجهي فقد ملامحه – ضاع في بقاع الهرج اعبر قنوات الزحام عالمي نقطة وصول بعيدة "[١].

وتصدمنا القاصة بفضاعة وقسوة التقاليد والعادات التي تذبح المرأة كما تذبح الشاة مؤشرة بذلك على وضع المرأة المهان في المجتمع " وصلت إلى نقطة فراغ كبير وتلونت عيني بالاحمر كنت قريبة جداً من جسد ممزق ، عنق مشقوق ونافورة دماء تتبع من جسد ما زال يتحرك تذكرت العجل الذي ذبح امامي في دارنا اول يوم عيد الاضحى ، كنت طفلة بكيت واختبأت ثم تساءلت لماذا تتحرك الارجل والرأس مقطوعة كان جسد المرأة كعجل عيد الاضحى مسجى وشرطي ، اثنان ثلاثة ، سرب من الشرطة يهبطون نحو المكان وايد تمتد نحوي ، اصوات تتعالى كالنباح ، مذبوحة ، مذبوحة ، مذبوحة "[٢].

وتؤكد نهاية القصة اصرار بطلة القصة وارادتها التي تدفعها إلى محاولة الخروج من دائرة قسوة التقاليد والعادات ونشدان التغيير فتقول : " عبرت الشارع ، ركضت ركضت بصمات اقدامي على الطريق – حمراء الهث وراء الصوت يستفزني الصوت غارقة بالاحمر الهث ٠٠٠ الهث . حين وصلت كانت المحطة فارغة ، والشارع رصاصي وعلبة صفيح صدئة تتجول اثر الريح ، لكنني لا زلت اسمع الصوت يستفزني "[٣].

وشخصت القاصة (مي مظفر) في قصتها (بضع ساعات في بستان الخوف) احساس بطلتها بالحصار والمطاردة ومرارة الواقع القبيح واختناقها فيه وضياع حقوقها بسبب عادات وتقاليد تحاول الغاء وجودها وكيانها : " انها تسير عند منتصف الليل فتتراقص امامها عشرات الشخوص واقفة بأكفانها تمتد نحوها اذرعهم ولا شيء يبين من بين الاربطة البيضاء ، الوجه ذائب في الظلام والمجموعة تشكل خطوطاً بيضاء

---

[١] نفسه ، ٨٥ .

[٢] نفسه ، ٨٦ .

[٣] البجع ، ٨٧ .

على سورة وتجد نفسها تسير بين الايدي تتكور في كتلة تتدحرج هاربة من قبضتهم والاصوات تولد صريراً يتأتى من الجحيم"[١].

فالرؤيا المرعبة التي تتراءى لها وترى فيها قبضة الرجل الحديدية تمتد نحو رأسها وتشد شعرها وتطرحها ارضاً تفصح عن ضغوط المجتمع الذي يكبلها بقيوده واغلاله ، وتشير إلى جزعها واذعانها واستسلامها .

غطت وجهها بكفيها ادارت رأسها عن الباب المتحرك لم تعد تقوى على المواجهة لا تريد ان تعرف ما يدور خلف الباب ، تريد ان تهاجم وهي قابعة في الركن متخفية متحفظة غير قادرة على الهرب وغير قادرة على الثبات ليأت المصير "[٢]. وحين تتبدد الرؤية المرعبة يتبدد معها خوفها وخذلانها واذعانها فيولد في نفسها الامل والقدرة على المواجهة وامكانية التحرر من عبودية الاضطهاد والظلم والعادات والتقاليد التي تحاول سحق انسانيتها وتكون نهاية القصة مؤشراً واضحاً على امكانية التغيير الايجابي " فتحت الباب فداهمها بريق اضوية الشارع وصخب السيارات احسست بالطمأنينة وهي تجدد انتمائها إلى عالم الاحياء ، ثم تلاشى صوت الفزع مختنقاً في مجاهل المقبرة[٣] .

من المؤكد ان القاصات العراقيات كان لهن نصيبهن الوافر وحضورهن الفاعل في قضية التحرر الاجتماعي باعتبار ان المرأة كان يقع على كاهلها ضغوطاً مضاعفة من الرجل الذي يعاني بدوره من ضغوط المجتمع . ان المسألة المهمة التي تكشف لنا في هذه الرحلة القصيرة والسريعة مع القصة العراقية . ان القاص العراقي كان ملتصقاً بالواقع وشديد الصلة وانه دعا إلى نهوض المجتمع وحاول من خلال قصصه بيان النتائج المأساوية البشعة التي كانت تفرزها التقاليد والعادات البالية معلناً رفضه الضمني لها وثورته عليها .

مما لاشك فيه ان مجاميع قصصية عدة صدرت تضمنت كثير من القصص التي رصدت كثير من التقاليد الاجتماعية السائدة . اقتصرت الباحثة على ذكر

---

[١] نفسه ، ١١١ .

[٢] نفسه ، ١١٠ .

[٣] نفسه ، ١١٢ .

نماذج منها ربما اكدت الانطباع القائم في الذهن من ان القاص العراقي كان شديد الصلة بالواقع راصداً لهمومه ومحاولاً في الوقت نفسه ايجاد الحلول له .

لقد تناول القاص التقاليد في قصصه من اوجه مختلفة ولكنها في الوقت نفسه تصب في الطعن في تلك التقاليد واستهجانها والسخط عليها ومحاولة التحرر منها . فكثير من القصص طرحت النتائج المأساوية التي تنجم عن التمسك بالتقاليد والذي نقرأه في قصة (سر الماء) للقاص الربيعي ، وفي قصة (القارب) للقاصة بثينة الناصري ، وجسدت قصة (ملاريا) للقاص ذو النون ايوب اصول التمسك بتقاليد الضيافة التي تعد من التقاليد الايجابية البناءة التي تشد من اواصر المجتمع وتماسكه .

ومما ذكر سابقاً يمكننا القول :ان القاص كان مشغولاً بهموم المجتمع رافضاً تقاليده وساعياً إلى تغييرها وقصصه كانت تنطق بالمرارة والاستياء وكان يثير حزن القارئ وشفقته على شخوصه كي يوصل اليه الاحساس بالنقمة ويتمكن من تصحيح تلك الاوضاع . فطالب من خلال قصصه بالغاء التقاليد القديمة القائمة على التزمت والتعصب والجهل واحلال تقاليد جديدة تستند إلى الفعل الاجتماعي القائم على الثقافة والايمان بضرورة التغير الايجابي البناء .

الخاتمـــــة

الخاتمـــــة

نشـأت نزعـة التحـرر مـع نشـوء الإنسـان ، ورافقتـه فـي مسـيرته الحضـارية والتطوريـة ، وسـلكت مسـالك عـدة إيجابيـة أو سـلبية ، وهـي فعاليـة إنسـانية ارتبطـت ارتباطاً وثيقاً بالوجـدان والفكـر والاحسـاس والـوعي ، ولهـا الأثـر الفاعـل فـي عمليـة التغيير والابداع والثورات التحررية ، وهـي تتعمق وتتأصـل لدى القاص بفعل عوامل إبداعيـة عدة تسـهم فـي تعزيزها وإكسـابها سمات مميزة فـي العمليـة الابداعيـة، فينتج عنها بالنتيجة نتاج أدبي مؤثر .

ووجـدت نزعـة التحـرر فـي الأدب القصصـي العراقـي علـى نحـو مميـز ، وأسـهمت عوامـل كثيـرة علـى تعزيزهـا منهـا الأحـداث السياسـية ، ومـا أفرزتـه الحـرب العالمية الثانية من نتائج غيرت في التفكير والسلوك والرؤيـة الجديدة للحياة ، فضـلاً عـن ذلـك التغيـرات الاجتماعيـة التـي أسـهمت فـي نضـوج الـوعي الفكـري والاتصـال الثقافي بين الشرق والغرب وغيرها من العوامل التي عمقت نزوع القاص العراقي إلـى التحرر ونبهتـه إلـى واقـع المجتمـع ومعاناتـه مـن الأمـراض الاجتماعيـة الخطيـرة التـي كانت تنخر فيه كالفقر والمرض والجهل والبطالـة والاقطـاع والتقاليد والعادات الباليـة والمعتقدات الجامـدة والأنظمـة والقوانين الجائرة، فقف منهـا موقفـاً رافضـاً ومسـتنكراً ومستهجناً إياها وأحياناً ناقاً ونافراً منها ، وعمد إلى إدانتها ودعا إلـى نبذها واجتثاثها من المجتمع .

فعلـى صـعيد التحرر الفكري شـغلت القاص العراقـي قضـايا جوهريـة وأساسية في الحياة منها قضية الدين والمعتقدات والأنظمة والقوانين ، فتطلع القاص إلى تغيير نمـط الحيـاة الفكريـة السـائدة رافضـاً الجمود والتخلـف والتعصـب وسـاعياً إلـى التطـور والتجدد واكتسـاب رؤيـة جديـدة للحيـاة ، فقضـية الـدين التـي تعد منهجـاً حياتيـاً رئيسـاً وفاعلاً رصد فيها حالـة تذبذب الإيمان وضعفه ، وتأثير أحوال المجتمع علـى إيمان الفرد ، واستغلال الدين من قبل ضعاف النفوس وسعيهم إلـى المتاجرة بـه وأثر الدين في تغيير الحياة إلى الأفضل وشخص القاص الطقوس والشعائر الدينيـة السـائدة فـي العراق .

أما على صعيد التحرر من الأنظمة والقوانين التي يعد القاص "ذو النون أيوب" من أبرز كتاب القصة العراقية القصيرة الذين شغلوا بقضية التحرر منها ورصدها وإدانتها والسخرية منها ورفضها في أكثر قصصه التي تميزت بالجرأة في طرح الفكرة القصصية فأثرت على حياته الشخصية بشكل مباشر ، ومن المؤكد ان القصة العراقية تميزت في نقد السياسة والأنظمة والقوانين ، ونادت بحق الإنسان العراقي في الحرية والعدالة والديمقراطية . وان كثير من القصاصين العراقيين ، ساروا إلى جانب القاص ذو النون ايوب وسلكوا النهج ذاته في تحدي الأنظمة الباغية ورفض القوانين الجائرة ساعين إلى التحرر منها سعياً جاداً ومخلصاً .

وانفرد القاص العراقي بمعالجة قضية المعتقدات فدعا إلى ضرورة التحرر منها ورصد جمود وتخلف بعض المعتقدات السائدة فسخر منها واستهجنها ومن أبرز القصاصين الذين شخصوا المعتقدات السائدة في القصة القاص (جعفر الخليلي) الذي نبه إلى كثير من القضايا الاجتماعية والإنسانية التي تتحكم المعتقدات بها ، إلى جانب كثير من القصاصين الذين رصدوا الاعتقاد بالجن والسحر والحسد والطنطل والبخور وغيرها من المعتقدات التي كانت في ناحية منها تحمل سمات الطابع الشعبي والفلكوري ولكن من ناحية أخرى كانت بعض تلك المعتقدات اساسها الجهل والتخلف وتراكم الموروث الغيبي لدى الإنسان على مر السنين ، فعمد القاص العراقي إلى تنبيه الناس إلى الآثار السيئة المترتبة على الاعتقاد بها ودعا إلى تحرير المجتمع والمرأة كذلك من عبوديتها .

واتسمت العلاقات الاجتماعية في القصة العراقية القصيرة بالرضوخ والتوتر وخضوعها للاستغلال وتأثير الفوارق الطبقية عليها ولم تكن تخلو من ملامح إنسانية جميلة فرصد القاص العراقي علاقة الأب بالابن ، ، والعلاقة بالمرأة ، وكذلك العلاقة بين أبناء المجتمع ، وتباينت مواقف القصاصين من العلاقات الاجتماعية فاتخذ البعض موقف المتفرج والمحايد وبعض القصاصين نبذ تلك العلاقات ودعا بشكل مباشر او غير مباشر إلى التحرر منها وكانت المرأة تشكل محوراً رئيساً في القصص ومن الممكن دراسة العلاقات الاجتماعية في الأدب القصصي العراقي على

نطاق أوسع وبشكل مستفيض لأنه يزخر بكثير من المحاور الرئيسة التي تشكل بنيان المجتمع العراقي الأصيل .

واهتم القاص العراقي بمعالجة القيم الاجتماعية معلناً رفضه القيم السلبية القائمة على التخلف والجمود والجهل ومتمسكاً في الوقت نفسه بالقيم الاجتماعية الايجابية التي تستند إلى الوفاء والشهامة والتضحية والإيثار والانتماء إلى المجتمع، وشخص حالة تذبذب القيم وانهيارها وانكسارها وفقدانها والآثار السلبية الناجمة عن ذلك التي تضعف المجتمع وتؤدي إلى الاضطراب والخلل في كيانه ، وكتب عن قيم إيجابية فاعلة خضعت لعملية التحرر والتطور الحضاري والتغير الاجتماعي منها تغير النظرة إلى الحب والعاطفة والمرأة والعلم والعمل والتجديد في الحياة الاجتماعية .

ومما لاشك فيه ان المجتمع العراقي تميز بتقاليد وعادات اجتماعية اصيلة ونبيلة حافظت على تراثه وتماسكه وخصوصيته ولكن بالمقابل ترسخت عادات وتقاليد بالية بتأثير عوامل الجهل والتخلف والاستعمار ، فانعكست بالدرجة الأساس على المرأة التي سعت جادة إلى التحرر منها ، ووقف القاص العراقي إلى جانبها وتناول في قصصه تقاليد الزواج والطلاق وعادات القتل غسلاً للعار والثأر وغيرها ، وكانت إدانته لها تعتمد أساليب عدة منها التهكم والسخرية والنقد والاستهجان والرفض ودعا إلى نبذها وتحرير المجتمع والمرأة منها وتعزيز الإيجابية فيها والتمسك بها .

والأمر الثابت ان المجتمع العراقي يزخر بالملامح الإنسانية الوضاءة انعكست على الأدب القصصي في العراق الذي تأمل الباحثة الكشف عنها ودراستها بشكل مستفيض سواء في مجال القيم الاجتماعية أو العلاقات او التقاليد والعادات الاجتماعية أو الدين والمعتقدات والأنظمة والقوانين التي من الممكن البحث فيها لشموليتها وسعتها وتشعبها وثراءها الثقافي والروحي والاجتماعي والإنساني .

المصـــــادر

المصـــــادر

اولاً : المجاميع القصصية

- أدمون صبري (دراسات ومختارات) ، فوزي كريم ، وزارة الثقافة والفنون ، سلسلة القصة والمسرحية (٨٩) ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ .
- الانتظار والمطر ، موفق خضر ، منشورات مكتبة النهضة ، مطبعة العامل ، بغداد ، ط١ ، ١٩٦٢ .
- البجع ، مي مظفر ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، سلسلة القصة والمسرحية (٩١) ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٩ .
- حكايات من رحلة السندباد الثامنة ، غازي العبادي ، منشورات دار الحكمة ، مطبعة الاداب ، النجف ، ١٩٦٩ .
- خطوات المسافر نحو الموت ، موسى كريدي ، منشورات دار الكلمة (٢٢) ، ط١ ، صيف ١٩٧٠ .
- الخيول ، عبد الرحمن الربيعي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٧٦ .
- ذاكرة المدينة ، عبد الرحمن الربيعي ، وزارة الاعلام ، سلسلة القصة والمسرحية (٤١) ، مطبعة الشعب ، بغداد ، ١٩٧٥ .
- ذيول الخريف ، عبد الملك ، نوري ، مطابع دار الشؤون الثقافية ، ط١ ، ١٩٨٧ .
- رائحة الارض ، نعمان مجيد ، مطبعة الغرى الحديثة ، ط١ ، ١٩٧٤ .
- رحلة الليل الاخيرة ، علي خيون ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، دار الحرية للطباعة .
- السفر داخل الاشياء ، علي عبد الرزاق ، منشورات دار الكلمة ، مطبعة الغرى الحديثة ، النجف ، ط١ ، مايس ١٩٧١ .
- السيف والسفينة ، عبد الرحمن الربيعي ، مطبعة الجاحظ ، بغداد ، ط١ ، ١٩٦٦ .

- الظل في الرأس ، عبد الرحمن الربيعي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت ، ١٩٦٨ .
- العيون ، خالد حبيب الراوي ، مطبعة الحرية ، بغداد ، ١٩٧٥ .
- غرف نصف مضاءة ، موسى كريدي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، سلسلة القصة والمسرحية (١٠٢) ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٧٩ .
- قراءة في اوراق الفجر ، علي الناصري ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، سلسلة كتابات جديدة (٢٧) ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٨ .
- المجموعة الكاملة ، ذو النون أيوب ، منشورات وزارة الاعلام ، سلسلة القصة والمسرحية (٦١) ، ج٢ ، ١٩٧٧.
- مرح في فردوس صغير ، مطبعة الغرى الحديثة ، النجف ، ط١ ، ١٩٦٨ .
- الوجه الاخر ، فؤاد التكرلي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، ط٢ ، ١٩٨٢ .
- وجوه معتمة فوق زجاج صقيل ، لطيف ناصر حسين ، منشورات وزارة الاعلام ١٩٧٧ ، سلسلة كتابات جديدة ٢٤ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧ .
- وجوه من رحلة التعب ، عبد الرحمن الربيعي ، منشورات دار الكلمة ، مطبعة الغرى الحديثة ، ١٩٦٩ .

ثانياً : المراجع العربية المؤلفة والمترجمة

- الادب القصصي في العراق ، د. عبد الاله احمد ، منشورات وزارة الاعلام ، سلسلة دراسات (١١١) دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٧ .
- ادباء العراق المعاصرون ، خليل ابراهيم عبد اللطيف ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، ج١ ، ١٩٧٢ .
- الادب المقارن ، كلود بيشوا ، ترجمة رجاء عبد المنعم جبر ، مكتبة دار العروبة ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- اساسيات علم النفس التربوي ، د. محيي توق ، د. عبد الرحمن عدس ، دار جون ايلي ، ١٩٨٤ .

- اصغي إلى اصابعي ، دجوانا دافيد ، ترجمة ناهدة البدري ، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر ، الدار الوطنية للنشر والتوزيع ، الموصل .
- الانسان بين الجوهر والمظهر ، اريك فروم ، ترجمة سعد زهران ، عالم المعرفة (١٤٠) ، الكويت ، ١٩٨٩ .
- اوراق للريح ، عبد الستار جواد ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٢ .
- البطل المصلح في الرواية العراقية ، د. صبري مسلم حمادي ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية ، الموسوعة الصغيرة (٣١٩) ، ١٩٨٨ .
- بنية الرؤيا ووظيفتها في القصة العراقية القصيرة ، د. صالح هويدي ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية ، الموسوعة الصغيرة (٣٨٦) .
- تأملات في الانسان ، رجاء النقاش ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، توزيع المكتبة العالمية ، ط٥ ، بغداد ، ١٩٨٨ .
- تأملات في الحضارة والاغتراب ، عزيز السيد جاسم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٦ .
- تاريخ الادب المقارن ، رجاء عبد المنعم جبر ، الناشر مكتبة الشباب ، ٢٦ شارع اسماعيل سري بالمنيرة ، ١٩٨٦ .
- التجريب في القصة والرواية ، سليمان البكري ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية ، الموسوعة الصغيرة ، ٤٣٨ .
- تحليل النظم السلوكية ، د. علي السلمي ، دار غريب للطباعة ، الناشر مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
- التداوي بالايحاء الروحي (التنويم المغناطيسي) ، د. امين رويحة ، مكتبة النهضة ، بغداد ، مطبعة بابل ، ط٣ ، ١٩٨٧ .
- جعفر الخليلي ، جون توماس هامل ، ترجمة وديع فلسطين صفاء خلوصي ، اطروحة دكتوراه من جامعة مشيغان ، الدار العربية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٦.
- الحياة والشاعر ، ستيف سبندر ، ترجمة مصطفى بدوي ، مراجعة سهير القلماوي ، الناشر مكتبة الانجلو مصرية ، سلسلة الالف كتاب ، ٢٥٨ .

- دفاتر ثقافية ، مهدي شاكر العبيدي ، ساعدت وزارة التربية على نشره ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ، ١٩٧٥ .
- الرأي العام ، د. حميدة سميسم ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، ١٩٩٢ .
- رحلة مع القصة العراقية ، باسم عبد الحميد حمودي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، سلسلة دراسات (٢١٠) ، ١٩٨٠ .
- الرواية العراقية وقضية الريف ، باقر جواد الزجاجي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، سلسلة دراسات (٢٠٤) ، ١٩٨٠ .
- الرواية العربية المعاصرة ، من المغامرة إلى التأسيس ماجد اسد ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية ، الموسوعة الصغيرة (٣٢٦) ، ١٩٨٨.
- السلوك الانساني ، د. ابراهيم الغمري ، دار الجامعات المصرية ، الاسكندرية، مطبعة الوادي ، ١٩٧٩ .
- الشاطي الجديد ، عبد الرحمن الربيعي ، وزارة الثقافة والفنون ، سلسلة دراسات ، ١٧٢ ، بغداد ، ١٩٧٩ .
- الشخصية العمالية في القصة العراقية ، عبد الرزاق ابراهيم حسن ، منشورات وزارة الاعلام (٢٨) ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧ .
- صور ودراسات في ادب القصة ، حسني نصار ، الناشر مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، طبع شركة الاسكندرية للطباعة والنشر .
- عبد الرحمن مجيد الربيعي بين الرواية والقصة القصيرة ، عبد الرضا علي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، بغداد ، تشرين ، ١٩٧٦ .
- العزلة والمجتمع ، نيقولاي بريائف ، ترجمة فؤاد كامل ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ط٢ ، ١٩٨٦ .
- العلم والقيم الانسلنية ، ج. برونسكي ، ترجمة عدنان خالد ، دار المأمون للترجمة والنشر ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٩ .
- علم النفس في حياتنا العملية ، د. برنهارت ترجمة د. عبد الله محيي ، مطبعة اسعد ، ط٤ ، بغداد ، ١٩٨٤ .

- في ادبنا القصصي المعاصر ، د. شجاع مسلم العاني ، ، دار الشؤون الثاقفية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٩ .
- في القصص العراقي المعاصر ، د. علي جواد الطاهر ، منشورات المكتبة العصرية ، ط١ ، صيدا ، بيروت .
- الفكر الديني القديم ، د. تقي الدباغ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٢ .
- في النقد الادبي ، د. كمال نشأت ، مطابع النعمان ، النجف الاشرف ، ١٩٧٠.
- في النقد القصصي ، عبد الجبار عباس ، دار الرشيد للنشر ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، دراسات (٢١٩) ، ١٩٨٠ .
- القاص والواقع ، ياسين النصير ، منشورات وزارة الثقافة ، سلسلة الكتب الحديثة ، (٨٠) مطبعة دار الساعة ، ١٩٧٥ .
- قصاصون من العراق ، سليم عبد القادر السامرائي ، توزيع الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧ .
- قصص عراقية معاصرة ، فاضل ثامر ، ياسين النصير ، ساعدت وزارة الثقافة والاعلام على نشره ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، نيسان ، ١٩٧١ .
- قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي ، موسى كريدي ، منشورات وزارة الاعلام ، سلسلة القصة والمسرحية (٤٨) ، ١٩٧٧ .
- القصة القصيرة الحديثة في العراق ، د. عمر محمد الطالب ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ساعدت جامعة الموصل على طبعه ، ١٩٧٩ .
- القصة في العراق (جذورها وتطورها) ، د. يوسف عز الدين ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث للدراسات العربية ، ١٩٧٤ .
- قضايا ادبية عراقية ، د. داود سلوم ، كلية الاداب ، بغداد ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، ١٩٧٧ – ١٩٧٨ .
- قضايا الفن القصصي ، د. يوسف نوفل ، المطبعة العربية الحديثة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٧ .

- كبار الكتاب كيف يكتبون ، ترجمة كاظم سعد الدين ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٦ .
- مبادئ علم النفس ، د. مصطفى غالب ، منشورات مكتب الهلال ، بيروت ، ١٩٧٨ .
- متصوفة بغداد ، عزيز السيد جاسم ، شركة المعرفة للنشر والتوزيع المحددة ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٩٠ .
- مختارات نقدية من الادب الغربي الحديث ، محمد شاهين ، دار الشؤون الثقافية ، ط١ ، بغداد ، ١٩٩١ .
- المدخل إلى علم النفس ، د. صالح الشماع ، جامعة بغداد .
- مطارحات ثقافية ، محيي الدين اسماعيل ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٣ .
- مفاهيم في الفلسفة والاجتماع ، احمد خورشيد النوره جي ، دار الشؤون الثقافية، ط١ ، بغداد ، ١٩٩٠ .
- ملتقى القصة الاول ، دار الشؤون الثقافية ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٩ .
- من حديث القصة والمسرحية ، د. علي جواد الطاهر ، درا الشؤون الثقافية ، ط١، ١٩٨٧ .
- نشأة القصة العراقية ، د. عبد الاله احمد ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ط١ ، ١٩٦٩ .
- النفس والعدوان ، د. ريكان ابراهيم ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧ .
- النقد الادبي ، ج١ ، د. داود سلوم ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، شارع المتنبي ، ١٩٦٧ .
- النقد الادبي ، ج٢ ، د. داود سلوم ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٨ .
- النقد الادبي الحديث ، د. علي عبدا الرزاق ، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر ، جامعة بغداد ، ١٩٩١ .

- النقد الادبي الحديث في العراق ، د. احمد مطلوب ، معهد البحوث والدراسات العربية ، مطبعة الجيلاوي ، ١٩٦٨ .
- الواقعية في الادب ، عباس خضر ، وزارة الثقافة والارشاد ، سلسلة الكتب الحديثة (١٥) ، بغداد ، ١٩٦٧ .
- الوجه الثالث للمرآة ، باسم عبد الحميد حمودي ، مطبعة الديوانية الحديثة ، الديوانية ، ط١ ، ١٩٧٣ .
- يوسف متي ، سليم عبد القادر السامرائي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ .

ثالثاً : الرسائل الجامعية

- البناء الفني للقصة القصيرة (القصة العراقية نموذجاً) ، ثائر عبد المجيد العذارى ، رسالة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة ، كلية التربية ، ابن رشد، جامعة بغداد ، ١٩٩٥ .
- البناء الفني للقصة القصيرة في العراق ، حسنين غازي لطيف ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية الاولى ، ابن رشد ، آب ، ٢٠٠١ .
- شخصية المثقف في الرواية العراقية ، (١٩٢٨ –١٩٨٠) فاتن اسماعيل الراوي ، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٤ .
- صورة الرجل في الرواية النسوية العراقية ، خالدة حسن النعيمي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، ابن رشد ، جامعة بغداد ، كانون الاول ، ١٩٩٩ .
- الفن القصصي والروائي في ادب موسى كريدي ، حسنين غازي لطيف ، رسالة ماجستير ، كلية التربية الاولى ، ابن رشد ، جامعة بغداد ، ١٩٩٨ .
- القصة النسائية القصيرة ، زينب كاظم كيطان ، رسالة ماجستير ، كلية التربية الاولى ، ابن رشد ، تشرين الاول ، ١٩٩٨ .

- المدينة في الرواية العراقية ، احمد حيال جهاد ، رسالة ماجستير ، كلية التربية الاولى ، ابن رشد ، ١٩٩٩ .

رابعاً : الدوريات

- مجلة آفاق عربية ، العدد١١ ، تشرين الثاني ، السنة ١٧ ، ١٩٩٢ ، خطوات المرأة الثالثة ، سليمان البكري .
- مجلة التراث الشعبي ، العدد ٢ ، ١٩٩٢ ، دار الشؤون الثقافية .
- مجلة الفكر المعاصر ، العدد٢ ، ١٩٧٤ . حوار الثقافة المغيرة والحرية والفلسفة ، ، نجيب محفوظ .
- مجلة القصة ، العدد الثاني عشر ، السنة الثالثة ، حزيران ١٩٧٧ ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، في بعض الوفاء ، كرامة حلمي ، القاعود ، والنزعة الانسانية وحديث عن القصة ، عبد العزيز مصطفى .
- مجلة العربي ، العدد (٢٨٩) ، ديسمبر ، ١٩٨٢ ، الكويت ، رحلة داخل عالم الوجودية ، سيد محمود القمني .
- مجلة العهد ، العدد٢ ، السنة ٢ ، ١٩٦٩ ، معهد اعداد المعلمين ، الديوانية ، مطيعة النعمان ، النجف الاشرف .الخوف كواقع تربوي ، موفق الجنابي .
- مجلة الشرارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، مطبعة الكفاح ، لبنان ، بيروت ، تشرين الثاني ، ١٩٧٤ ، اعترافات امرأة ليست رصينة ، غادة السمان .

Baghdad University

AL – Tarbia college – Ibn Rushed
High Education

The Tendency of Liberation in Modern Iraqi narrative literature

(Short Story since 1944 – 1980)

A thesis Submitted to the College of Education (Ibn Rushd) University of Baghdad

By

Ma`ieda Fadhal Jassam Al – Jeeafri

In partial fulfillment of the Requirements of the degree of Master in Arabic and it's literatures

Supervised by

Dr. Ali Abdul – Razak Al – Samarai

M. 2005 H. 1426

Abstract

The thesis is entitled “The Tendency of Liberation in the Iraqi Short Story “ it aims to throw light on the significance of this tendency in man’s life in general and the creative`s in particular .

The research is divided into an introduction , three parts and conclusion . The introduction deals with the importance of the tendency on man’s and creative`s life as well . It shows the factors enhancing the story writer’s tendency in political and social circumstances that deepens it .

The first part involves the first chapter “ The concept of the tendency of liberation” dealing with man’s attempts to get rid of the state that he can not convince and his looking for ward to creating better situation . The second chapter “ The story writer and the tendency of liberation” which shows the depth of this tendency and its impact on the story writer’s narrative creation . In the third chapter “ The social and intellectual tendencies of the Iraqi story writer” the researcher discusses the distinguishing liberation features of the Iraqi story writers intellectually and socially .

The second part involves The intellectual liberation which deals with in the first chapter “liberation and the cultural development . The researcher diagnoses the social and intellectual developments contributing to enhance this tendency in the Iraqi narrative literature . The second chapter “ The regulations and laws” observes the Iraqi story writer’s tendency to convict the unjust regulations and laws disapproving them calling for freedom , justice and democracy for the Iraqis . The third chapter involves “religion and beliefs” the researcher deals with the Iraqi story writer’s attitude towards the issue of religion observing the case of oscillation in faith and its weakness that influence the circumstances of society on the individual’s faith

and exploiting religion by the dishonest and their attempts to use this dishonestly in addition to the effects of religion and changing the individual's life dealing with the prevailing religious retuals and aspects . Also the researcher observes the Iraqi story writer's attitude towards the stagnation and backwardness and prevailing beliefs and his rejecting them in addition to the beliefs in jinns, magic, envy, Tantal , incense and fortune – telling and the like.

In the third part , the researcher studies in the first chapter, the social relationship and the Iraq story writer's attitude concerning the father's relation with has son , with woman and with society itself showing subjection , tension and submitting to exploitation and the impact of the class distinctions on them .

The second chapter " the social morals" depicts the oscillating of these morals and their collapse and the social changing factors on them . The third chapter "the social habits and customs " deals with the Iraqi story writer's attitude towards customs of marriage and divorce the killing as matter of honor and avenger and so on . And his convicting all these.